يوسف عز الدين

الشعر العراقي الحديث

وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

ساعدت وزارة المعارف على نشره

الشعر العراقي الحديث

وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

الدكتور يوسف عز الدين

مدرس الادب الحديث

كلية الآداب ــ جامعة بغداد

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة أسعد ــ بغداد

(١٣٧٩ هـ ــ ١٩٦٠ م)

الى ....

استاذي العلامة محمد خلف الله احمد ..

هدية اكبار واعتراف بجميل الفضل

وسداد التوجيه .

فهرست الشعر العراقي الحديث

لك ايها القاريء

الكتاب جزء من كيان الكاتب ، وقبس من روحه ودمه وقلبه ، يصاحبه كما يصاحب الوالد ولده ، ويتعهده بكل مالديه من قوة ويصرف عليه ما يملك من جهد ليراه نضرة النفوس وابتسامة الثغور ٠ حتى يستوى على ساقه فتعجب الباحث اصالته ويرضى عنه ٠

وهذا الكتاب جزء عزيز عليّ فقد صرفت معه احلى سنيّ حياتي راضيا مسرورا ، لاني شغفت بالشعر طفلا ، وزهوت بحفظه يانعا ، ورضيته معبرا عن أحاسيسي شابا يافعا ، ونما معي حب الشعر وموسيقاه ، ونمت معي عواطف الشعراء واحلامهم ، وكنت منكبا عليها تغمرني اللذة والرضا ، ويدفعني الشوق واخذت اجمع ما يقع بين يدي من مختارات ثم امزقها عندما ابلغ من العمر مرحلة ، وجمعت دواوين الشعراء على اختلاف انواعها غير مفرق بين قديم وحديث ، حتى جمعت مالم اكن افهمه واطلب شرحه من مدرسي فيضجر من الالحاف ظانا انني امتحن قدرته ٠

وقد استهواني الرصافي لانه كان ينبض بالحياة التي نحياها ، وكتبت عنه اول بحث في الجامعة ٠ وقد كانت التفاتة كريمة من استاذي العلامة محمد خلف‌الله احمد عندما أصطفاني طالبا لاكمال الماجستير تحت اشرافه وهو الشاعر الرقيق والذواقة المرهف الاحساس ، واقترح عليّ ان اكتب عن (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) فسرت في هديه ، وتحت دربته ، ووفقت بما بذله لي من عون لاينسى ، وتوجيه لايبلى ٠ وسرت في الطريق العلمي حتى وصلت القرن العشرين الذي أحسست بآلامه ، وشعرت باوجاعه٠فكان كتابي هذا (الشعر العراقي الحديث) الذي كلفني ماكلفني اخوه الاول ٠

وبدأت قصة هذا الكتاب عندما عدت الى العراق بعد الحصول على الماجستير

فاخذت اطالع الجرائد العراقية من صدورها واتخذتها قاعدتي الاولى في البحث لان ماينشر فيها لايغيّر متى اختلفت سياسة الحكومة واتجهت وجهة جديدة • وتبقى قوة الشعر وشعور الشاعر دون تبديل او تغيير حتى اذا غيّرها خوفا او رهبة او طمعا • وسافرت الى البصرة في صيف العراق ووجدت في مكتبة باشاعيان بعض هذه الجرائد وكنت خلال عملي في تفحص الجرائد ابعث برسائل دورية للشعراء صغيرهم وكبيرهم مغمورهم والمشهور منهم واتصلت بمن اعرف منهم ـ واعرف جلّهم ـ كما اعلنت اعلانات متنوعة في الجرائد والمجلات راجيا فيها الشعراء ان يتفضلوا بمساعدتي ، ومنهم من لم تتح لي الظروف للتشرف بمعرفتهم • ولما انجزت ماقدرت على انجازه في العراق سافرت الى تركيا وبحثت في مكتبات الاستانة وذهبت الى باريس وفتشت في المكتبة الوطنية ومكتبة فرسايل وفي اثناء اقامتي في انكلترا بحثت في مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة معهد اللغات الشرقية والافريقية وكانت معي خلاصة اخذتها من مكتبات بيروت والقاهرة والاسكندرية •

وبدأت في كتابة هذا الكتاب باللغة الانكليزية فكانت مشقة جديدة وجهدا عميق الاثر وخير معبر لهذا الجهد ما كتبته لصديق في اول ايام وصولي لندن قلت له (اكتب اليك والقلم يهتز فزعا من عميق مشاعري وحنيني الى الوطن وسأهتز منه فزعا عندما اكتب بعد ذلك باللغة الانكليزية) فقد كانت الترجمة وخاصة الشعر عسيرة عليّ لأني حاولت نقل احاسيس الشاعر كما اتحسسها على ان احافظ على الذوق الاوروبي فحاولت ان اترجم حرفيا فلم يكن المعنى واضحا ثم اردت ان اترجم المعاني وكان من العسير عليّ ترجمة التورية والجناس والمحسنات اللغوية الاخرى بسهولة ويسر ، واخيرا مزجت بين الطريقتين فاستقام لي بعض الامر •

وعدت الى العراق بعد ان انهيت دراستي وعكفت على ترجمة ماكتبته باللغة الانكليزية فوجدته سهلا بسيطا اقرب الى لغة العلم منه الى لغة الادب فاضطررت الى اعادة الكتابة مرة اخرى ناسيا التكوين الذهني الذي اكتسبته في اوروبا وحاولت ان اجليه عربيا سليما وعساي وفقت •

كان موضوع البحث شائكا لأمرين ، الاول : انه يبحث في امور ماكانت مقبولة رسميا وتجر كاتبها الى المتاعب ، فقد تطرقت الى الاقطاع والفقر والمرض والجهل وذكرت اثر الاستعمار وموقف الحاكمين منه الذين كانوا في الحكم • والثاني : ان البحث يقدم الى جامعة انكليزية وانا عربي ابحث مشكلات وطني واكتبها للانكليز ، الذين سيقررون مصيري ومستقبلي وطالما نصحت ان اترك هذا البحث وان لا اتطرق الى هذه المشكلات او ان اخفف من حقيقتها ولكني أبيت

الا" المضي في الطريق السليم وابراز الحقائق ورسم صورة جلية" صادقة عن العصر الذي ادرسه ، حسب طاقتي وقدرتي لأن مشكلات العراق هي مشكلات العرب اجمع ومشكلات الانسانية جمعاء وتفهمها يعجل في حلها • وقد كانت هيئة الامتحان منصفة كل الانصاف فلم تتحيز رغم ما في البحث من حقائق مرة ، وأوصت بطبعه تقديرا له ، فضربت مثلا كريما في حرية الفكر وتقديسه •

بعد ان اتخذت الشعر قاعدة استند عليها عوّلت على توضيح الحياة السياسية والاجتماعية في دراسة التاريخ فوجدت شعر هذه الفترة مثل عصره اوضح تمثيل واصدقه • ووقفت البحث حتى سنة ١٩٣٩ لسببين ، الاول : ظهور اتجاهات جديدة على الشعر العراقي لم تكن متبلورة وكانت فيفترة التطور ، والحكم على أمر غير ناضج او مستقر لايقره البحث العلمي ، ثم اتيحت لي فرصة لاخراج كتاب آخر عن (الشعر العراقي المعاصر) سأبحث فيه التيارات الشعرية التي عاصرتها وعشت في جوها • والسبب الثاني ، ان العراق بعد هذه الفترة مرّ بازمات سياسية دعت الى اعلان الاحكام العرفية ومنع كل شاعر لايسير في ركاب الحاكمين والاستعمار ان يعبر عنرأيه ، وقيدت الآراء وضغطتعلى الحريات العامة وهددت المفكرين وساقت الى المعتقلات والسجون من ساقت واتهمتآخرين بتهم شتى ، فعاش الفكر في محنة جرته الى ركوده وضمور قواه ، فسجلالتاريخ فترة تحكم فئة قليلة باكثرية ابناء الشعب محاولة توجيهها نحو الوجهة التي تريدها •

وليس هذا الكتاب كل ما كتبته باللغة الانكليزية فقد شمله الحذف والاطالة ليتناسب والذوق العام ولكنه يحوى الاسس الاولى واتجاهاتها وروحها فهو اكثر منها في بعض اقسامها واصغر منها في جميعها ولابد من الاشارة الى انني درست تياراتالعصر واعتمدتكثيرا علىالمنشور من الانتاجفانفاتنيبعضهفماتركته اهمالا ، ومعذرة لمن لم أتعرف عليه •

حسبي انها محاولة من طالب أدب يقدمها للادب العربي الخضم أردت بها ان أخدم أمتي ولست بالعالم الذى لا يخطىء او الكامل الذي لايعتريه الشك ، ولكنني اقولها صريحة انني بذلت جهدي ووضعت عن كاهلي بعض العبء والقي تبعة نقصه على الشعراء والكتاب الذين يجدون فيه ما يقرّبه نحو الصواب والحقيقة ولا يفعلون ، سواء في النقد أم في النصح أم بالتقويم ولست بمستكثر على أحد تقويمي ونقدي ونصحي وسيجدني من الراضين الشاكرين •

ولايسعني الا شكر اولئك الاجاويد الذين مدّوا لي يد المساعدة سواء في

انكلترا ام في العراق مهما كان نوعها سواء كانت اعارة جريدة ام كتاب ام تصليح ملزمة من الملازم او جواب على رسالة كتبتها له ام مساعدة في الكتابة على الآلة الكاتبة وهم كثر منهم الاستاذ الجليل الفريد كيوم A. Guillume والاستاذ آربري A. J. Arberry والاستاذ سارجنت R. B. Serjeant والاستاذ داود كون D. Cown وجون كوكس J. Cox وجون براون J. Brown واسرة فراير Frier والدكتورة حكمت ابو زيد والاخ العقيد عبدالرحمن التكريتي والاستاذ عبدالستار القرهغولي والدكتور ابراهيم السامرائي والاستاذ أحمد ناجي القيسي والاخ يحيى جاسم والشاعر عبدالرزاق بستانه والشيخ علي الشرقي والاستاذ مصطفى علي والشيخ فريق مزهر الفرعون ، كما اشكر جميع موظفي المكتبات في لندن وباريس واستانبول وبيروت والقاهرة ومكتبة المتحف العراقي منهم السيد حكمت فتوحي والآنستين ساجدة العزي وفكتوريا مولود والسيد عبدالمجيد عبد علي ٠

وختاما ايها القاريء ما انا الا طالب أدب أتحرى الحقيقة جهدي فمعذرة مما وقع لي من اخطاء ولا تأسف على ما دفعت ثمنا لهذا الكتاب ٠ نرجو الله ان يأخذ بيدنا نحو السداد بما فيه خير هذا الوطن وهذا الشعب ، فمن اجله نحيا ومن اجله نبحث ونتحرى عن الحقيقة لنراه رافلا بالسعادة والخير ٠

بغداد رجب الاصم سنة ١٣٧٩ الهجرية
مطلع عام ١٩٦٠ الميلادي

يوسف عزالدين

الفصـــــــــل الاول

الشعر العراقي في العهد العثماني

١ ـ المجتمع العراقي ومشكلاته

٢ ـ الاتجاه الاسلامي

٣ ـ الدستور العثماني

٤ ـ حروب الدولة العثمانية

المجتمع العراقي ومشكلاته

ــ ١ ــ

قبل ان ندرس اثر المجتمع والسياسة في الشعر العربى في العراق في هذه الفترة (١٩٠٠ ــ ١٩١٩) ارى ان نرسم صورة لهذا المجتمع والمشكلات التى كانت تؤثر فيه •

فقد كان الوالى هو الحاكم المطلق الذى يدير سياسة الولاية • ولو انها كانت مصبوغة بالصبغة الاسلامية • بيد ان للوالي الرأى الاول في امور الولاية• وكانت سيطرته تشمل الرياسة العامة على الجماعات مثل رياسة البلدان والمدن والامراء والجيش والقبائل وما شابه ذلك • اما السياسة الخارجية فقد كانت جزءا من سياسة الدولة العثمانية العامة التى تدار من قبل الاستانة مباشرة[١] •

هذى الثمانى عشرة سنة من حكم الاتراك في العراق لم تكن الا استمرارا لحالة العراق في القرن التاسع عشر وتكاد تكون جزءا لايمكن بتره عنه ، لولا بعض اصلاحات ناظم باشا واثر اليقظة الفكرية المحدودة التى تسربت من أوربا ولولا اثر الدستور العثمانى ••

كان العراق بلدا متأخرا هيمن عليه الجهل وفقد الامن والنظام مخرب الجوانب والجنبات وخير وصف لحالة العراق هو وصف جريدة « صدى

١) يلاحظ (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) للمؤلف •

بابل » فقد وصفته بانه بلد حاق الخراب به ، والظلم والخوف والاضطراب وذكرت الفوضى التى حلت به وكيف كانت ضواحى بغداد تسلب وتنهب وتسرق • وما حاق بالحياة العامة من تأخر[٢]

وقد لخصت هذه الجريدة حاجات العراق فردتها الى امور رأتها أهم ركائز الاصلاح احدها الامان وثانيها العدل وثالثها العلم[٣] ولا ادرى ما ابقته الجريدة فهذا مختصر واف لحاجات البلد المتأخر • ويجب ان اقول ان هذا التأخر الذى ساد العراق لم يكن غير جزء من تفسخ عام شمل جميع الامبراطورية العثمانية • فقد كانت الولايات ـ ومنها بغداد ـ تباع وتشترى كأية بضاعة احرى[٤]وقد كان هناك سماسرة يتصلون بالراغبين بمثل هذهالصفقات[٥] فلا نستغرب ان انحصر هم الوالي في جمع المال الكافي للوصول الى الثراء العاجل فهو مسؤول عن دفع هدايا مستمرة لاسياده في الاستانة وعليه ان يكون له اصدقاء يحافظون عليه وعلى مركزه كيلا يعزل[٦] فهو يبيح لنفسه الاستيلاء على الاموال واستيفاء الضرائب[٧] فيتخذه الموظفون قدوة اذ يستوفون الضرائب دون ان يسجلوها في السجلات وتبقى ديونا على ابناء الشعب[٨]

---

٢) صدى بابل العدد ٤٠ السنة الاولى عام ١٣٢٨هـ
٣) صدى بابل العدد ١/٤٠
٤) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ص ٢٧٨ و٢٧٩
٥) غرائب الاغتراب ص ١٨٨
٦) غاية المرام حوادث ١٨٠٠ وغرائب الاثر ص ٥١
٧) لونكريك ٢٧٨ و ٢٨٩ • يقول ولي الدين يكن وهو كاتب يتعصب للاتراك ويدافع عنهم عن سرقة اموال الشعب ما يلى :
« فتجبى اموال الرعية بلا حساب فيضيع بعضها في جيب الوالى وبعضها في جيب من هو فوقه فلا يبقى لبيت مال الدولة الا ما يتصدق به عليه السارق والناهب • فضالة ينفق جانب منها على طرب الملوك ولذاتهم وجانب على المقربين من الغرانقة ويبقى الموظف الصغير صفر اليدين او تدرك امره رحمة فيمد اليه بما يسد به رمقه (المعلوم والمجهول ص ٤٤)
٨) صدى بابل ١/٤٥

لذلك فقد انتشرت الرشوة بين الموظفين وتدنى بعضهم الى درجات مضحكة فأخذت تندد بهم جريدة ابابيل في عددها الثامن والاربعين بنشر ابيات هزلية تسخر من هؤلاء المرتشين وتطالب بالاصلاح العام معتمدة على اعلان الدستور الذى من اهم مواده الاصلاح ومحاربة الارتشاء المنتشر في انحاء الدولة والابيات :

اذا ارتشى اليوم (مأمور برطيل) اليه ارسلت طيرا من ابابيل
ترمي على رأسه شر الحجارة من نوع الفضيحة لا من نوع سجيل
فتترك الوجه منه حين تخجله يحوى بثورا كأمثال الثآليل[9]

والرشوة سبب من اسباب ضعف الدولة فالموظف المرتشى يكون ضعيفا خائفا لايقدر على تطبيق النظام مما ساعد على انتشار الفوضى حتى ان الناس لم يكونوا بقادرين على ترك بيوتهم في المدن دون ان يحملوا معهم ما يقيهم من اذى اللصوص وسطوة الناهبين والسالبين[10] بل تجرأ اللصوص على السلب والسرقة علانية ولم يكن يمضى يوم دون سرقة او جرح او قتل او سلب[11] وقد وجدت عدة رسائل مفتوحة موجهة الى الوالي تشكو ما حل بالولاية من اراقة الدماء وانتهاك الاعراض واغتصاب الحقوق وما عمها من فوضى وخراب ودمار[12] وما كانت شكاوى الاهليين بمجدية لان الوالى ومن بيدهم الامر هم اصحاب المنافع المباشرة وهم اساس هذه الفوضى والرابحون من جرائها[13] وكثيرا ما ثاروا على الدولة وقطعوا علاقتهم بها وجروا على البلاد الدمار بحروبهم[14] بل ان بعض هؤلاء الولاة كانوا يحرضون الاشرار على تعكير صفو الامن للفوز بالغنائم

---

٩) جريدة الرقيب العدد ١/٩٠ يقصد بـ (مأمور) الموظف في الدولة والبرطيل كلمة تركية معناها الرشوة

١٠) لونكريك ص ٢٥٢

١١) الرقيب العدد ١/١١٥ وفي غمرة النضال ص ٥١

١٢) الرقيب العدد ١/١١٤

١٣) غرائب الاثر ٩٤ وغرائب الاغتراب ص ١٩٩ وتذكرة الشعراء ٣٥

١٤) كما حدث لسليمان باشا القتيل عام ١٨١٠ ولداود باشا ١٨٣٠

ومصادرة ما بأيدي اللصوص[١٥] لذلك انكمش الناس في قراهم تاركين العناية بالزراعة والاهتمام بالتجارة فظهر نقصان الغلال في بلد هو من اخصب بلاد العالم واغناها فعمه الغلاء والقحط وتردت حياته الاقتصادية[١٦]

استمرت جميع مشكلات العراق التى كان يعانى منهافي القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ومن هذه المشكلات الاساسية قضية سكان العراق فقد كان اغلبهم من العشائر الذين لهم نظامهم الخاص بهم وكثيرا ماكانت هذه العشائر تتمتع باستقلال ضمن دائرة العشيرة اذ لم تتمكن الحكومة من السيطرة عليها سيطرة فعلية ، وكثيرا ما تثور العشائر على الحكومة فتنشر الذعر والرعب في النفوس[١٧] مغتنمة ضعف الحكومة في فرض اتاوات وضرائب على بعض المدن اضافة الى بعض المغانم التى تفوز بها عندما تهاجمها دون وازع من نظام يردعها[١٨] • وقد حاولت الحكومة العثمانية السيطرة عليها ولكنها لم تفلح لتحول رجالها من عصاة الى مواطنين صالحين لانها لم تكن تمهد لهم الوسائل اللازمة ودون ان تبذل اى جهد لتضمن طاعتهم واحترامهم لها[١٩] فلا عجب ان كانوا مصدر قلق عام للحكومة وللبلاد يضاف الى ذلك انهم كانوا مسلحين باسلحة هى اجود واحسن من اسلحة الجيش الذى كان يذهب لقمع حركاتهم[٢٠]

ولقد كانت المرأة بعيدة عن المجتمع العراقى فقد احتجزت في البيوت اذ لم يكن يسمح لها بالاختلاط مع الرجال وقد كان الوالد يريد ان يتخلص من ابنته مفضلا عليها الولد مهما كانت درجة فضلها وخلقها • فقد كانت ممنوعة من

---

١٥) غرائب الاثر ص ٦٧ ولونكريك ص ٣٢٣
١٦) المصدران السابقان
١٧) صدى بابل العدد ٩٧ السنة الثانية سنة ١٩١١
١٨) جريدة الزوراء العدد ١٧٣ السنة الثالثة سنة ١٢٨٧
١٩) لونكريك الصفحات ١٧١ ـ ١٧٥ و ٢٨٨ ـ ٢٩٢
٢٠) صدى بابل ١٩١١/٢/٩٧

تعلم القراءة والكتابة كيلا توصلها الى اغراض فاسدة[٢١] وقد كان لاضطراب المجتمع وقلق مثله العليا اثر في حياة الرجل الذى تفككت مثله العليا ولم يعد يردعه الوازع الدينى او الخلقى عن ارتكاب الجرائم • فالقبائل كانت تشن الغارات على المدن والايرانيون يهددونها ، وموظفو الحكومة العثمانية نفسها كانوا يسبون النساء ويأخذون السبايا الى الاستانة[٢٢] لذلك حرص القوم على اخفاء بناتهم خوفا من العار والسبي •

اما الحالة الصحية فقد كانت متردية نتيجة اهمال الدولة لشؤون البلد فلم يكن في بغداد طبيب واحد يشرف على المرضى فغدا العراق مرتعا خصبا المطاعون الذى كان يفتك دون رحمة ودون ان يقف امامه شيء[٢٣] حتى غدت الجثث طعاما سائغا تعودت عليه الكلاب[٢٤]

واذا تلمسنا حالة التعليم في هذه الفترة فلا نجد للتعليم ظلا الا في المساجد في المدن الكبرى وبحدود ضيقة[٢٥] ولولا عناية رجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصل والنجف الاشرف لقضى على اللغة العربية • ولعل ازهى عصر من عصور التعليم هو عصر مدحت باشا غير ان بارقة الامل التى لمعت في عصره

---

٢١) تراجع الاصابة في منع النساء من الكتابة (مخطوطة لنعمان الآلوسى) ، وديوان التفتاف ، ومجموعة أمثال الموصل ، ليعرف القارىء مدى خوف الآباء واولى الامر من عار البنات

٢٢) اخذ عاكف باشا بعض النساء العربيات من الحلة اسيرات الى الاناضول راجع مقالا بقلم يوسف رجيب عن بدر الرميض في مجلة عالم الغد العدد ٩/١/١٩٤٥ و (الحقائق الناصعة) ٤٣

٢٣) لونكريك ص ٣١٦

٢٤) غاية المرام ص ٢٢٧ وحديقة الورود ص ١٣ ونيل المرام ص ٧٩

٢٥) نشرت جريدة صدى بابل الميزانية في عددها ٢٣٨–٢–١٩١٤ وقد كان مصدر ايراد ميزانية الخزينة في الولاية يتألف من (معارف ويركوسى) أي ضريبة المعارف و (شوصه بدلى) ضريبة الطرق وضرائب اخرى •• ولكن الولاية لم تكن تستفيد شيئا • وهناك ميزانية اخرى توضع في الاستانة مع الميزانية العامة • اما ميزانية الولاية فليست للاستانة دخل فيها

اندثرت بعد ذهابه من بغداد وبقيت الحال مهملة حتى ان الحكومة لم ترصد عام ١٩١٤ للتعليم مبلغا من المال مع انها ارصدت مبالغ للجندرمة وللامن العام مهملة شؤون التعليم وكأنه شيء غير ضروري او يمكن الاستغناء عنه • ولم تجد المطالبة بالاصلاح بضرورة نشر التعليم فتيلا•ومن الطريف ان الحكومة كانت تدفع للبواب ٥٠٠ قرش وتدفع للمعلم ٢٠٠ قرش[٢٦]

اما اللغة العربية فقد بقيت ممنوعة الاستعمال في الدوائر الرسمية حتى بعد ظهور الدستور العثماني وكانت ترفض العرائض التى تكتب بها بيد ان جريدة الرقيب لم يرضها الحال فقارنت بين حالة العراق وحالة سوريا التى تجيز استعمال اللغة العربية في الدوائر والمراجعات الرسمية فأمر الوالى باستعمال العربية[٢٧] وقد يكون للوالى عذر في ان يكتب له باللغة التركية ليفهمها مباشرة دون ان تكون هذه الرغبة مدعاة لاستعمالها في جميع الدوائر وفي المحاكم • لذلك فقد كان ابناء الشعب يفضلون تعلم التركية لانها السبيل الوحيد للتوظف والعمل في مصالح الحكومة[٢٨] فلا نعجب اذا وجدنا ان نسبة التعليم لم ترتفع عن ٥و٠٪ في جميع أنحاء العراق[٢٩]

هذه نظرة عاجلة الى المجتمع العراقى ومشكلاته وجدت من المناسب تقديمها لهذه الفترة ليكون القارىء قد تعرف عليها قبل البدء في دراسة هذه الفترة الادبية، ومنها رأى مقدار التردى الذى حاق بالعراق في جميع نواحيه الاجتماعية ، والثقافية ، والصحية • وقد سكت الشعب طويلا خوفا او مجاملة للدولة المسلمة حتى ظهرت بوادر الاصلاح وارتفعت صيحاته من كل اطراف العالم ومن ثم بدأت الاراء الجديدة في العدالة والمساواة والحرية تتسرب تارة بوساطة

---

٢٦) تنوير الافكار ١/١/١٣٢٨

٢٧) الرقيب ١١٤ صدر في جمادى الاولى والعدد ١٣٥ صدر في الخامس من رجب سنة ١٣٢٨

٢٨) لونكريك ص ٣١٦

٢٩) المصدر السابق

الجرائد والكتب الواردة من مصر وسوريا وطورا بما تنقله جرائد بغداد مـن اخبار العالم وآونة بما ينقله العراقيون المسافرون الى الاستانة عند عودتهم بعد احتكاكهم بابناء الامبراطورية العثمانية .. هنالك بدأوا يحسون بضرورة الاصلاح والمبادرة الى عمل يفيد الشعب وقد كان منهم المطالب الجريء المستميت ومنهـم الهاديء المعتدل ... ومن تلك الصيحات الهادئة ماكانت تنشره جريدة صـدى بابل ، اما الجرائد الجريئة فقد كانت الرقيب ، وتنوير الافكار ومن ذلك قولها في احدى مقالاتها (لقد عم عموم التبعة العثمانية ، بل والاجانب حال العـراق وما كان يئن تحته من ثقل الاستبداد الذى كان مخيما عليه ضاغطا اياه ، وعـلى الخصوص ماكان تجرى فيه من المصائب الناتجة عن استبداد الولاة وكتمهم اغلب الامور عن الاستانة ...) وهذه جرأة وصراحة لم يكن يعهدها اهل العراق فهو تعريض واضح باستبداد الولاة وتزويرهم للاخبار التى ترسل الى الاسـتانة العاصمة ولم تكتف الجريدة بهذا انما ذكرت بصورة جلية لاتدعو للشك طريقة تزوير هذه الحقائق والاسلوب الذى تكتب فيه هذه التقارير التى تصـدر عن الولاية الى مركز الحكم في الاستانة فقالت (ان القتل والنهب والسلب ، واصل الى العيوق ، ولكن الافادات اليومية لايحرر فيها الا ان الامن والراحة العمومية على غاية المرام ...)[٣٠]

ولابد لنا من ان نذكر هنا بعض المحاولات المشكورة في سبيل الاصلاح ، فناظم باشا كانت له مشاريع كبيرة فقد انتوى شق ثلاثة شوارع في بغداد وحاول تسيير الترام بالكهرباء وبناء جسر حديد وجسرين من خشب وامر بعمل خرائط لثكنات ومستشفيات ثم بدا فعلا ببعض الاصلاحات ، كاصلاح الاسواق وتعديل وتسوية الطرق المؤدية الى ايران تسهيلا لمرور عربات النقل ووضع مخافـر للمحافظة وتعيين بعض الموظفين الامناء في الكمرك وتعجيل اعمال التجار وتعيين مأمورين للبرق والبريد ليلا ونهارا غير ان هذه الاصلاحات لم يكتب لهاالاستمرار لانها كانت دائما تصطدم برغبات الحكومة المركزية التى كثيرا ما يضطر لاجلها

---

٣٠) جريدة الرقيب العدد ٥٢ السنة الثانية ١٣٢٨

الوالى الى ترك العمل او الاستقالة(٣١) ولم تكن غالبية الموظفين تهمها حركات الاصلاح لان ذلك سيقطع عنها طريق الاثراء غير المشروع ويسد عن جيوبها موارد سهلة مستديمة من اموال الشعب بل لا يهمها مطلقا الا خراب البلاد وفساد النظام لضمان عمران بيوتهم(٣٢) فقد كانت الوظيفة غاية يتوسل بها الموظف الى جمع اكبر قدر من الاموال ومن كان همه الاثراء على حساب الشعب الذى لا تربطه به رابطة قويمة قوية لن يحاول مطلقا معالجة الامور بصورة جدية ، او ان يعطي اية اهمية لشكوى تأتيه من فلاح بائس او عامل محروم اضافة الى ان البحث في الاصلاح والعمل الجدى المثمر المنتج يكلف الموظف الوقت الطويل والتفكير العميق وجهدا ومشقة لاطاقة له بها وكل ما يريده الذهاب الى الديوان او العودة الى البيت او للنزهة(٣٣)

هذا الانحطاط وهذا التأخر هو الذى دفع الشعراء في اوائل القرن العشرين(٣٤) الى المطالبة بالتحرر والاصلاح متأثرين بالحركات التحررية التى عمت العالم ولم يكونوا في دعواتهم هذه خلال القرن التاسع عشر واوائل العشرين راغبين بالانفصال عن الجامعة العثمانية وانما كانوا يريدون اصلاح الامور العامة تحت ظل الخليفة العثمانى لانه الرمز الاسلامي العثماني للوحدة الاسلامية .. ومن ثم اخذت هذه الدعوة طريقا آخر هو الدعوة الى الانفصال وتأسيس دول مستقلة منفصلة عن هذه الرابطة

اما الاسلوب الذى سار عليه الادب فهو نهج القرن التاسع عشر العناية البالغة عناية تخرجه الى حد التزويق الممجوج الذى تمله النفس ، اضافة الى ان المواضيع التى قد طرقها الشعراء كانت مواضيع تافهة .. مبالغ فيها مبالغات تخرج الى الاسفاف ولا سيما المديح والرثاء .

---

٣١) صدى بابل الاعداد ٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٨ من السنة الاولى ١٣٢٨ و٩٧-٢-١٩١١ و ٣٠/١٩١٠

٣٢) الرقيب العدد ١٣٢٨/١/١١٤ ولونكريك ص ٢٨٢ و٣١٩

٣٣) تنوير الافكار ١-١-١٣٢٨

٣٤) في كتابنا الشعر العراقي في القرن التاسع عشر المطبوع في بغداد ١٩٥٨ تفصيل لحالة الشعر والحالة الاجتماعية والسياسية والثقافية

الاتجاه الاسلامي

ـ ٢ ـ

بقيت الدولة العثمانية ـ حتى الحرب العظمى الاولى ـ تحكم البلاد العربية وقد كان السلطان العثماني ممثلا للشرق والمسلمين ، يقود هذه الشعوب أنّى أراد واين اراد ، ومتى اراد . لسيطرة النزعة الاسلامية على غيرها من النزعات الاخرى بين الشعوب المسلمة والعربية اذ لم تكن الفكرة القومية قد ظهرت بعد ظهورا شعبيا ولم تكن الفكرة العربية قد تغلغت في النفوس بعد . اذ كان اكثر العرب ينظرون الى الخليفة العثمانى على انه ممثل لآمالهم الاسلامية ولم يكن العربي المسلم يأنف من الاعتراف بسيطرة السلطان ولعل الخوف من سيطرة الاوربى الكافر هو الذى جعل هذه الشعوب قوية الالتفاف حول السلطان العثمانى فهي ترى الحاكم المسلم خيرا من حاكم لايربطها به أية رابطة وقد اتخذت الدول الاوربية نفس السلاح ودعت الشعوب غير المسلمة الى الثورة والتخلص من حكم المسلمين[١]

---

١) في (الاتجاهات الوطنية) بحث نفيس عن مطامع الدول الاوربية واعمالها ويراجع عبدالحميد ظل الله على الارض ص ٦٣ ـ ٧٢

فالفكرة الاسلامية كانت نزعة هذا العصر ومن اراد الخروج عليها والدعوة لغيرها فهو خارج على الدين الاسلامى •• مع ان اكثرية المنادين بالجامعة الاسلامية ليسوا من مؤيدى النفوذ العثماني ، وانما كانوا يفضلونه على سواه من النفوذ الاجنبي مسوقين بالعاطفة الدينية التي تقول انما المؤمنون اخوة •• لذلك فهم يرون الخليفة العثماني الركن القويم الذى تعتمدعليه الوحدة الاسلامية

والشعراء جزء من الشعب يعكسون رغباته ويمثلون أمانيه فنراهم فيشعرهم قد اتخذوا الخليفة العثماني رمزا للوحدة الاسلامية ، فهم امتدحوا سجاياه وأشادوا بأخلاقه وفضائله ورفعوا ذكره ومجدوا سياسته فجعلوه في مصاف الآلهة لانه يحمي ••• بيضة الاسلام ••• وهو ظل الله في أرضه ••• وهو الذى يدافع عن المسلمين ••• ويقاتل المشركين والكافرين[٢] وقد بقيت هذه الفكرة مسيطرة سيطرة تكاد تكون تامة على الشعر حتى اعلن الدستور العثماني وبدأت الاحزاب تتشكل وتنتشر الجرائد وابعد السلطان عبدالحميد عن الحكم•• فهوت قداسة السلطان على الارض فلم يعد الرمز المقدس الذى لاتصل الايدى اليه ولا تنوشه الالسن وبدا مثل البشر في سيئاته ومزاياه لا يفرق عنهم شيئا •• لذلك فعندما كان هذا السلطان في قوته ونفوذه وسطوته كان الادباء يحاربون كل من سولت له نفسه الخروج على طاعته سواء كان العاصى من العرب او من المسلمين••فقد كان معنى ذلك انشقاق علىالاجماعالاسلامى الذىحاولوا جاهدين الاحتفاظ به وصيانته •• فهم يريدون في حماية السلطان أن يحموا الوحدة الاسلامية من التبدد والتفرق •

فلا عجب ان نرى بعض الشعراء يتخذون السلطان عبدالحميد رمزا مقدسا يسيرون في ركابه فقد أشادوا بالحروب التي أعلنها وطربوا للغزوات التي شنها وتغنى الشعراء بالانتصارات التي حازها على أعدائه ••• فكان محور الشعر ومداره وحوله يحرق بخور الادب ••وينشرعبيرالشعر،ثمجاءمنبعدهمحمد رشاد فأصابته بقايا هذا البخور الادبي والعبير الشعري !!

---

٢) يراجع الشعر العراقى في القرن التاسع عشر فصل مدح السلطان

وقد اشتهر في هذا القرن شعراء كان منهم الذى شب وترعرع ومات في العصر العثماني وهم الذين بحثت شعرهم في كتابي : (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) وقسم شب في هذا القرن ولكنه تأثر بالتيارات الفكرية الجديدة وحركات الاصلاح التي انتشرت في ربوع الدولة العثمانية • ومع ذلك فقد بقي ولاؤهم للدولة حيا ونافحوا عن عقيدتهم الاسـلامية والتمسك بها ومن هؤلاء الشعراء معروف الرصافي • فانه بالرغم مما كان يراه من انحطاط في أرجاء الدولة وتفشي التأخر بين أبناء الشعب لم يرض للعرب أن يخرجوا على هذه الدولة ، وأن ينظموا المؤتمرات في سبيل هذه الغاية ، فقد أيد حركات الاصلاح التي نادوا بها وطالب بها دون أن تخطر في ذهنه فكرة الانفصال عنها ، كان يريد الاصلاح في اطار الدولة العثمانية لانه يرى الانفصال جريمة كبيرة تقترف ضد الاسلام ويؤدى الىأن يتدخل الاوربي في شؤون المسلمين • لذلك نراه يباركدعوة الاصلاح التي دعا اليها جماعة من العرب ••• بل انه دعا العرب للانضمام الى هذه الدعوة في قصيدة طويلة منها :

ابلغ بني وطنـي عني مغلغلة   في طيها كلم في طيها ضـرم
ما بالهم لم يفيقـوا عن عمايتهم   وقد تبلج اصباح المنى لهم[٣]

ولكنه لما رآهم يطالبون باللامركزية والانفصال عن الدولة وانهم عقـدوا مؤتمرهم فيفرنسا[٤] ثار عليهموزادت ثورتهعندما ارسل حقيالعظم برقيةالىجريدة الطـان Le Temps طالبا من الحكومة الفرنسية التدخل في أمر سوريا •• ان هذا الطلب كان دعوة صريحة من العرب المسلمين الى دولـة أجنبية استعمارية أن تتدخل في امور دولـة مسلمة •• لذلك كانت مهاجمة الرصافي عنيفة دون هوادة •• فقد رآهم في قصيدته انهم أثاروا في البلادالاسلامية شرا وما قصدوا الاصلاح في دعوتهم هذه وانما أرادوا تهديم الكيان الاسلامي

---

٣) ديوان الرصافي الطبعة الثالثة ص ٣٩٣ مصر
٤) في غمرة النضال ـ تفصيل عن أهدافهم وأعمالهم ص ١٢٧ ـ ١٣٠

الشامخ وقد كان شاعرنا حريصا على ابقائه حرصا شـديدا لذلك قال لعبدالغني العريسى[٥] الذي عقد مؤتمر باريس •

قل للعريسى والانبـــاء شائعة والصحف تروي لنا عنه الاعاجيبا
عــلام تعقد في باريس مؤتمرا ما كنت فيه برأي القوم منـدوبا

ويخاطب حقي العظم ويصف عمله كعمل الحمل الذى يطلب المعونــة من الذئب :

وهل تعمد حقي العظم فعلتــه لمـا نمى خبرا للطـــان مكذوبا
اذ راح يستنجد الافرنج منتصفا كأنه حمل يستنجد الذيبـــا

ولم يكن يؤلم الشاعر الا عمل حقي العظم الذى يريد أن يفر من سيطرة اسلامية الى استعمار أجنبي لا تربطه به رابطة ولن يكتفي الفرنسيون بالمساعدة فقط كما يظن حقي العظم وانما يريدون استعمار الشام بأجمعها وقد تحقق ظن الرصافي بعد ذلك وصدقت نبوءته فيما بعد لانه ثار عنـــدما عقدوا مؤتمرهم في باريس وتمنى أن يكون مؤتمرهم في بلد ليست له مطامع استعمارية فهو متفق معهم في الحاجة الى الاصلاح لكنه يجب ألا يكون في ظل حكومة فرنسا فقال :

لو كان في غير باريس تألبهم ما كنت أحسبهم قوما مناكيبـــا
لـكن باريس مازالت سياستها ترنو الى الشام تصعيدا وتصويبا
ولم تزل كل يوم من سياستها تلقى العراقيل فيهـا والعراقيبا
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتها جيش يدك من الشام الاهاضيبا[٦]

وكان الرصافي يذود عن حياض الاسلام والمسلمين لانه ربي تربية دينية ، وكان من أشد ما يؤلمه اولئك الذين يتخذون من تأخر المسلمين وتخاذلهم سببا للطعن في الدين الاسلامي ، لذلك يسرد البراهين ويأتي بالادلة ، ويسوق الحجج ليبعد تهمة التأخر والانحطاط عن الدين الاسلامي نفسه •• فالدين الاسلامي لم يكن السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة والمدنية•• وانما كان عاملا قويا في تقدم المسلمين الاوائل وازدهار المدنية •• وسعادة الانسانية قرونا •• ثم ان واقــع

٥) شنق جمال باشا السفاح عبدالغني العريسى خلال الحرب العظمى الاولى
٦) ديوان الرصافي ص ٣٩٦

الدين الاسلامي بنصوصه وتعاليمه تثبت ما له من فضائل ومميزات فهو الـــدين الذى يدعو الى المساواة بين البشر فلا فرق بين غني وفقـــير أو صعلوك وملك فهم كلهم اخوان متساوون في الحقوق والواجبات ولا فضل لاحدهم على الآخر الا بالاعمال الصالحة وتقوى الله لان الدين الاسلامي في طبيعته لم يخلق طبقات من أبناء البشر ولم يفاضل بين ذوي المجد وبين مقطوعي النسب فقال الرصـــافي يؤيد رأيه :

وما ترك الاســلام للمرء ميزة — على مثلـــــه ممن لآدم ينتمي
فليس لمثر نقصه حق معـــــدم — ولا عربي بخسه فضـل أعجم
ولا فخر للانســـان الا بسعيه — ولا فضـل الا بالتقى والتكرم[٧]

وفي ديوان الرصافي الشيء الكثير من شعر ينافح فيه عن عقيدته • وهناك شاعران آخران ألف كل واحد منهما كتابا في الذب عن الدين الاسلامي هما محمد حبيب العبيدى الموصلي وجميل صدقي الزهاوي •

فالزهاوي آلمه أن تظهر الدعوة الوهابية لانهـا دعوة تنادي بشيء جـــــديد يختلف عما ألفه العثمانيون ، انها دعوة تدعو الى قومية عربية وهذا تهديد لكيان الدولة العثمانية فيؤلف (الفجر الصادق) ليهاجم فيه الوهابيين ويقول : الوهابية دعوة رفعت راية العصيان وتجاهرت بوخيم عدوانها وسمى الوهابيين بالجماعـة الباغية[٨] وحفظا للجامعة الاسلامية رأى ان الخلافة لايشترط فيها أي شرط فلا يجب أن يكون الخليفة اماما ولا معصوما ولا أن يكون علويا أو قرشيا[٩] كل هذا ليمهد الى القول بأن حكم آل عثمان حكم شرعي ولم يكتف بهذه الشرعيـة بل يوجب على المسلمين طاعة السلطان العثماني ويعتبر العـــاصى كافرا لا يؤمن بالنبي ولا بالقرآن حيث يقول :

من كـــان يؤمن بالنبي محمد — وبما أتى من منزل القـــرآن

---

٧) ديوان الرصافي ص ١٣٠
٨) الفجر الصادق طبع مصر سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥) المقدمة
٩) الفجر الصادق ص ٧

علم اليقين بأنه في دينـــــه   وجبت عليه طاعة السلطان[١٠]

ولسنا بصدد صدق عقيدة الزهاوى أو كذبها بعد أن تنصل من هذا الكتاب وادعى انه اضطر الى تأليفه خوفا من السلطان ولكن يهمنا الكتاب نفسه لانه عكس روح العصر التي كانت تسيطر يومذاك على الكتاب وقد مثل الزهاوى هذا الدور أصدق تمثيل •

أما العبيدي فقد كان السبب الذى دعاه الى تأليف كتابه « حبل الاعتصام و وجوب الخلافة في دين الاسلام » أقوى وأعمق من السبب الذي دعا الزهاوى • لانه رأى أن الوهابيين أرادوا أن ينقوا الدين من شوائبه وانهم دعوا الى الاصلاح العام الشامل • ولكن الخطر كل الخطر في المستعمر الذى يريد أن يقضى عـلى الدين ويهدم الخلافة • لهذا فقد دافع عن الدولة العثمانية التي تمثل عقيدتــه ودينه ضد مستعمر بعيد عنه في كل شيء ضد بريطانيا التي تريد أن تقضى عـــلى الخلافة الاسلامية •• وقد صرح برأيه هذا قائلا : ان الغرض من تأليف هذا الكتاب الدعوة الى اتحاد المسلمين وتحت رسالة الهـلال وقد برهن في الفصلين الثاني والثالث على أن الخلافة الاسلامية قائمة بالدولة العثمانية[١١] وتزول الخلافة بزوال الدولة العثمانية ويرى استحالة قيام خلافة جديدة مكانها ثم يسبغ عـــلى الخلافة قدسية في الفصل الاول اذ قال أن الخلافة الاسلاميـــة خلف النبوة بل النبوات وانها واجبة قبل كل واجب ديني ••• وعندما يهاجم بريطانيا فهو يهاجمها لانها تريد أن تزيل الدولة الاسلامية من وجه البسيطة والقضاء على الخلافة التي هي كعبة السياسة للمسلمين والرابطة الكبرى للشعوب الاسلامية[١٢] وفي ظل

---

١٠) وقد كان رجال الدين يتقربون الى السلطان بوسائل شتى منها البحث عن الاحاديث المنسوخة وغير الصحيح منهـــا فلا يرون للملوك الا ما كان حثا على طاعتهم مثل قولهم (قلب السلطان بين اصبعى الله يقلبه كيف شاء) وقولهم (الملوك ملهمون) وقولهم (اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) كل ذلك يفسدون به أخلاق الملوك تقربا الى جفانهم •• لاحظ (المعلوم والمجهول) مصر سنة ١٩٠٩ ص ٤٣

١١) هناك كتاب آخر باسم (جنايات الانكليز) طبع في بيروت سنة ١٩١٦

١٢) حبل الاعتصام بيروت ١٩١٦ ص ١٢٠

الوحدة الاسلامية لن تجد فرقا بين المسلمين فهي قوة واحدة تقف أمام كل اعتداء على المسلمين في أي قطر من الاقطار فاذا دخلت روسيا ايران أو دخلت ايطاليا طرابلس أو حاربت بريطانيا الدولة العثمانية ، نجد الفتاوى من علماء الدين تنشر لتحث المسلمين جميعا الى محاربة الكفار في ديار الاسلام(١٣) فالاعتماد على الرابطة الاسلامية معناه اعتماد على شعوب كبيرة لها سيطرتها وقوتها لذلك كان السلطان يحرص كل الحرص على هذه الرابطة لانها الوتر الحساس الذي يضرب له الغرب والمسلمون • فاذا أرادت الدولة أن تبني اسطولا فتكون الدعوة للمساهمة في هذا البناء باسم الدين وباسم المحافظة عليه فيجد المسلمون لزاما عليهم هذا التبرع وهل هناك من لا يريد أن يحافظ على الدين الاسلامي أو يريده معرضا لخطر الكفار فلا عجب ان دعا محمد طاهر السماوى النجفي الناس الى التبرع والمؤازرة باسم الدين فقد تصور سير الاسطول في البحر وحده يكفي المسلمين فخرا وعزة ومنعة لذلك من المحتم أن يتبرع في سبيل انشائه الصغار والكبار لانه اسطول اسلامي حينما قال :

وبحق المجد قد ناشدتكم ... يا حماة المجد شيخا وغلاما

أن تساعدوا في بناء هذا الاسطول لان فيه أبطال المسلمين وأحلافهم وهؤلاء هم الذين أبلوا بلاء حسنا في المعارك عندما فتحوا الاقطار لرفع راية الاسلام وحينما قال :

فيه أبناء الميامين الالى ... دوخوا الاعداء حربا واصطلاما
من بنى الاسلام أو أحلافهم ... كل مشتاق الى الحرب غراما
فتحوا الامصار قدما بالضبا ... تنفد الاكباد أو تنقف هاما(١٤)

ولم تكن الروح الاسلامية مقصورة على ناحية من نواحي الشعر او على اتجاه معين وانما كانت مسيطرة على كثير من قصائد الشعر التي كان يمدح بها

---

١٣) مجلة لغة العرب ج ٧ كانون الثاني ١٩١١

١٤) جريدة الرقيب ١٠٤ السنة الاولى ١٣٢٨هـ

القواد والولاة • فعندما يمدح الشاعر واليــــا أو قائدا فهو يمدحه لانه يؤازر الخليفة الاسلامي ولانه يد قوية ترمي الاعداء الذين يريدون ان يعتدوا عــلى الدين الاسلامي • وان السلطان العثماني هو الخليفة وانه امير المؤمنين وهــــو انسان لاينتخب الا من يجد فيه المقدرة والكفاية الحربية والادارية والفكرية •• ويهتز الشعراء طربا للانتصارات العثمانية ، والحروب التي يفوز بهـــا الجيش العثماني •• لانها حروب في سبيل اعلاء راية الاسلام والمسلمين ومن امثلة ذلك عبدالرحمن البناء[١٥] فهو يفرح بهذا الانتصار العثماني لان الانتصار فيه حفظ لمركز الخلافة فقال :

حافظوا مركز الخــــلافة حتى   عاد ماحاول العدى مستحيلا[١٦]

ومثله الشاعر علي البناء[١٧] فقد مدح القائد خليل باشا في معركة الكوت[١٨] لانه رأى الجيش الاسلامي العثماني الذي يقوده خليل باشا قد انتصر على جيش الكفار الذين يريدون كسر راية المسلمين وقد رجع هؤلاء الكافرون خاسـئين ذاهلين فقال يخاطب القائد :

لقد خفقت رايات عزك بالنصـــــر   واطفأت في ماضي الشبا سورة الكفر
امدك رب العرش في الجند هيبـــة   ملأت قلوب الشرك فيهامن الذعر

ثم يهنىء الاسلام بالنصر الذي أحرزه القائد ويطرب للانتصار الذي ناله ثم يمدح السلطان رشاد فخر الاسلام بقوله :

لتهنى بهـــذا ملة الدين انـــه   سرور بني الاسلام في كل ذي قطر
وتكسى فخارا آل عثمان سرمـدا   بما فيهم قد شد للدين من ازر
وسلطانها الغازي رشاد عمـــادها   وفخر بني الاسلام بل مفخر الفخر[١٩]

---

١٥) لايعد عبدالرحمن البناء من شعراء الطبقة المعدودة فهو ذو قابلية شعرية فياضة ولكن لم تقدر له ظروف المعرفة العالية والدراسة المنظمة
١٦) جريدة صدى الاسلام ٢١٥/١/١٣٣٤هـ
١٧) لم يكن من الشعراء المشهورين
١٨) سنتحدث عن هذا مفصلا في فصل تال في حروب الدولة العثمانية
١٩) صدى الاسلام ٢٦٦ في ٣ شعبان ١٣٣٤هـ

ولم تكن هذه الروح الاسلامية مقصورة على شعراء بغداد الذين لهم اتصال مباشر بمركز الحكومة وقد تكون لهم مصالح خاصة انما كان ذلك في جميع انحاء العراق دون فرق بين الطوائف والقوميات فقد تغلبت النزعة الاسلامية على كل نزعة ووقفت كل الطوائف الاسلامية بشهامة تناصر الدولة العثمانية في جميع حروبها • فعندما اعلن الجهاد في الحرب العظمى على خصوم الدولة العثمانية كان العلماء الاعلام يحفزون الشعب على الدفاع عن الدين الاسلامى فقد نظم كاظم آل نوح خطيب الكاظمية قصيدة تشيد بالانتصارات العثمانية لانها تمثل انتصارات المسلمين فيقول متسائلا :

احرز المسلمون في هذه الحـــرب انتصارا لم ينس في كل جيل
أأهيل الناقوس تغلب في الحـــرب اهيـــل التكبير والتهليل

ثم ينظر بازدراء الى جيش الكفر الذي يحارب العثمانيين ويصفهم بأنهم كالسوام التى تريد ان تحارب الاسود ولكنها عادت فاشلة :

من هم الكفر انما هم ســـوام أفتخشى السوام اســـد الغيل
قفل الكفر عن اســـود الغيـــل خاسئا ذاهـــلا باثر قفـــول(٢٠)

ومن الشعراء المشهورين الذين ناصروا الجيش العثمانى من النجف الاشرف محمد علي اليعقوبي حيث أسماه الجيش الاسلامي الذى يحرس الدين والوطن ويشيد ركن الايمان فترتفع ذرى الاسلام شامخة :

حييت في الحرب بنصر الرحمـــن يا كالىء الدين وحامي الاوطـــان
شيدت في بيضك ركن الايمـــان واصبح الاسلام عـــالى الشـــان
ومجدنا عـــاد رفيع البنيان(٢١)

ولم تكن هذه المناصرة مقصورة على شاعر او طبقة فقد نظم في هذا الباب محمد مهدى البصير ومحمد رضا الشبيبي وكاظم الدجيلى كما سنراه مفصلا • فقد قال البصير مخاطبا وزير الحربية العثمانية انور باشا عندما زار العراق

---

٢٠) صدى الاسلام ١٥٨/١/١٣٣٤هـ
٢١) صدى الاسلام العدد ١٧٢/١/١٣٣٤هـ

كم وقفة لك دون ملة احمـــــد فيها برأيك بل بسيفك تنصر[٢٢]

وبقى الحنين طويلا نحو الدولة العثمانية لانها تمثل الاتجاه الاسلامي حتى بعد افول نجم هذه الدولة واندحارها واحتلال الانكليز العراق ، فقد نظم كاظم الدجيلي قصيدة يؤيد فيها الملك حسين لكنه عطف على الدولة العثمانية بقلب ملؤ الاسى والاسف والحسرة لما حاق بها ولم يكترث بما سيلقاه من الدولة الانكليزية مع ان القصيدة قد نشرت زمن الاحتلال البريطاني فقال :

سلام على ابناء عثمان وافـــــر فدولتهم اضحت بايدى مواليهــــا

ثم يهيب بباني الدولة العثمانية واشهر سلاطينها بان يقوموا من قبـــورهم لان دولتهم اصبحت بيد الاعداء وان عاصمتهم غدت محتلة من قبل الاجانب :

اعثمان قم وانظر الى الملك مهملا فدولتك العليا قد انحط عاليهــــا
أفاتح اسطنبول فانهض لحفظهـــا فقد حكمت فيها عداك مواضيهــــا
غزتها رجال كنت تغزو بلادها وتفتحهـــا قهرا فسموك غازيهــا
سليمان فاجلس للعزاء فدولـــــة تكفلتها قد مات بعدك حاميهــــا
واصبح فيها ضاحك السن باكيـــا ومادحها بالامس ذا اليوم راثيها[٢٣]

وقد قال السيد عبدالمطلب ان العرب والترك اخوان يجمعهم الدين وللاتراك فضل لانهم قد حموا الدين من الكافرين فخاطب العرب بقوله :

اقول للعرب ان الترك اخوتكـــم والدين اما لكم اضحى معا وأبــا
ماذا الذى قد نقمتم منهـــم وهمـــو في اول الدهر شادوا للهدى قببــا
هم الذين أقاموا الدين في قضب في حدها عاد حبل الكفر منقضبا
وحطموا بالضيا الاوثان وانصلتوا الى الكنائس حتى حطموا الصلبا[٢٤]

وقد خاطب الشبيبي معاتبا الاتراك على ما قدموه من اساءات وكيـــف

---

٢٢) صدى الاسلام العدد ١٨٣ من السنة نفسها
٢٣) دار السلام العدد الاول السنة الاولى سنة ١٩١٨ ونشرت بتوقيع ك٠د
٢٤) شعراء الحلة جـ٣ ص ٢٠٩

ان العراقيين صفحوا عنهم وعن زلاتهم كل ذلك حتى لاتتفرق الوحـــــدة الاسلامية التي تربطهم بها مع ماقتلوا وشنقوا واسروا[٢٥] وقد كان الرصافي صريحا كل الصراحة في ندب ايام الدولة العثمانية وقد اظهر وفاءه لايامهم مع انه يلومهم لانهم فرطوا في حقوق العراق وتركوه نهبا بيد العدو اذ راح يملأ نفس الشعب املا بعودة العثمانيين لانقاذهم من الاستعمار البريطاني ، فقد فضل ان يبقى العراق عثمانيا على ان يكون مستعمرة بريطانية فقال يرد على سليمان نظيف الـــذي يعاتب العراقيين على لسان دجلة :

انا باق على الوفاء وان كـــــا   نت بقلبي ممن احــب جــراح
فاليهم ومنهم اليوم اشكــــو   بلغيهم شكـــايتي ياريـــاح[٢٦]

ويتحسر الزهاوي على ايامه التي قضاها في زمن الدولة العثمانية فيقول :

اين عزي في دولة الاتـــــراك   انا ممـــــا فقدته انا باكـــــي
كنت بالامس راضيا عن حياتـي   وانا اليوم من حياتي شـــاكي[٢٧]

ولم تخمد الروح الاسلامية وقد بقيت مسيطرة على نفوس العراقيين طويلا حتى بعد ظهور الروح القومية وفشل الجامعة الاسلامية ويأس دعاتها من تحقيقها ومن الشعراء الذين لهم اثر كبير في تاريخ الادب في العراق الرصافي فهو من الذين لم يتغير في رأيه وعقيدته فقد نظم قصيدة في الحرب العالمية الثانية يقــول فيهـــــا :

قل لمن رام صدعنا بشقـــــاق   انت كالوعل ناطـــح الصفـــوان
ويك ان الاسلام اوجد فينـــــا   وحدة مثـــل وحدة الرحمـــن
فاعتصمنا منها بحبل وثيـــــق   هو حبل الاخـــاء والايمـــــان
ليس معنى توحيـــــدنا الله   الا اتحـــــادنا في الكيــــان[٢٨]

---

٢٥) ديوان الشبيبي ص ٢٦ ــ ٢٩
٢٦) ديوان الرصافي ص ٤١١
٢٧) اللباب ص ٦٥ بغداد ١٩٢٨
٢٨) ديوان الرصافي ص ٤٦٧ وقد أخبرني سيادة الاستاذ مصطفى علي انهــا نظمت بعد الحرب العالمية الثانية

الدستور العثمانى

ـ ٣ ـ

كان اعلان الدستور العثمانى بداية عهد جديد في التفكير العربى عامة والعراقى خاصة فقد اثر كثيرا في تغيير الاتجاه العقلى وفتح الاذهان على مثل جديدة والفاظ حديثة لم تكن مألوفة لاهل القرن التاسع عشر وما نشأوا عليه من استبداد مطلق وتحكم في رقاب الناس ، فقد تفاءل الشعب به كثيرا في ارجاء الامبراطورية العثمانية وظنه يخصب الارض ويثري الفقير ويكسى العريان ويشبع الجائع ويطلق للناس حرية كاملة في التعبير عن آرائهم بصورة مطلقة لاتحدها قيود ولا تقف امامها حدود .

اعلن ا لدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ فكان صدى اعلانه كبيرا على الشعب وخاصة الشعراء فقدفرحوا فرحا شديدا به وبدتعلائم الفرحةتسري فيشعرهموقد انقسم هؤلاء الشعراء الى قسمين او اتجاهين :

الاتجاه الاول وقد ضم جماعة ممن عاشوا على التراث التقليدى وهوامتداد للقرن التاسع عشر في اسلوبه ومعالجته للموضوع فوجدنا في شعرهم المبالغة ورصف الالفاظ ، والاطالة التى تطفح بحشو يخرجهم عن الموضوع الذى نظموا فيه فقد يبدأون القصيدة بالغزل او بمدح انسان ويبعدون عن الموضوع كثيرا وعن اساسه ومن امثلة هذا الاتجاه حسن العذارى ، وصالح الحلى ويكاد ينضم تحت هذا اكثر شعراء النجف .

والاتجاه الثاني انبثقت تياراته من شعراء ابتعدوا عن اجواء المساجد والبيئات الدينية الصرفة وانضموا الى ركب الحياة الواقعية وفي هذا الاتجاه وجدنا بذور التطور الحديث تنمو في اسلوب الشعر ومعانيه واغراضه واهدافه.. وقد كان هؤلاء من الشباب المندفع الذي اوتي حرارة الشباب وحماسة العمر فأيدوا الدستور باندفاع ، فقد أخذ الزهاوي والرصافي يخطبان في الناس ويشرحان لهم فوائد الدستور[١] وقد كان محمد رضا الشبيبي عضوا من أعضاء حزب الاتحاد والترقي العاملين[٢] كما انضم الازري الى حزب الائتلاف[٣] والواقع ان الشعراء آزروا الدستور العثماني آملين فيه المساواة مع الامم الاخرى، والحرية للتعبير عن آرائهم ، والعدالة التي يجب أن تشمل بلادهم[٤] فجاء شعرهم أناشيد تطفح بالحرية والتغني بمحاسنها ومزاياها وما ستدره على الناس من خير ، ثم تطرقوا في شعرهم الى مساوىء الاستبداد والطغيان والحكم المطلق ، الحكم الدكتاتوري الفردي ، الذى يؤدي دائما الى الانحلال والتقهقر ونشر الفساد وهدر قيمة الشعب في جميع الامور والاعتداد بشخصية الحاكم مهما كانت تافهة جاهلة .

ومن أمثلة شعراء الاتجاه التقليدي السيد عبدالمطلب الحلي فقد وجدت له قصيدة يندد فيها بالعهد الاستبدادي الذى كان مخيما على الشعب وما جره هذا العهد على البلد من فساد وفوضى ثم يشيد بالعهد الدستورى الجديد . والقصيدة تطفح بالمبالغة ويكثر فيها الحشو وتعتمد على المحسنات اللفظية ففي الابيات الثلاثة التالية يقول :

---

١) سحر الشعر ص ٥٢ مصر ١٩٢٢
٢) معروف الرصافي ـ طبانة ـ ص ٧ مصر ١٩٤٧
٣) الادب العصري ج٢ ص ٥١
٤) ومن هؤلاء خيري الهنداوي فقد وقف قلمه على نظم القصائد وكتابة الفصول في تحبيذ الحرية والدعوة لها ـ الادب العصرى ج٢ ص١٦٢

لك الامر فاحكم بالذى أنت عالم ... فمن ذا يرد الحكم والله حاكـــم
عن القـــائم المهدى قمت بأمره ... أيا قائما أنهى له الامر قائـــــم
عزمت فأغرمت المليك وقـــد نجا ... بحق الهـدى والمتلف الشيء غارم

في الابيات جناس اشتقاق بين حكم وحاكم ... وجناس تام بين القـــائم المهدي الامام الثانى عشر والقائم الممدوح ... وفي الفعلين عزم واغرم جناس تصحيف في حرفين .. ثم نجد الطباق والمقابلة في المتلف والغارم ... الخ ذلك

ويستمر في القصيدة على هذا النسق الى أن يصل الى القصد فيهاجم الجور، الظلم ، والاستبداد ، الذى يحطم المستبد كما حطـــــم عبدالحميد الذى لو عدل بين الرعية وساوى بينهم ونشر لواء الحرية والمساواة لما أصبح رهين القيد كسيرا ذليلا وبعد ذلك يتطرق الى مدح اولئك الذين أفاءوا على الشعب بالحرية والعزة وهم اعضاء جمعية الاتحاد والترقي(٥) الذين زحفوا من سلانيك بعزموقوة وايمان لارغام الجبار على التسليم بحقوق الامة فيقول :

فهبت رجال من (سلانيك) أيقظت ... الى العدل عين الحزم والحزم نائـــم
رجال هم الاســـــد الضراغم صولة ... لدى الروع لا اسد العرين الضراغم
دعو للتســاوي دعوة وطنيــــــــة ... أجاب لها منهم جهول وعالــــم(٦)

ويمتدح بعد ذلك الخليفة الجديد محمد رشاد آملا في عصره الخيروالرفاه والسعادة ولا يخرج عن اسلوب القرن التاسع عشر من حيث العناية بالالفاظفيقول انه بيض وجه الملك الذى سودته المظالم وأصبح ثغر الليالى مبتسما ...

---

٥) بشأن حركة الاتحاد والترقي يراجع المقال The Young Turk Movement في كتاب صدر في نيويورك عام ١٩٢٤ اسمه : Modern Turkey وقد ألف من قبل Eliot G. Mears الصفحات ما بين ٤٧٦ ـ ٤٩٠

٦) شعراء الحلة للخاقاني ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٦ جـ٣ نجف ١٩٥٢ وله قصيدةاخرى يمدح فيها الاتحاد والترقي ص ٢٠٩ ويراجع تفصيل طريف في الفصـــل الثاني عشر من كتاب (عبدالحميد ظل الله على الارض)

أما الشاعر الآخر الذي نأخذه مثلا لهذه الطبقة فهو الشيخ حسن العذاری فقد بدأ قصيدته بغزل متكلف ليس فيه روح وتأبى الروح أن تسري في أوصاله ثم يتخلص منه الى مدح السلطان محمد رشاد ويراه بدر الخلافة ينير الدولة العثمانية ويبشر الامة بأن عهده عهد العدالة ومحق الظلم وقد تساوى في زمنه الشعب أو الرعية ثم يطيل في قصيدته ويخلص الى مدح حزب الاتحاد والترقي الحزب القوي الامين الوطني المخلص الذي قضى على استبداد عبدالحميد وعلى أيامه فيقول :

ما الانتظار وما القعود ذوي النهى ... شرف (الترقي) بابه لا توقب
لا تقعدوا متكاسلين عن العلا ... من شاء أن يصل الغزالة يتعب[٧]

أما الاتجاه الشعري الثاني الذى ناصر الدستور فهو اتجاه العصر الذى كان يعيش فيه هؤلاء الشعراء ومن هؤلاء معروف الرصافي الذى نظم كثيرا[٨] في الدستور وناصره مناصرة المؤمن به الحريص عليه فوصف يوم اعلانه وكيف استقبل الناس هذا الاعلان ووصف مشاعره وتطرق في شعره الى مجلس المبعوثان وما يأمل على يد هذا المجلس من الخير للشعب ثم هاجم السلطان عبدالحميد ممثلا للاستبداد والحكم المطلق والجور والطغيان ثم ناصر الجيش الذى عزل هذا السلطان وقضى على حركة الرجعية التى أرادت بالبلاد الشر والفساد وأرادت القضاء على الدستور . وعندما لم يطبق الاتحاديون نصوص الدستور ولم يرعوا حقوقه شكا اليه بحرقة وألم مما حاق به وبالبلاد من عدم تطبيق أحكامه ، ولما سقطت وزارة الاتحاديين سجل هذا بقصيدة . ويكاد الرصافي ان يكون المؤرخ العراقى لهذه الفترة من حياة الامة .. هذه الفترة الحافلة، فترة نضال بين شعب يريدان يسترد حريته وبين رجعية تريد أن تنقض عليه وتستعبده خادما مطيعا ذليلا .. لذلك كانت أفراح الرصافي أفراح شعب أو أفراح شعوب في الشرق أو في الغرب عندما فرح بالدستور .. وغنت الدنيا طربا به .. عندما زف رجال الجيش هذا

---

٧) شعراء الحلة ٦١ ـ ٦٥
٨) لاحظ ديوان الرصافي الصفحات ١١٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٣

الدستور للشعب .. فأقبل الشعب شاكرا راضيا فقال :

سقتنا المعالى من سلافتها صـــــرفا   وغنت لنـــا الدنيـــا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا   فأهلا بما زفت وشـــكرا لمن زفا
فاصبح هذا الشعب للسيف شاكرا   وقد كان قبل اليوم لايشكر السيفا
ورحنا نشاوى العز يهتف بعضنا   ببعض هتافا يصعق الظلم والحيفا
ولاحت لنا حرية العيش عنـــدما   أماطت لنا الاحرار عن وجهها السجفا(٩)

وقد شارك عبدالمحسن الكاظمي في مهجره بالاشادة بالدستور بقصيدة طويلة جاوزت المئة بيت فقد رأى الدستور خفاق اللواء وان ذكره العاطر قد انتشر بين المحافل ، وتبرز لنا اشواق الكاظمى للدستور شعور الناس وما انتابهم من غبطة وسرور بهذا الاعلان وبذلك قد ثبت ان جميع أبناء الدولة العثمانية أو رعاياها قد فرحوا بهذا الاعلان آملين خيرهم وسعادتهم .. وقد رسم الكاظمى صورة طريفة وصف فيها مشاعر الناس وحالهم بعد ما تخلصوا من العبودية .. وغدوا جميعا اخوانا وصفهم وهم يتعانقون ويصافح بعضهم البعض .. شأن كل عمل خير يعود على الامة فيوحد بينها .. وتطغى على الشاعر الفرحة وموجة التفاؤل.. فيوجب احياء الليل والنهار في هذا العيد الذى لا يدانيه عيد انه عيد الانسانية جمعاء عيد الحرية وما أجمله من عيد فيقول :

هو العيد أحيوا ليله ونهـــــاره   وحيوه بالبشر الذى هـو لائـــق
وما مثل هذا العيد عيد تجلـــة   جميع الورى أعداؤه والاصادق(١٠)

فرح الكاظمى وهو في مصر وكانت مصر منقطعة الصلة السياسية بالعاصمة الا بالاسم فراح يهتف باسم الشعب ويهتف للحرية التي ستعم العثمانيين وغير العثمانيين لان الاقلام ستكون طليقة حرة تكتب ما تريد وتعبر عن الرغبـــات

---

٩) ديوان الرصافي ص ١١٣
١٠) مجموعة شعر الكاظمى جـ٢ ص ١٢٦ مصر ١٩٤٨

بصراحة وبأمانة لا تخاف من السلطان ولا من أعوانه وبذلك فقد دالت دولة الظلم بعد أن قاسى الشعب من ارهاقها ما قاساه من الآلام وعانى ما عاناه من تحمل الذل والهوان ثم يصف الثقة بالمصلحين وبما يحققه الدستور للشعب بقوله :

ولما تبدى للعيان تيقنوا بأن بروق المصلحين صوادق
اذا ما دعوا للحق صمت وجلجلت مسامع أخزاها الهوى ومناطق
أجابوا نداء الشعب رغم انوفهم وقالوا سلاما والصدور حوانق(١١)

وقد سرّت ثورة حزب الاتحاد والترقي على السلطان محمد رضا الشبيبي لانه يرى ان الثورة تحقق مطالب الشعب باعلان الدستور ، لان الدستور كالنور الذي ينبعث في الظلمة الحالكة فيحيلها عالما واضحا مشرقا جميلا بعيدا عن الاشباح والمخاوف . فتعم الفرحة الشعب بهذه الاشراقة الحبيبة وتخطر النجوم فرحا وابتهاجا بالدستور .. وكيف لا تضحك البحار وتبتسم النجوم وتشرق الدنيا وقد تحرر العبد وانتشرت الحرية بين الشعب

طرقت وضاحية النهار دجنة والحر عبد ، والدنى أملاك
فاضاء عنها البرق ينبض عرقه سلكا عليه حلى السنا أسلاك
ضحك المحيط لوقعها وتبسمت عن ثغر أنجمها لها الافلاك(١٢)

أما الزهاوي فيلقي خطبة طويلة بعد اعلان الدستور عندما تعقد جمعية الاتحاد والترقي في بغداد اجتماعا ويرى ان الدستور العثماني قد حقق العدالة ثم يصف هذه العدالة بالفتاة الجميلة وقد تجمع حولها الاحرار يحمونها من المعتدين والمستبدين ثم يتطرق الى فضل الحرية على الامة التي تطلق الشعب من أساره فلا يعرف الذل الدائم عندما تنشر ألويتها ويعرج على الظلم يندد به ويهاجم الظالمين الذين يسوقون الشعب بالسوط ويحكمونه بقوة الحديد ويسخرونه دون أن يراعوا له عاطفة او احساسا فيقول :

---

١١) المصدر السابق ص ١٢٩
١٢) ديوان الشبيبي ص ٥٢ طبع مصر سنة ١٩٤٠

والظلم مفسدة ما حل في بلـــد ... الا وأزعج فيـــه أي ازعـــاج
قد أعلنت للورى حرية فمضــى ... زمان سخرة ذي أمر وقرباج[١٣]
وأطلقت كل نفس من اســـارتها ... هذا الذى كان يرجو نيله الراجي[١٤]

وللزهاوي قصيدة اخرى بلغت خمسين بيتا نظمها بعد اعلان الدستـــور وموت صديقه وزير الحربية رجب باشا وفيها تطرق الى شعار الاتحاديين (الحرية والعدالة والمساواة) وأثر هذا الشعار في حالة الشعب ويقف عند العدل ويشبهه بالغانية الجميلة التي تحلت بالاحجار الكريمة فبدت زاهية حالية[١٥]

ومن الذين عقدوا الآمال الجسام وطربوا طربا شديدا عبدالرحمن البناء فقد رأى الحرية فتاة حلوة الشمائل رقيقة السجايا لطيفة المزايا وانهـــا ستغمر الشعب بهذه المحاسن وضمن شعره بكلمة مشروطة التى اخذهامن المشروطية[١٦] التي يرى العدل بها منتشرا والجور موليا الادبار ناجيا هاربا من العدل الساطع الانـــوار •

أما ابراهيم منيب الباجهجي فقد نظر من زاوية اخرى زاوية الاحزاب فقد رأى الدستور يهدم بناء المفسدين بعد أن شاد الاحرار مجدهم شامخ الـذرى سامقا بين الشعوب وان دولة الاسلام ارتفع نجمها بين الامم لان يوم الدستور هو عيد الشعب ، وهل غير الحرية والدستور من أماني هذا الشعب حين قال :

يوم تهـدم ركن المفسدين بـــه ... وقد تشيد للاحرار صـــرح علا
يوم به خاب حزب المستبد وقـــد ... ولى ونال بنو الشورى به الاملا[١٧]

هكذا كان حال الشعراء الذين عكسوا أفراح الشعب وأمانيه وأحلامه في الدستور وفرحوا بالانقلاب الجديد واصفين بشعرهم ما كان للدستور من أثر في

---

١٣) القرباج ــ السوط ــ تركية ــ
١٤) الكلم المنظوم بيروت ١٣٢٨ ص ١٨٣
١٥) الكلم المنظوم ص ١٨٥ وديوان الزهاوى ٢٧٤ و٢٧٥
١٦) صدى بابل العدد ١/٥٥ شعبان ١٣٢٨هـ
١٧) زنابق الحقل طبع بغداد ١٩٣٩ ص ١٢٠

جميع الشعوب من مختلف الأجناس ومتنوع الأديان والقوميات .. لأن الدستور معناه المساواة بين الناس دون النظر الى أي اعتبار الا كونهم مواطنين ، بيد أن عبدالحميد نكث بعهده الذى قطعه في المحافظة على الدستور وأغرى الصحف بمهاجمته وتلمس الاسباب المفتعلة للقضاء عليه معتمدا على بعض رجال الدين للقيام بحركة رجعية . مما دفع بالجيش الى أن يستعمل القوة ويدخل الاستانة ويحاصر قصر عبدالحميد (يلدز) ويشتبك مع رجال عبدالحميد ويحمل السلطان على التسليم ويقبض على أنصاره ويعدم عددا منهم ... وتجتمع الجمعية العمومية فتعزل عبدالحميد وتولى السلطة السلطان محمد رشاد في ٢٧ من نيسان ١٩٠٩[١٩] .

هذه السياسة الرجعية للقضاء على حقوق الشعب التي حصل عليها تبدو واضحة في شعر هذه الفترة ويبرز اسم الجيش واضحا وينظم الشعراء في تمجيده وتخليده ، ويهاجم الشعراء سياسة عبدالحميد التى انتهجها تلك السياسة الظالمة سياسة التفرد بالحكم وجر البلاد الى الانحطاط والتدهور والتأخر وكبت حريات الشعب ، والتنعم بملذات الحياة ويقف الرصافي على رأس هؤلاء الشعراء العرب فيصف زحف الجيش الذى قدم من سلانيك الى الاستانة لقمع الحركة الرجعية التى تناصر حكم السلطان عبدالحميد وتؤيد سياسته[٢٠] .ويصف جنود هذا الجيش الذى وحد الهدف السامي بينهم رغم اختلاف اديانهم وقومياتهم وهل هناك هدف أسمى من الحرية والمساواة والعزة والكرامة ، يوحد الشعوب فتسير من اجله نحو المنية ؟. فيقول :

فكانوا الجيش ألف من جنود ... مجندة ومن متطوعينا
تراهم فيه متحدين عزما ... وما هم فيه متحدين دينا

---

١٩) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين ، مصر ١٩٥٤ ص ٣٠
٢٠) في ديوان الرصافي وصف لاحد المشنوقين الرجعيين ص ٢١ ويلاحظ جريدة الرقيب العددين ١٥ و١٧ من السنة الاولى سنة ١٣٢٧هـ بصدد حركة بعض القبائل لمناصرة السلطان عبدالحميد وقمعها من قبل يوسف باشا . وفيها شعر لمحمد طاهر السماوى .

هي الأوطان تجعل من بنيهـا اخاءا في محبتهـا رصـينا
وتتركهم اولى أنف كبـارا يرون حيـاة ذي ذل جنونا
وان الموت خير من حيـاة يظل المرء فيهـا مستكينـا

لقد رأى الرصافي ان ضياع الدستور وكبت الحريات ونجاح الحركـة الرجعية التى يقوم بها السلطان عبدالحميد ما هى الا العودة بالشعب الى عهـد الاستبداد وتحكم الفرد بالجماعة ايثارا للذته وشهواته ورغبـة في اعادة الظلم والجور والطغيان الى سابق عزه وضراوته على ابناء الشعب فقال :

فقد هاجوا على الدستور شـرا بدار الملـك كـي يستعبدونا
هم الاشرار باسم الدين قامـوا فعاثوا في المواطـن مفسدينـا

ولكى يضرب مثلا حيا للطغاة ودرسا خالدا للظالمين استمر في وصفـه دخول الجيش الى قصر يلدز والقبض على السلطان عبدالحميد وارساله سجينا الى سلانيك لانه لم يرع حرمة الدستور واليمين التى حلفها من اجل صيانتهفقال:

لقد نقض اليمين وخان فيهـا فذاق جـزاء من نقض اليمينـا
وقد كانت به البلدان تشـقى شقاء من تجبـره مهينـا
فكم اذكـى بها نيران ظلـم وكم من اهلها قتل المئينـا[٢١]

والرصافي شاعر الحرية لم يكتف بقصيدة واحدة للدفاع عن الشعب وعن حقوقه انما كان مثلا حيا ولسانا ناطقا معبرا خير تعبير عن امانى الشعوب فقـد وقف نفسه في سبيل الذود عن الشعب وعن حريته ومحاربة الجور والحكـم الفردي وفي ديوانه الشعر الغزير ، نظمه في مناسبات كثيرةومن هذهالقصائد ماكان منها قبل اعلان الدستور وبعده[٢٢] وبذلك الدليل الواضح على ان الشعب كان له

---

٢١) ديوان الرصافي القصيدة ص ٣٧٤ ـ ٣٧٧
٢٢) لاحظ في ديوان الرصافي الصفحات ٤٥ و٦٣ و١١٦ـ١٢٢ و١٦٢ـ١٦٤ و٣٧٧ـ٣٨٠

من شعور واحساس بمرارة الظلم والاستبداد قبل ان يوقظ الدستور حماسة بعض الشعراء فيدفعها الى النظم ومن هذه القصائد تلك التى نظمها بعد سقوط عبدالحميد خاطب فيها القصر (يلدز) الذى كان يطفح بالغبطة والسرور والصفاء والى جانبه شعب يفيض بؤسا وشقاء وآلاما • فيخاطب ملوك العالم وطغاته جميعا ويجعل من عبدالحميد مثلا ودرسا يجب على الملوك اتخاذه عبرة حتى لاتسول لهم نفوسهم يوما بالاعتداء على حقوق الشعوب بخنق حرياتها واهمال مصالحها لان عاقبة الظلم والطغيان وخيمة تجر على صاحبها الويل ، وما تقييد الملوك لحريات الشعب الا لخوفهم من ثورته التى تركتهم يعيشون في رعب وجزع من هذه الحرية •• التى تجرهم الى مصيرهم المحتوم

يامِلوك الانام هلا اعتبرتم بملوك تجور في الافعال
ليس عبدالحميد فردا ولكن كم لعبدالحميد من امثال
فاتركوا الناس مطلقين والا عشتم موثقين بالاوحال
هل جنيتم من التجبر الا كل اثم عليكم ووبال(٢٣)

وقد كان لاعمال عبدالحميد اثر كبير في نفوس بعض الشعراء فقد لاحقوه حتى في سجنه وتصوره يلوم نفسه حسرة والما على ما قدمت يداه ، وما فرط في حقوق الشعوب التى كان يحكمها •• ذاكرا تلك الايام العذاب لائما الدهر الذى انزله من عرشه بينما اصبح الذين كانوا رعايا اسياده وحكامه والمتصرفين في امره فيقول ابراهيم منيب الباجهجى

ارقت ومالي مؤنس غير وحشتي وتسكاب دمع صاعد من حشاشتي
افكر في ماض سعيد قضيته فاعقبه دهرى الخؤون بشقوتي(٢٤)
سقاك الحيا يامعهد الانس والمنى فبعدك شابت بالفراق شبيبتي

ويخاطبه عبدالعزيز الجواهرى بقوله :

٢٣) ديوان الرصافي ٣٧٧ـ٣٨٠
٢٤) زنابق الحقل ص ١٣٧

اراك اسير احزان وقيـــــــد وكنت اراك ترسف في السرور
وقد كنت الامير على الســـــرايا فكيف رسفت في قيـــد الاســـير
غريب لو جزيت الخير لكـــــن جزيت الشر يا شر الدهـــور
لقد اوغرت صدر الجند حتـــى اراك الله عاقبة الغـــــرور[(٢٥)]

وقد شارك عبدالمحسن الكاظمي اخوانه في العراق في لوم الاستبداد واعتبر عبدالحميد ممثلا له وان عهده عهد المآسي والاحزان التي انصبت على كل الشعوب التي كان يحكمها •• وبعد ذلك يعرج في القصيدة الى نكث عبدالحميد للعهـــد الذي اقسمه في حماية الدستور والمحافظة عليه ولا يكتفي بذلك انما ينـــدد بعبدالحميد ويهجوه هو واصحابه الذين شنقهم الجيش ويقول لهم ان المطامـــع الشخصية هي التي ساقت هؤلاء الى حتوفهم وكم سقطت من اجل تلك المطامع رؤوس :

حسبت زمان السوء يخلد عمـره فيمرح عات او يتيـه منافـــق
وفاتك ان الدهر يعطي وينثنـي فيسلب والمغرور بالدهـــر واثق
الا قاتل الله المطامع كم هـــوى بها من عل شيخ وضل مراهق[(٢٦)]

ليست العبرة بوضع الانظمة والخطط والدساتير انما العبرة في التطبيق وفي مدى استجابة الشعوب للنظم الجديدة •• ولكن المحتاج تطربه رؤية المال ،ويزيد من طربه ان يقال له ان هذا المال معد لك •• فيبني الآمال العراض حتى يعتقد ان الامر اصبح حقيقة •• وهذا ماحدث في الدستور العثماني فقد كان الناس بحاجة الى الحرية والمساواة والعدالة وبحاجة الى مايشبع نفوسهم واجسامهم فعندما اعلن الدستور انبعثت هذه العواطف تهتف من اعماقها •• تحيي هذا المولود الحبيب الذي سيحقق لها ماتريده •• وقد شملت الفرحة كل فرد في اجزاء الامبراطورية العثمانية •• فكيف لايشمل النواب الذين سيكونون حراسا لهذا الدستور •• ان

---

٢٥) الادب العصري جـ٢ ص ١٦٦
٢٦) ديوان الكاظمي ص ١٢٨ ـ ١٢٩ جـ٢

الفرح الواسع والامل العريض المجنح رسم للناس صورا خيالية اعتقدوا بانها هي الواقعية • لان ايام الطغيان والاستبداد والسخرة وطولها افقد الناس التميز الذهنى او التوازن العقلى وكانت نقلة الدستور وما اثير حوله من دعاية كافية لترسم للشعوب الخيال واقعا ذهبيا عذبا يفيض بالسعادة ويرفل بالهناءة وكأنهم يعيشون في جنات عدن التى وعد بها المتقون •

وهاهم نواب العراق يرون الاصلاح وشيكا وهاهم يتصورون العراق قطرا مزدهرا بالخصب والرخاء والزراعة في ظل العهد الجديد عهد الحرية والمساواة والعدالة ••

يخطب علي علاء الدين في حفل تكريمى لتوديعه قبل سفره الى الاستانة فيقول : « •• اننا والثقة بعونه تعالى وتوفيقه في عزم اكيد على محافظة حقوق القطر العراقى خاصة •• والممالك العثمانية عامة وبذل الجهد فيما يعود على صلاح هذا الوطن العزيز الذى استحكمت فيه الرابطة بين اصناف جميع الرعية كائنا من كان ، فانهم على اختلاف مذاهبهم ، واديانهم ، وتشعب فرقهم ، وآرائهم يرمون الى غاية واحدة ، هى سلامة الوطن باستخلاصه من حضيض التلف الى اوج السعادة والشرف » ولا يكتفى النائب بما ذهب اليه من تفاؤل يرفع به العراق من الحضيض الى الاوج وانما يشرح الاعمال التى يقوم بها فيقول (علينا التوصل بكل وسيلة الى ما يعود لسعادة الخطة العراقية التى لها من عظيم الاهمية فوق مايعلمه اهلها • ونجهد كل الجهد في حصول الاسباب الكاملة بترقى زراعتها وتجارتها وامنيتها وانتظام ادارتها من اعمارهاوتسهيلطرقها والوسائط النقليةفيانهارهاوداخلهاوخارجها)(٢٧) والرجل مخلص كل الاخلاص في قوله وصادق النية وهذا دليل واضح على مدى تفاؤل الناس بالعهد الدستورى الجديد ولكن هل فكر بكل شيء قاله هذا النائب وهل له علم بمقدار الاصلاحات التى يجب ان تقوم بها الدولة والمبالغ التى يجب ان تتوفر لانجازها ، والامبراطورية تركة من فساد وانحطاط واهمال في جميع المرافق •• ان ساعات الخيال حلوة ولا تريد ان تهبط الى الواقع •• ومتى

---

٢٧) أعلام العراق ـ القاهرة ١٣٤٥هـ ص ٧٤

اصطدمت به ردت قوية مثل اصطدامها •• ولم يكن علي علاء الدين وحده فهذا معروف الرصافي تذهله الفرصة •• فيرى في المجلس النيابى الشمس التـــى تشرق لتبدد دياجير الظلمات الحالكة ويظن في اعلان الدستور ايذانا بزوال الظلم وسريان الحق في مجراه الطبيعى لان المجلس كالسماء التى تظلل الشعـــوب العثمانية كلها •• ولانه نادى الحق والشورى والعدل •• ويظن ظهور الدستور في الدولة العثمانية بادرة خير سوف تعم الشرق كله فقال :

ياشرق بشراك ابدى شمسك الفلك	وزال عنك وعن آفاقك الحلـك
اضحى به القوم احرارا قد اعتصموا	من النجاة بحبل ليس ينتبـــك
ناد به القول عن اهليه مستمــــع	والحق متبـع والامر مشترك(٢٨)

هذه الفرحة ، وتلك السعادة ، والامال العراض العذبة الجميلة التـــى عمت النفوس كان من الصعب ان تترك بسهولة • ان الخيال المجنح والامال الواسعة التى رسمتها الاخيلة الجائعة صدمتها الحقيقة وكانت الصدمة قوية لذلك استحالت الفرحة الى ألم دفين ومرارة لاتطاق • لان الشعوب ارادت المستحيل من الدستور الجديد فتصوروا ان اعلان الدستور وحده سوف يحيل الافكار الى عسل ولبن فتغدو البلاد مزدهرة والنفوس متمدنة متعلمة وسوف تنتشر المصانع والمعامل في طول البلاد وعرضها وان جميع الاوضاع الفاسدة ستصلح ، وفاتهم اهم مقوم واساس كل اصلاح فاتهم ماتحتاجه هذه الاصلاحات من اموال ومن ايد فنية وخبـــرة طويلة •• بل فاتهم ما كان عليه القائمون على الانقلاب من اخلاق •• وانهم لن ينقلبوا ملائكة في ساعات معينة وانهم بشر لهم مطامعهم الخاصة ورغباتهم الفردية وقد عاشوا في عهد كله فساد وانحطاط ولا بد من ان يؤثر الفساد في نفوسهـم وعقولهم وتصرفاتهم ـ الا من عصم ربى ـ وهذا ماحدث في الدولة العثمانية عندما قامت جمعية الاتحاد والترقي بعملها وعزلت عبدالحميد •• فوجدت الخزينة قد انحرفت على الافلاس •• واجدبت الاراضى نتيجة لاهمال الرى المتوالى • وانتشرت الامراض لعدم وجود اطباء وعشعش الجهل لعدم الالتفات الى العلم واختل النظام

٢٨) ديوان الرصافي ص ٣٨٢

لحرمان الدولة من ايد حازمة نظيفة امينة وتفشت الفوضى ..(٢٩) كل هذا مع عوامل كثيرة سيطرت على الدولة العثمانية والشعوب العثمانية جعل من المستحيل ان تتم الاصلاحات في فترة قصيرة والدستور وحده لافائدة منه اذا لم تعد له اسباب التقدم وما لم يكن الشعب نفسه مستعدا للسير في الحياة الدستورية وممارستها ، ولقد كان الصدى عميقا في نفس الرصافي الشاعر النائب الذى ردد أناشيد الغبطة والسرور بالامس فقال اليوم :

شكاية قلب بالاسى نابض العرق — الى قائم الدستور والعدل والحق

اى شكاية اشد ايلاما من قلب ينبض بالاسى والاحزان وما اشد وقع الالم على غير استعداد له وما اصعب الانتقال من السرور الى الحزن لذلك فهو لايرى لغير الدستور والعدل والحق اى سلطان وبذلك يطلب المستحيل في هذا العصر الذى ضاع فيه الدستور واهين العدل وهدرت كرامة الحق فيجأر شاكيا من كبد محترق قائلا في تعجب غير مصدق بما يراه :

فهل ايها الدستور تسمع شاكيا — بك اليوم يرجو ان يرى نهضة الشرق
لقد جئت من افق الصوارم طالعا — علينا طلوع الشمس من منتهى الافق
فصادفت منا امة قد تعشقت — لقاءك حتى جاوزت مبلغ العشق
ولم تبد عنفا حين جئت وانما — هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نرجى منك للخرق راقعا — ولكن تراخى الامر متسع الخرق
بك اليوم اشقانا الألى انت مسعد — لديهم فيا لله للمسعد المشقي

---

٢٩) هناك كثير من الكتب التي تبحث في العصر العثماني التركي منها

١ ـ The Caliphs, Last Heritage
وقد ألفه سر مارك سايكس النائب في مجلس النواب البريطاني صاحب المعاهدة المشهورة عن سياحة قام بها باحثا فيه حياة الاسلام منذ تكوينه حتى العهد الذي ساح فيه . ومركز الخلافة العثمانية . طبع في لندن سنة ١٩١٥ .

٢ ـ تركيا وقد ألفه Kirk Wood, Toynbee
طبع في لندن سنة ١٩٢٦

وبعد هذه الاستغاثة الواضحة بما حصل له في قوله (يا لله للمسعد) يظهر ماحاق بالشعب من جراء تحكم الاتحاديين في تأليف الوزارات حسب ما تشتهى مطامعهم واغراضهم فيقول : هم الذين استأثروا بالخيرات ولم يتركوا للامـــة شيئا عندما جعلوا الدستور الذى ارادته الامة بكل قواها اداة للرزق والاثـــراء وغدا آلة لمصالحهم على حساب الشعب :

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به ... وسدوا على من حولهم طرق الرزق
كأنا لهم شاء فهم يحلبوننـــــا ... وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزق
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها ... ولم يتركوا للساكنين سوق المذق[٣٠]

ويقف « علي الشرقي » وقفة الحائر في امر العراق • اذ انه رأى اعلان الدستور لم يغير شيئا من حالة العراق العامة وكأن هذا الحدث الذى كان مقدرا له ان يدر على العراق الخير الوفير لم ينله بشيء والعراق متأخر وقد عبر عن حيرته بشعر غير واضح الهدف ولجأ الى اللف والدوران ولم يقدر الا ان يقول :

نطقت بحاجتها الشعوب وافصحت ... وارى عراقى واجمـــا لاينطـــق
وكأن هذا الشرق سفر غرائـب ... اضفى عليه الدارجـون وعلقـــوا
ختمت صحائفـه وجئنا بعدهـا ... حتى كأنا فيـــه فصل ملحـــق
ماذا تغير والبـــلاد بأهلهـــا ... بغداد بغداد وجلق جلـــق[٣١]

اما « البناء » فقد كان اوضح قصدا وافصح مرادا من علي الشرقى فقـــد

---

٣٠) ديوان الرصافي ص ٣٨٩ و٣٩٠ وله قصـيدة لم تنشر في الديوان وقـد نشرت في جريدة الرقيب العدد ١٥٦ـ١ سنة ١٣٢٧ مطلعها :
« ارى بغداد تسبح بالملاهى » وقد اخبرنى سيادة الاستاذ مصطفـــى علي ان الرصـافي لم يلحقهـــا في ديوانه عنـــدما كان حيا • وللزهاوي قصيدة مطلعها
لا تنتظر لعصـــابة رشـــدا ... فيهـا تساوى الرأس والـــذنب
هاجم فيها جمعية الاتحاد والترقي مهاجمة عنيفة ويبدو لى انها نظمت بعد الحرب العالمية الاولى : راجع اللباب ص ٥٩ طبع بغداد ١٩٢٨

٣١) عواطف وعواصف ص ١٩٨ بغداد ١٩٥٣

طالب بالاصلاح ولام نواب العراق الذين ذهبوا ليمثلوه في مجلس الامة دون هوادة فقال معنفا :

فقولوا لنواب العـراق أما لكـــم تفاغلتمو عنا باعلى المـــــــراتب
يشق علينـــا جبنكم وخمولكـــم ولو كنتم نسل الكـــرام الاطايب

ويحث النواب على الدفاع عن حقوق الشعب والمطالبة بالاصلاح فيقول:

فليس انتخبناكم لاصلاح حالكـم فنحن انتخبناكم لـــدفع النوائـب
فلا تجعلوا للصمت فيكم سجيــة فــرب كلام فاق سيف المحــارب

ويضع حالة الامة المتأخرة بين ايديهم وما حاق بها من انحطاط حتـــى لايبقى لهم عذرا بقوله :

فما عذركم في امة قد تقهقــرت ولم يبق فيها غير حسرة خائب(٣٢)

ومما زاد في هذا التشاؤم العنصرية التى انتهجها رجال الاتحاد والترقى وكان الالم ممضا اذ وجدت الشعوب فراغا في حياتها وكان هذا الفراغ واضحا فقد كان يربطهم بالدولة الدافع الاسلامى ولم يكن هناك ما يركنون اليه بعـد دهاب هذا الرابط وفقدان شيء تعود عليه المرء يضاعف في نفسه الالم والحزن٠٠اذ اضمحلت الروح العثمانية التى كانت تميز بالاسلامية ورعايتها للاسلام واخـذ يهدد العرب تيار التتريك الجديد الذى اخذ يهددالعرب في لغتهم وقوميتهم وحياتهم

لذلك اندفع العرب نحو جهة جديدة ليسدوا هذا الفـــراغ ٠ وليحافظوا على كيانهم العربى ولغتهم ٠ فظهرت بوادر القومية ونمت واخذ العرب ينظرون الى انفسهم عنصرا واحدا له ماللاتراك من حق في الحياة وله قوميته كما ان للاتراك قوميتهم،بل ان للعرب تاريخا مجيدا حافلا بالفخر لايدانيه تاريخ الاتراك ولهذا طالبوا بالانفصال عن الاتراك وتأسيس دولة توحدهم وتجمع شتاتهم وتدافع عـــــن مصالحهم المشتركة ٠

---

٣١) ديوان الشرقي ص ١٩٩

٣٢) صدى بابل ٢/٧٥ سنة ١٩١١ ٠ ويراجع ديوان الزهاوي ص ٨٠ ولـه قصيدة في الاتجاهات الادبية) يهاجم فيها قادة الاتحاد والترقي ص ٦٦

حروب الدولة واثرها في الشعر

ـ ٤ ـ

كان لحروب الدولة العثمانية اثر كبير في اثارة حماسة الشعراء فقد ايدها الشعراء تأييدا مطلقا يدفعهم الشعور الدينى لانهم كانوا يرون في حروب الدولة العثمانية دفاعا عن الكيان العثمانى الذى هم جزء منه ، ضد اطماع اوربا (الكافرة) التى تريد القضاء على الدولة (المسلمة) وبذلك قضاء على العرب والشرق[١] فلا نعجب ان نرى اجماع الشعراء على الذود عن الدولة العثمانية ضد اى عدوان عليها وقد كان من جراء هذا الشعور ان تطورت اساليب الشعر وتقدمت عما كانت عليه في اوائل القرن التاسع عشر والثامن عشر فقد احس الشاعر انه جزء من هذا الكيان العام وان مصالحه الفردية غدت مهددة ورأى انه مسؤول عن كل شيء في هذه الدولة • فقد هزته الحروب العامة كما هزته من قبل الحياة الدستورية ورأى شيئا جديدا يسمى المساواة مع الامم الاخرى • فلم يعد يتمنى ان يقبل اذيال الوالى ويتوسل ان يقبل يديه[٢] كما تمنى التميمى ، كما انه لم يسف في شعره

---

١) بلغ من تعصب احد كتاب فرنسا ان اقترح حلا للمسألة الاسلامية التي دوختهم القضاء على المسلمين ونبش قبر الرسول الكريم ونقل عظامه الى متحف اللوفر بباريس (الاتجاهات الوطنية ص ٢ من تاريخ الاستاذ الامام ص ٨٠١ لمحمد رشيد رضا القاهرة ١٩٣١).

٢) ديوان التميمي ص ١٠٢ و ٤٠

ويهدر كرامته ليكون اداة تسلية واضحاك للوالى[٣] فقد ظهرت على شعره سمة من الاعتزاز بالنفس وبالكرامة الانسانية ورأينا الشعر يرتفع في موضوعه واهدافه عن اهداف من سبقه يبتعد رويدا رويدا عن المبالغات وانسابت في الشعر روح في طياتها عاطفة الشعر واحساس الشاعر ولم يكترث كثيرا برصف الالفاظ ، وانتقاء العبارات وبذل جهد كبير في المحسنات اللفظية • وأخذ الشاعر ينافح صادقا عن امته ووطنه •

وقد نسي الشعراء جميع مساوىء الدولة العثمانية وتناسوا آلام الماضي الذى هيمن على العراق حتى يؤازروا الدولة صفا واحدا ملتفين حول راية واحدة هي راية المسلمين خوفا من تفريق الشمل وبعثرة القوى يدفعهم الدافع الديني العميق والدافع الذاتي الحساس وقد كانت كل الحروب التي يشنها الغرب ذات أثر واضح في عواطف المسلمين والعرب ومن هذه الحروب التي ظهر أثرها في الشعر العراقي في هذه الفترة ، حرب اليونان ، سنة **١٨٩٧** وحرب طرابلس سنة **١٩١١** وحرب البلقان سنة **١٩١٢** والحرب العظمى الاولى سنة **١٩١٤**[٤] •

حرب طرابلس

وهي أول حرب تصادفنا في القرن العشرين[٥] أثرت في اتجاهات الشعر

---

٣) الترياق الفاروقي في ص ٢٨٣

٤) يراجع بشأن هذه الفترة Turkey لمؤلفه Toynbee ص ٥٤ و٥٨ و٩٢ ــ ١٠٠ • طبع لندن ١٩٢٦ والاتجاهات الوطنية ص ٣٩ عن مذكراتي في نصف قرن ٢ : ب ٢٨٨ وما بعدها ومذكرات العسكري عن الثورة العربية ١٨ ــ ٢٦

٥) هاجمت ايطاليا طرابلس عندما سحبت الدولة العثمانية جل قواتها لمحاربة امام اليمن والادريسى في عسير فدخلت ايطاليا طرابلس وقد حاولت الدولة العثمانية اعادة ما استولى عليه الطليان لذلك اعدت حملة اشترك فيها عزيز المصرى القائد المعروف ومصطفى كمال باشا الذى أصبح زعيم تركيا الجديدة ولكن لعدم وجود وسائط نقل ولعدم تنظيم مسيرة هذه الحملة طال أمد الحرب وعند اعلان دول البلقان ، مثل الصرب وبلغاريا والجبل الاسود ، الحرب على الدولة العثمانية في تشرين الاول ١٩١٢

العربي عامة وفي العراق بصورة خاصة فقد شنت ايطاليا الحرب على طرابلس الغرب تريد امتلاكها واستعمارها ومتى كانت الشعوب ترضى بالاستعمار بدلا عن الحرية ، والذل بدلا عن الاستقلال لذلك أخذ أبناء البلاد بقيادة السنوسيين يدافعون عن أوطانهم بكل ما يملكون من قوة مضحين بالغالى والرخيص للمحافظة على الاستقلال بعد أن باءت الدولة بالفشل في المحافظة على بلدهم وقد كان يدفع الشاعر العراقي دوافع كثيرة لمؤازرة طرابلس منها حق الحياة والحرية وما له من صلات وثقى بينه وبين أبناء طرابلس من دين وعروبة وبغض الاستعمار فثارت كل هذه العوامل في نفوس الشعراء ودفعتهم نحو الانتصار لهذا القطر العربي المناضل في سبيل حريته وكرامته وحياته فثار على أوربا المستعمرة وتطوع الكثيرون من جميع الاقطار وخاصة أبناء مصر(٦) لكي يدافعوا عن طرابلس الغرب ولكي يقفوا أمام المحتلين المعتدين وللدفاع عن الدين الاسلامي وقد الفت كثير من اللجان لجمع التبرعات(٧) واثارة الناس باقامة الحفلات ومن تلك الحفلات حفلة النادى العربي في الاستانة(٨) التي ألقى فيها محمد حبيب العبيدى خطبة حث الناس فيها على مساعدة الاسلام في طرابلس ، ثم أعقبها بقصيدة تطفح

اضطرت الاخيرة الى طلب الهدنة من ايطاليا اذ أن الخطر غدا يهددها في عقر دارها وقد تم بعد الهدنة التنازل عن طرابلس لكن العرب لم يرضوا بالاستسلام فقد قاومت القوات الوطنية ثمانية عشر عاما حتى نفدت جميع الذخائر والعتاد ولعل من الطريف ان نذكر ان من المتطوعين كان ضابط نمساوى وآخر بريطاني .

٦) قال تحسين العسكرى وقد كان من ضباط الجيش العثماني الذين ارسلتهم الدولة لمحاربة الطليان : ان جمعية الهلال الاحمر ارشدتهم على الطريق المؤدي الى طرابلس ثم زود بأربعة آلاف ليرة انكليزية ذهبية اعانة من الشعب المصري لمجاهدي طرابلس الغرب .. وقال ان الحرب ضمت كثيرا من أبناء الاقطار العربية من سوريين وعراقيين .. (مذكراتي عن الثورة العربية ص ١٦ ، ١٤)

٧) الاتجاهات الوطنية ص ٣٥ لاحظ مصدره

٨) الادب العصري ص ١٤٨ (مصر ٩٢٣) وقد جاوزت القصيدة ال ٥٠٠ بيت

بالحماسة الدينية والوطنية ورأى ان الشرق مسؤول كله عن الذود عن حياض طرابلس لان الغرب هو الذى يهاجم الشرق في مهاجمته لطرابلس ولا يقل الشرق قدرة وكفاية عن الغرب غير ان أبناء الشرق كسالى خاملون ركنوا الى الدعة والهدوء فلذلك اتخذ طريق شحذ هذه الهمم الخامدة والنفوس النائمة سبيلا له فقال :

كيف ترضى ياشرق ان يكسب الغرب فخارا من دونك العلياء
كيف ترضى ياشرق ان يمشى الغرب أماما وانت تمشى وراء

ويبرهن على ما للشرق من مكانة وقدرة بضرب الامثلة من التاريخ القديم الذى نشر النور فيه الشرق وكان مهدا للمدنية والعلم وان ربوعه كانت منبع العرفان والرقي والمفاخر فيقول :

من حمانا نور العلوم بدا فيها وعمت اقطارها الاضواء
نحن أحيينا ما أمات زمان الجهل مما قد أسس القدماء

ثم يجول الشاعر جولة طويلة في التاريخ الاسلامي والعربي مذكرا الشعوب الاسلامية والعربية بما كانت عليه من عزة وكرامة وسؤدد ويخرج بعدها من تلك الجولة الى حرب الطليان واستعمارهم لقطر عربي مسلم ويقف متسائلا كيف يرضى هؤلاء الاحرار أن يكون أذلة وكيف يرضون للاستعمار الحكم والسيطرة وهم الذين ماعرفوا الاستعمار الذى هو مرادف للموت فيقول :

أنسام الهوان دون المنايا انما الموت والهوان سواء
ليس دار الهوان للحر دارا انما الحر داره الجوزاء
يا بنى الضاد ان للضاد حقا ناطحت دون هضمه الآباء
ليت شعرى ما ينقم القوم منا ام على ابصارهم هناك غشاء
ليت شعرى ما ينقم العمى منا رب قوم ارض ونحن سماء[٩]

ولم يتخلف الكاظمى عن المشاركة في تأييد احرار طرابلس ـ في وطنه

---

٩) ـ الادب العصرى ص ١٤٨ ـ ١٥٢

الثاني مصر ـ فقد هزه الاعتداء على طرابلس فنشر قصيدة في جريدة المؤيد يحث فيها الشعب على انجاد طرابلس بالاموال والارواح والمسارعة في هذه النجدة اذ لم يعد الوقت كافيا للتأخير والتأجيل • وقد صور الكاظمي حال اخوانه العرب وهم صرعى على الثرى يتخبطون في دمائهم وقد وقفت النسوة خائفات في العراء وليس لهن من معين على هذه البلوى غير الدموع الغزيرة والزفرات الحرار والوحدة والحزن والهموم •• وقصيدة الكاظمي من روائع الادب العربي ففيها طفحت العاطفة الكريمة المبدعة •• وحدث من الشعور الانساني النبيل ، يرفعها الى مصاف الادب العالمي •••

وفي القصيدة وصف لطيف لجبن الطليان الذين اعتدوا على الآمنين والعزل فانهم حين خافوا أن يحاربوا في حومة الوغى رجال الحرب هاجموا هؤلاء العزل للانتقام من الاقوياء الذين دحروهم وأردوهم الى درك الهوان ••

وفي هذه القصيدة يدافع الكاظمي عن الدين الاسلامي الذين يصفه الغربيون بأنه دين متأخر دين الوحشية والعبودية •• ويضرب لهم مثلا ويتساءل فيقول :

أبعد هذا التناهي في تعصبهم   يعزى التعصب للاسلام والتهم ؟

ويرد عليهم ردا مقنعا بأنهم دعاة حرب لا دعاة سلام والا لما هاجموا قطرا آمنا واحتلوا أراضيه بالحديد والنار والدماء فيقول :

اين السلام الذى شادوا جوانبه   زعما خلوبا فلا شادوا ولا زعموا
قالوا « السلام » فنمنا واثقين به   اين السلام واركان السلام دم
أبعد ما شنت الطليان غارتها   وقام (مخدوعنا) بالسلم يعتصم
قالوا الحياد فقلنا ليس ذا عجبا   عن نصرة الحق كم حادوا وكم وجموا

ويصف لنا أخلاق الاوربيين من نكث العهود ، وحنث اليمين والوعود ، واهتضام حقوق الشعوب الضعيفة فيقول :

ان عاهدوا نكثوا أو أقسموا حنثوا   أو عاملوا عبثوا بالحق واهتضموا

ولم يهاجم « المحسن » الدين المسيحي كما هاجم الغربيون الاسلام ولم يعتد على قدسيته كما اعتدى الاوربيون على الاسلام انما قال ان الدين المسيحي

هو دين الحق الذى يدعو الى السلام والمحبة وانه يضم بين جوانحه الفضيلة والمعروف والبر والرحم وانما الطليان المستعمرون هم الذين ضربوا بتعاليم الدين المسيحي جانبا ولم يمتثلوا تعاليمه السمحة فاعتدوا على الشعوب الضعيفة الآمنة واقترفوا الآثام باسمه وهو برىء مما يدعون •

وتبدو انسانية الشاعر العربي بالدعاء لهم أن يأخذ الله بيدهم نحو الخير والسداد لانهم قوم جاهلون يفعلون ذلك جهلا وحمقا فقال :

رحماك يادين عيسى لاتؤاخذهم	اذا جنوا باسمك الفياح او ظلموا
اهلوك قد جهلوا الدين الذىاتبعوا	فحملوك خطاياهم وما علموا
حاشاك انت برىء من خلائقهم	ورب ذى كرم اتباعه لؤموا
وانت يا اكمل الاديان معذرة	مما عزاه لك الباغون واتهموا
انت الفضيلة والمعروف اجمعه	انت التقى والهدى والبروالرحم(١٠)

والقصيدة جاوزت المئة بيت كلها على هذا النسق • ولم يكتف الكاظمي بهذه القصيدة انما عرج على ذكر طرابلس عندما نظم قصيدة اخرى في حروب البلقان •

واذا تصفحنا ديوان الرصافي نجده قد نظم ثلاث(١١) قصائد حث فيها المسلمين على الحرب والدفاع عن طرابلس وقد نظر الرصافي الى هذه الحرب نظرة اخرى لم يرها حربا بين ايطاليا والدولة العثمانية للاستيلاء على طرابلس انما هي حرب الاستعمار الغربي الذى يريد أن يسيطر على الشرق لكي يستغله ويعبث بمقدراته والاستعمار ضارى ويبيد كل ما يقف أمام مصالحه فيجب أن يحارب الاستعمار نفسه الممثل في ايطاليا الطامعة لذلك كان اندفاع الرصافي رائعا في الذود عن طرابلس ومثلا حيا للحماس الديني • ومع هذه الروح فقد ابتعد عن مدح رجال الدولة العثمانية في شعره وكأنى به يلقى التبعة على هؤلاء الرجال

---

١٠) ديوان الكاظمي جـ١ دمشق ٩٩ـ١٠٩ ويلاحظ ص ١١٠ بصدد قصيدة البلقان

١١) ديوان الرصافي ص ٤٧٠ و٤٧٤ و٤٨٤

الذين تخاذلوا عن نصرة طرابلس وتركوها ضحية الاستعمار لذلك فقد صب كل شعره على الاشادة بالسنوسى وشجعه بكل قواه لانه كان وحده المصطلى بنيران الحرب وبلاياها • ويؤيد رأي الرصافي في الاستعمار وضراوته ورغبته في السيطرة على الشرق ما حل في مصر وتونس وكيف استباح الغربيون حمى هذه الاقطار المسلمة ••• لذلك فهو يخاطب أهل بنغازي والسنوسى مشيدا بشجاعتهم آملا أن يسير المسلمون جميعا الى نصرة طرابلس •• ولكنه يعرف سلفا ان آماله بعيدة عن أن يحققها مسلمون ضعفاء متناحرون متأخرون •• فيشكو الى الله ويقول مخاطبا السنوسى :

ومن مبلغ عنا السنوسى انه	يمدّ لهذا الصدع منه يد الرأب
فانا لنرجو ان يقود الى الوغى	طلائع من خيل ومن ابل نجب
فيحمي بلاد المسلمين من العدا	وينهض كشافا لهم غمة الخطب
فان حشا الاسلام اصبح داميا	الى الله يشكو قلبه شدة الكرب
فقم ايها الشيخ السنوسى مدركا	جنود بنى عثمان في الجبل الغربى

ومع ذلك فان قلب الرصافي مملوء بالامل والفوز وانه يأمل أن يؤازر المسلمون طرابلس في حربها وأن يفتكوا بالجموع المعتدية ويبيدوا جيوش الاستعمار وليس من السهل على الغرب استعمار المسلمين وسوف يرد الاستعمار خاسرا حسيرا لان المستعمر كاذب خداع يغتصب دون حق ويسيطر بالباطل على أرض المسلمين •• فيلتفت الرصافي ساخرا الى هؤلاء فيقول لهم :

أيا زعماء الغرب هل من دلالة	لديكم على غير الخديعة والكذب
تقولون ان العصر عصر تمدن	امن ذلكم قتل النفوس بلا ذنب ؟
ألم تبصروا القتلى تمج دماءها	على الارض والجرحى يئنون في الحرب
أفي الحق ام في العلم الا يسوءكم	ويخجلكم شن الاغارة للغصب[١٢]

ويؤكد سخريته في قصيدة اخرى من التمدن الذى يدعيه الغرب وتكذبه

١٢) ديوان الرصافي ٤٧٠–٤٧٣

وقائعهم وأعمالهم العدوانية وما ينشرونه على الشعوب الآمنة من الويلات والمصائب معددا مصائب الشرق التي جاءته من الفرنسيين في تونس ومراكش وما جنته يد الطليان في طرابلس وعبث الانكليز بحقوق مصر واحتلالها فيقول :

يقولون ان العصر عصر تمـــدن — فما باله امسى عن الحق مـزورا
الى الله اشكو في الورى جاهلية — يعدون فيها من تمدنهم عصـــرا
اتتنا بثوب العلم تمشّى تبختـــرا — الى الخير ، لكن قد تأبطت الشرا

ودليل الرصافي واضح في قوله :

لقد ملك الافرنج ارض مراكش — وقد ملكوا من قبلها تونس الخضرا
ففاجأنا الطليان من بعد ملكهـــم — لكي يسلبونا من طرابلس الامرا
وقالوا ألم تأت الفرنجة تونســـا — وهذى جيوش الانكليز اتت مصرا(١٣)

وقد كانت حرب طرابلس ـ شأن كل الحروب في هذا العصـــر ـ سببا عاطفيا هز المسلمين جميعا ولم يتخلف عن مساعدتها شاعر فقد اشترك الجميـع مخلصين في الدفاع عن حقوق طرابلس الغرب العربية المسلمة ، وكانت هـذه القصائد صدى عميق الاثر عكس وعي الرأي العام في الشرق العربي المسلم .. اذ كانت هذه العواطف صادقة بعيدة عن التزلف والمداجاة والنفاق فهـــم ذادوا بشعرهم عن طرابلس وسواها آملين بالثواب الآجل لا راغبين في الاجر العاجل من أمير او سلطان فهم زاهدون في عطف الوالى ورضاء الحاكم ، ويسمو الشاعر بعواطفه الكريمة يدفعه دافعان : الـــدافع الديني العميق الذي يربطـــه بهؤلاء العرب الذين تطحنهم رحى الاستعمار بدون رحمة ، والدافع الانساني الذى يرى أخاه الانسان يفقد حريته واستقلاله غير ان الدافع الديني كان أمتن وأقوى من غيره من روابط الشعر بطرابلس .. لذلك فقد أكثر الشعراء من النظم في هذا المضمار . غير ان بعض الشعراء لم يكونوا واضحي القصد صريحين صـــراحة الرصافي ... فلم يكونوا بيني القصد والغاية في شعرهم كالشبيبي (محمد رضا)

---

١٣) ديوان الرصافي ٤٧٤

فقد تحدث بصورة عامة عن الحروب وعن الغربيين دون أن يتطرق الى الحادث نفسه فالقصيدة بحد ذاتها لا تنطبق على حادثة طرابلس انما هى تنطبق على كل الحروب التي يشنها الغربيون ولولا ذكر (برقة) ووجود المقدمة الايضاحية للقصيدة لما عرفنا انها نظمت في حرب طرابلس •• فهي قصيدة شاعر عربي أثارته حروب الاجنبي على بلده فسقط منهم صرعى في سبيل الوطن فثار عندما رأى اخوانه العرب صرعى •• وهزته الروح العربية والنخوة القومية لتأييدهم•• والفخر بجهادهم وحروبهم فقال :

عرب على قسمات وجه وليدهم	متبين عنوان طيب المولد
لايطرقون الماء شيب نميره	وغدا مخاضة رائح او مغتدى
واذا الذئاب وردن ماء حرمت	اسد الثرى غشيان ذاك المورد
واذا اعتدى الباغى على اوطانهم	بطشوا به واروه عقبى المعتدى
اوما اتاك ببرقة نبأ التي	رمت البلاد بمبرق وبمرعد(١٤)

وتطفح القصيدة بالتهديد والوعيد وتفيض بالالم • أما أسلوبه الجزل فانه يعيدك الى العصور العربية ، عصور العناية بالسبك الجيد الرصين وبالرغم من أن اسلوب القصيدة جزل قوي فقد بدأت صرخات الالم تئن في أبياته • وقد تطرق المشيبي الى الموضوع الذى يتمشدق به الغربيون بأنهم أصحاب حضارة ومدنية وانهم أصحاب التجديد والابداع فيرد عليهم متهكما بقوله :

انا دعونا العصر عصر تقهقر	فليدع عصر تقدم وتجدد
فماذا يرجى من وراء حضارة	عمي البصير بها وضل المهتدى
وجدت فاعدمت النفوس فضائلا	خلقت لها فكأنها لم توجد(١٥)

وهذه الروح العربية أثارت شاعرا آخر هو علي الشرقي وقصيدته تصلح أن تكون لاي موضوع عام في الحرب التي تثار بين العرب وبين أي فريق آخر

---

١٤) الديوان ص ١٩
١٥) الديوان ص ٢٠

من أعدائهم ، فلو حذفنا بيتين اثنين منها ضاع علينا المطلوب من القصيدة هذا الى انه ليس في القصيدة دعوة صريحة للقتال لمساعـــدة أهل طرابلس ولم يخص الشاعر الحادث الذى حاق بطرابلس الا بخمسة ابيات ختم بها قصيدته ، شبه فيها روما بالكلبة ثم جعل الكلبة حيوانا ناطحا له قرون فقال :

ما لروما فلا استوى عرش رومـــا فتلت ذيلهـــا وعجت نبـــاحـــا
جبنت عن نضال كل قـــوي فاغارت على الزوايا اكتساحـــا
نطحت برقة وبرقة واحـــات من النخل ما عرفن النطاحـــا
ابني العرب لابراح عن الحـرب والا عن الفخـار براحـــا(١٦)

وكان الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء أوضح أسلوبا واسطعقصدا من الشبيبى والشرقى فقد تجلت في قصيدته روح العالم القائد الذى يشعـــر بالمسؤولية الملقاة على كاهله وتجلت روح اسلامية اصيلة عميقة تطالب بالكفاح والنضال والمساعدة السريعة للمسلمين ، وصور الحادث تصويرا يدفع كل مسلم الى المشاركة العاجلة لما فيها من تأنيب واستفزاز ونداء لاغاثة الاسلام الذى صـــم المسلمون آذانهم عن سماعه فقال :

أيهـــا المسلمون هبوا فليس ال موت الى حيـــاتكم بهـــوان
قد دهاكم ويل فماذا التمـــادي واتاكـــم سيل فماذا التوانـــي
جاءكم جارف من الغرب تيـــا ر يهـد البنا واس اليـــاني
يستغيث الاسلام فيكم فيلقـــى عنه منكم تصامـــم الآذان
صارخا فيكم فهل من ســميع صرخات الاســلام والقــرآن

ولايكتفى كاشف الغطاء بهذا بل يحرج المسلمين احراجا ليتسثير همتهـــم وصمتهم ونخوتهم في سبيل مساعدة اخوانهم حينما يمعن بقوله :

---

١٦) ديوان الشرقى ١٨٤

ان بيض الوجوه سود اذا لـــم . تغدوا خمـــرا من النجيع القــانى
ان لبس الثياب خزى اذا لــم تجعلوها لكم من الاكفــــان
انكم والنساء ـ ما لم تـــذودوا عن حماهـا عدوكم ـ ســيان

ولايختلف الشعراء في ان هذه الحرب الغربية انما هى لتهديم الـــــدين وابادة المسلمين في الشرق وتقويض دعائمه في كل مكان • لانهم يرون الجامعة الاسلامية صخرة قوية تقف امام مطامعهم وغاياتهم فما على الغرب الا ان يحطم هده العقبة ليتمكن من استعمار الشرق •• وقد بدا في حرب طرابلس والحروب الاخرى التى شنها هذا المطمع الاستعمارى واضحا •

اظهر الغرب ما أجن من الغـــد ر وأبدى كوامن الاضــــغان
واحاطت بالمسلمين علـــوج ال بغـــى من كل جانب ومكـــان
يتشكى (المراكشى) اعتصــــابا وكشكـــواه يشتكـى (العثمانى)
واذا ولولت (طرابلس) في الغر ب اتاها العويل من (ايـــران)

وقد بذل قصارى الجهد في التأثير في نفوس المسلمين واراد ان يحفزهـــم للقتال فتفنن في صوره ثم التجأ الى الصور الانسانية النبيلة ليهز هذه المشاعر صور الايامى المشردات والاطفال اليتامى الباكين حسرة على ابائهم فقال :

كم نساء أضحت أيامـــى تعانـي من يتامى فقيدها ما تعانـــــي
تعقد الراحتين بالقلب مهمـــا نثرت بالدموع عقـــــد جمان
كم ثكول تشجى الحمائم بالنـــو ح فتبدى غرائب الالحـــان
ولكم ام واحــــد ذات رزء ما لها عن عويلهـــا من ثـــاني

ويسخر سخرية لاذعة من مدعي السلام الذين يسلبون دماء الضعـــاف على الارض باسم المحافظة على السلام وباسم المدنية والحضارة فيقول :

أفهذا وضع الســـلام على الار ض وهـــذا تمدن الانســـان

ولابد من الاشارة هنا الى ما حوت عليه القصيدة من سخط واضح المعالم على السلطان وعلى حاشية السلطان فقد قال صراحة ان الملوك يجب أن يحموا البلاد

لا أن يحموا عروشهم وتيجانهم بقوله :

ان عز الملوك في حفظها الامـــــلاك لا في العروش والتيجان

وصور هؤلاء الحاشية الذين غرتهم نعومة العيش وركنوا الى الدعة ناســين الشعب الذى يعيش في الفقر والفاقة ، لانهم غلف القلوب الا عن ترفعهم وملذاتهم عمي العيون الا عن مصالحهم الشخصية والا فأين الضمير الحي الذي يدفعهم الى أن يدرؤوا الضيم عن أوطانهم :

يصرع البغى اهلـه مستشـــيرا ... وعلى نفســـه سيجنى الجـانى
غير ان « الاسلام » ضلوا عن الحز ... م وناموا عـلى غــرور الاماني
انذرتهم وقائـع الدهـــر فيهـــم ... ناطقـات لهم بكل لســـان
فتعـــاموا عن العظـــات وهاموا ... بزخاريف نعمـــة وليـــان
استلانوا نعومة الغرب حتـــى ... راعهـــم منه نهشة الأفعـــوان
تركوا دينهـــم لدنيا ســـواهم ... رب ربـــح يكون من خســـران
واذا القلب كان أعمى عن الــر ... شد فماذا تفيده العينـــان
واذا ما اليدان لاتدفع الضيـــم ... فاولى بالقطع تلــك اليـــدان
ليت من لا يكون ذا حر ديـــن ... في البرايا يكون ذا وجـدان(١٧)

ولم تكن هذه الروح الدينية مختصة ببلدة عراقية دون بلدة ، ففي بغـداد وجدنا الرصافي والزهاوي ومن النجف كاشف الغطاء وها هوذا شاعر آخر من الحلة هو السيد عبدالمطلب الحلى وقد كان الحلى من الداعين الى العروبةوالقومية العربيةوالداعين الى الانفصال عن الدولة(١٨) ولكن الروح الاسلامية العربيةاستأثرت بجانب كبير من قصيدة له نظمها في مناسبة الاعتداء على طرابلس واحتلالهـــا والقصيدة سفر من التاريخ مما لم نجده في شعر غيره من الشعراء المعاصرين فقد تتبع نزول قوات ايطاليا في الساحل وذكر بعض وقائع هذه القوات مع السكان

---

١٧) الادب العصرى جـ٢ ص ٨٨

١٨) شعراء الحلة جـ٣ ص ١٩٦ والقصيدة ص ٢٣٠ ولم يتخلف البناء عن هذا المضمار فنظم في (ديوان البناء بغـــداد ١٣٣١هـ) في أثر الحروب لاحظ الصفحات ٩٨ ـ ١١٥ و ١٢١ و ١٢٥ و ١٢٩ و ١٤١

المناضلين ووقف موقفا نبيلا اذ رأى الصلح ذلة واستكانة وامتهانا لكرامة الدولة العثمانية أولا وللشعب العربي لذلك خاطب فكتور عمانوئيل مباشرة وأخبره ان الشعب لن يرضى بهذا الصلح ولن يكون صلحا ما دامت أقدامه تطأ الديارالعربية. وقال صراحة بان الصلح عار لحق بالاسلام والمسلمين ويجب ان يمحى ورجا السلطان العثماني الذى عقد الصلح برفض هذا الصلح الذى جلب العار على الأوطان واستئناف القتال لتطهير أرض العرب من الاستعمار ، والقصيدة طويلة حوت ضروبا متفرعة من الاغراض العامة لكنها امتازت بشىء بارز سيطر عليها هو الروح العربية والافتخار بالعرب وبالقومية العربية فقال :

أجهلتم بأننا ـ مذ خلقنا ـ عرب ليس ينزل الضيم فينا
ولنا نبعة من العز يأبى عودها ان يلين للغامزينا
قد قفونا آباءنا بالمعالى واليها أبناؤها تقتفينا
نحن قوم اذا الوغى ضرستنا لم نبدل بشدة البأس لينا

ويزهو والفخر يملأ أعطافه بقوميته وعروبته فيمدح العرب ويعدد شمائلهم الكريمة وفضائلهم السامية وأخلاقهم النبيلة ومحاربتهم للاعداء الذين يريدون أن يذلوهم ويستعبدوهم والعرب لا يرضون الذل وهم أبطال كرماء مغاوير فيهم من الصفات الانسانية الكريمة ما تجعل العربى يفخر بها وبهم • وبعد ذلك يؤلمه ما أنزل الطليان بهم فقد قتلوا الاطفال وذبحوا النسوة دون رحمة أو ان تردهم الانسانية عندما أبادوا حتى الجنين في بطن امه •• ويعدهم باليوم الذى سيأخذون حقهم كاملا من هؤلاء المستعمرين بقوله :

كم لنا بالواحات عندهم ثار عليها الضبا دما قد بكينا
تركوها مجازرا قد بكتها اعين الكائنات دمعا هتونا
كم نساء صبرا بها قتلوها وأبادوا طفلا لها وجنينا

ويتهدد الملك فكتور عمانوئيل على ما اقترفت يداه وجنت جنوده في الارض العربية بأن هذا الدين يجب أن يؤخذ بالجلاء عن أرض افريقيا لان افريقيا لاهلها وليست للمستعمر فقال :

قل لعمانوئيل لاصلح حتـــــى ترجعوا عن بلادنا خاسئيـــــا
قل لعمانوئيل لاصلح حتـــــى تذعنـوا تحت أمرنا طائعينـــا
قل لعمانوئيل لاصلح حتـــــى تقتضيكم بالمرهفـات الديونـــا
قل لعمانوئيل لاصلح حتـــــى من دماكم ظما القنا يرتوينـــا
قل لعمانوئيل لاصلح حتـــــى تصبحوا عن افريقيـا مختلينـا

هذا التأكيد الخطابي في الشطر الاول يدل دلالة واضحة على عزم الشاعر عن رغبة صادقة على القتال لغسل العار الذى لحق بالمسلمين ولم يملك نفسه حتى ينادي بأعلى صوته :

يارسولى للمسلمين تحمـــــل صرخـة تملأ الوجود رنينـــا
وتعمد بطحاء مكة واهتـــــف ببني فاطم ركينا ركينـــا

ويحز في قلبه الرقيق ذي المشاعر المرهفة هجود العرب والمسلمين فيصرخ بهـــم :

فالحراك الحراك يا فئة الله الى الحرب لا السكون السكونا

ولما كان الصلح عارا وان السلطان العثماني قد قبله مضطرا مكرها فجاء وفي اثره الهوان لم يصدق هذا القول فأخذ يتساءل عن حقيقة هذا الامر :

ابلغا عنى الخليفـة قـــــولا غثه في المقال كان سمينـــا
أبجد بالصلح ترضـى اقتســـارا هل كذا شأن امرة المسلمينا
كيف ترضى بالصلح والصلح عار ذاك يأباه سيد المرسلينـــا

وكانت للشاعر جرأة لم نجدها الا لدى قليل من شعراء هذا العصر ،ودافع هذه الجرأة الاخلاص والحب والتفانى في سبيل الامة والشعب ، والا لما كان الشاعر بقادر ان يقول (هل كذا شأن امرة المسلمينا) ، والشاعر موزع العاطفة الصادقة تارة بين العرب وطورا بين المسلمين فقد رأى الذين تربطهم روابط الدين والقربى يستعمرون • ولا بد من الاشارة هنا بان « الحلي » من الشعراء الذين

جددوا كثيرا في اسلوب الشعر واخرجه من قيود القرن التاسع عشر متخلصا من جميع الاستعارات الجامدة والصيغ المتكلسة التى كان يستعملها شعراء القرن التاسع عشر فقد اعتنى بالمعانى اكثر من عنايته بالالفاظ في قصيدته هذه (١٩)

حرب البلقان

والحرب الثانية التى هزت مشاعر الشعراء الاسلامية كانت حرب البلقان ففى عام ١٩١٢ عم الاضطراب البلقان وطالبت بلغاريا والصرب والجبل الأسود بالاستقلال الادارى عن الدولة العثمانية وكان عزيزا على الدولة وعلى ابناء الامبراطورية ان تنسلخ منها بعض اجزائها ومعنى هذا ضعف في كيان الامبراطورية الاسلامية • وزاد الطين بلة ان تقف اليونان مطالبة بجزرالارخبيل ورغم التسويات السلمية التى ارادتها الدولة العثمانية فقد باءت بالفشل فالشعوب بدأت تحس بان حريتها واستقلالها اثمن من اية تسوية فاعلنت الحرب وعقد مؤتمر لندن لتسوية هذه المشكلة خوفا من جر البلاد الى حرب عالمية فيضطر المؤتمر العثمانيين على التخلي عن ادرنة والارخبيل وجزره لكن ما كادت الوزارة توافق على هذا القرار حتى ثار حزب الاتحاد والترقي عليها واسقط الوزارة واستأنف القتال (٢٠) وقد كسبت الحكومةالعثمانيةبادىء الامر نصرا على هذه الدول ، فعمت الفرح والسرور جميع سكان البلاد الاسلامية لانهم شاعرون بان دول الغرب وراء هذه المطالب تريد ان يوهن من قوى دولتهم بيد ان هذا النصر بدا يتحول الى خسارة فتتقهقر الجيوش العثمانية وتسقط ادرنة ثم اخذت جيوش البلقان تتقدم نحو الاستانة عاصمة الدولة العثمانية وفي الطريق ترتكب جرائم انتقامية من المسلمين مما يزيد في الاسى والحسرة عليهم (٢١)

وقد واكب الرصافي هذا الحادث منذ بدايته عندما اراد السلطان رشاد ان يهدأ الخواطر بزيارته الى مقدونيا وبلاد الالبان راجيا ان تستقر الامور العامة ،

---

١٩) يمكن ملاحظة قصيدة باقر الشبيبي في شعراء الغري ج١ ص ٤٣٠ وقصيدة عبدالعزيز الجواهرى في الادب العصري ج٢ ص ١٧١ و١٧٢

٢٠) مذكراتى في نصف قرن ٢ـب ٢٨٨ ومابعدها

٢١) الاتجاهات الوطنية ص ٣٩ و٤٠ • يلاحظ المصادر

وحسب الرصافي ان زيارة السلطان رشاد تكفى لكى ينسى الشعب مطالبه لذلك خاطب حكومات البلقان قائلا :

قل للحكومات في البلقان هل علقت آمالكم من مواعيـــــد بانجاز
إن الذى تضمرون اليوم من طمع أمسى لاشعب يعزو مثله العـــازي
لم تعرفوا مذ لستم عرق نخوتنـــا اذ قــد لمستم بكف ذات قفـــاز
انا لنعرف لغــزا في ســياســتكم وما السياســـة الا بيت ألغـــاز

ووصف زيارة السلطان بانها زيارة عفو واحسان لان العفو اقرب للتقوى والى جلب القلوب المتنافرة • وقد كان الرصافي حريصا كل الحرص على الوحدة العثمانية وقوتها مهما تباينت هذه الاقوام والامم التى يحكمها ، فقال :

يا أيهـــا الملك السامي بحكمته والمبدل النـــاس من ذل باعزاز
قد عي في وصف مااوتيت من حكم كلا كلامي اطنــاب وايجـــاز
غزوت غزو سلام دون غايتـــه غزو الحروب فأنت الفاتح الغازي
ملكت بالعفو والاحســـان أفئـدة كانت الى السيف فيها بعض اعواز
وأنت لو شئت ارهابا لجئتهـــم بصـارم لنواصى القوم جـــزاز
لـكنما جئتهم بالعفو تأخــــذهم والعفو أفضل مايجزى به الجازي
فاغمد ســـيوفك ان العفو منصلت واهنأ بشعب محب غـــير منحاز
بالترك بالروم بالالبان قاطبـــة بالارمنيـــين بالبلغـــار باللاز
أما بنو العرب فالاخلاص يرفعهم الى مقـــام على الاقوام ممتاز(٢٢)

وعندما يستعد الجانبان للحرب ينظم الرصافي قصيدة يهدد فيها الصـــرب والبلغار ويهجوهم هجاءا مرا لانه لايراهم اهلا للقتال وان جيش المسلمين سوف يبدد شملهم ويبعثر قواهم • وبعد ذلك يمتدح الجيش العثماني وانه جيش خلق للقتال والنضال وجبل على البطولة والفداء ويهجو الصرب والبلغار فيقول :

ياعلوج الصـــرب والبلـــ ـغـــار أولاد الزوانـــي
لـــم يكن ايعـــادكم بالـ ـحرب غـير الهـــذيان

٢٢) الديوان ص ٤٠٣ و٤٠٤

انما الحرب لدينـــا من تمـــام الحيـــوان
فاتركوا الايعـــاد يا أبنـــ ـــحرب من شأن الجبـــان
ودعـــوا الحرب فليس الـ ـحرب من شـأن الجبـــان
وتزيـــوا يا مخانيــ ــث بأزياء الغـــوانى[٢٣]

ثم يتوعدهم بالذلة والانكسار والخسران في الحرب • وليست هـــذه القصيدة من عيون الشعر العربى فلم يأت الرصافي بشيء جديد في هجائه يخلد هذا الهجاء سوى الكلمات القاسية اللاذعة التى لاتليق به •• ولكن الرصافي يسف دائما في هجائه وينزل الى مستوى لايتناسب وما عرف عن شعره من رصانة وقوة سبك واسلوب ضخم •• ويبدو هذا واضحا عندما ترد انكسارات الجيش التركى ويصاب الرصافي بهزة عنيفة من خيبة الامل فينظم قصيدتين يندب فيهما ماضاع من الدولة العثمانية من اجزاء فيعود الى اسلوبه المحكم الرصين ويجمع شتات ذهنه وكانى بالحزن يسبغ عليه وقارا وهيبة ففى القصيدة التى نظمها بعـــد هزيمة (لولابوغاز) وقد كان القائد ناظم باشا[٢٤] يصرف امور الجيش اثر الهمّ العميق والحزن الدفين فقد خسر الجيش وخسارة الجيش كانت من خيانة القائد نفسه لذلك كان الالم يصرخ في نفسه عندما أقسم :

تالله لم ينكسر في الحرب عسكرنا من أجل قلته أو من جبانتـــه
وكيف وهو تفوق الطيس كثرته وتستعير الرواسى من رزانته[٢٥]
لـكن قائده ما كان يمأنـــــه ولا يبالى بأمر من معـــانته[٢٦]
حتى لقد نفدت في الحرب عينته بحيث لم يبق ســـهم من كنانته

كان الرصافي شديد التفاؤل والامل في انتصار الجيش ورد الاعداء الى دورهم وانه سوف يكسب فخرا ونصرا وطنيا ولكنه انكسر فجاءنا بتعليل جميل

---

٢٣) الديوان ٤٨٧
٢٤) قتله الاتحاديون في الاستانة
٢٥) الطيس الشيء الكثير من رمل وتراب وأراد الشاعر التكثير
٢٦) يمأن مأن اذا تحمل مؤنتهم وقوتهم ، والمعانة ـ المعونة المساعدة

فقـــال :

فظل يرسف في النـــيران مرتبكا ... مستفرغا كل جهـد من متانتـــه
حتى غدا جله للنـــار مأكلـــة ... وما تزحزح شبرا عن مكانتـــه
ولا استكان لهول الحرب من فرق ... بل كان يفرق من هول استكانته
فخاض غمر المنايا صـــابرا وأبى ... على الفرار انغمارا في مهانتـــه
ليس الفرار لجنـــد المسلمين ألا ... ان الفرار لـــــكفر في ديانته
وكيف يغلب جيش كان قائـــده ... يحفــه بجيوش من خيانتـــه
فالجيش تلتهم النيران أنفســـه ... وقائد الجيش لاه في مجانتـــه
أقام في القصف والاجنـاد طاوية ... معاقرا بهناء بنت حانتـــه(٢٧)

وتبدو آثار اليأس والالم الجريح في القصيدة الثانية فقد استولى البلغار على ادرنة فابدى التوجع والاستغاثة اذ لم يجد غير السلوى والعزاء في بعث الامل في نفسه ولكن هذا الامل كان مظهرا لحسرة تفيض باللوعة والا لما ودعها وداعـــا يائسا وودع الجامع الذى لن يرتفع لصوت المؤذن فيه نداء •• ولو كان لـــه بعض الامل في عودة ادرنة لما رثاها للنبى واصحاب النبى فقال :

أدرنة مهـــــــلا فان الظبى ... سترعى لك العهد والموثقـــا
وداعا لمغنـــــاك زاهي الربا ... وداعـــا ولـــكن الى الملتقى

◆ ◆ ◆

عزاء لمسجدك الجامـــــع ... أفارق محرابـــه المنبرا
وهل في مصـــلاه من راكع ... يجيب المؤذن ان كبــــرا
فيالسقوطك من فاجـــع ... به فجع الـــدهر ام القرى
وقبر النبوة في يثـــــربا ... ومثوى ضـــجيعيه مثوى التقى
ومن في البقيع ومن في قبـــا ... ومن شـــهدوا الفتح والخندقا

ويحيل الالم الشاعر الى حكيم يردد الحكمة فيبصر حال المسلمين المتأخر عن ركب الحضارة والعدو يوالى الضربات وهم لايحركون ساكنا•انه شاعر يريد

---

٢٧) الديوان ٤٨٠

لقومه ويريد لابناء دينه ويريد للشرق كله ان يثور على الاستعباد وعلى الهوان ولكنه لايجد من يلبي هذا النداء ومن يبلغه الامانى فالقوم متخاذلون يفعل الغرب بهم مايريد فهو يصب عليهم الكروب ويجر عليهم الالام والحسرات كل ذلك لانهم متفرقون يعبث بهم الجهل فيهيب بهم قائلا :

لقد آن يا قوم ترك الونى ... وترك الشقاق وترك الدد(٢٨)
الى كم نكابد هذا العنا ... ونخبط في جهلنا الاسود
وبالعلم من قبل نلنا المنى ... وفزنا من العيش بالارغد
ولكنما العلم قد غربا ... فلا عيش الا اذا شرقا
فهبوا اليه هبوب الصبا ... عسى أن يسح ويغدودقا(٢٩)

ومع ماحاق بالدولة من تأخر واضمحلال فان الشعراء كانوا يأملون ان ترفع الدولة العثمانية من مستوى الشعب وتنظر اليه بما يستحق من عناية ورعاية خاصة والاوربيون يهددونهم في املاكهم بل يهددونهم في العاصمة نفسها وكانوا يرون ما يصيب الدولة جزءا مما يصيب الشرق اجمعه ولذلك كان الشعراء يثيرون النخوة الاسلامية والشرقية ويحاولون استنهاض الهمم الراكدة في نفوس الضعاف لذلك وجدنا الروح الشرقية تسير مع الروح الاسلامية او الروح القومية العربية في كثير من قريض شعراء هذه الفترة .

وقد كانت الحروب المتتالية التى تشن على الدولة سببا قويا وباعثا من بواعث استفزازهم الى طلب النجدة لانقاذ الدولة من التأخر والانحطاط الذى يهدد كيانها فقال الكاظمى معاتبا اولي الامر في الدولة العثمانية خلال حروب البلقان :

حماة العلى ! ضاق الزمان بحلمكم ... الا غضبة تأتي بعذر الحوالم ؟
سكتم فغر الطامعين سكوتكم ... الا كلمة من ذي هزاهز كالم
وداويتم بالحلم داء غرورهم ... ورب جروح افسدت بالمراهم

---

٢٨) الددد ـ اللعب العبث
٢٩) الديوان ص ٤٧٩

تحوم على طيب الورود قلوبهم		وعند الظبى رى القلوب الحوائم[٣٠]

اراد الشاعر ان يثير الحمية في نفوس العرب والنخوة الاسلامية في قلوب المسلمين بذكر ماحاق بالنساء من انتهاك لحرماتهن ، ووصفهن يستصرخن ولامن مغيث لهن من سطو المعتدين على حرماتهن فيقول :

ومستصرخات بالحمى تستفزكم		لصون الحمى من عاديات المظالم
مخافة أن يسطى على حرماتها		وهتك الهوادي دون هتك المحارم
اذا ما تشكت قلت في الخدر نائح		يشاركه في الدوح نوح الحمائم

اراد الكاظمى ان يثير النخوة الاسلامية في هذه النفوس النائمة نفوس ابناء دينه وقومه وهددهم بما سوف يكون مصيرهم من استعباد وما سيكون عليه مصير النسوة وهن بناتهم وزوجاتهم واخواتهم • والكاظمى طويل النفس جال جولة تناسب وما عرف عنه من الاكثار ذهب فيه الى حال العالم العربى كله •• وقد كان الشاعر مخلصا كل الاخلاص في روحه الاسلامية والخوف الشديد من الفريقين وما يحملون معهم •• وقد كان شديد الرغبة في ان يرى الشرق كله زاهرا زاهي المعالم لاسيما وقد رأى الحكومات التي انفصلت عن جسم الدولة العثمانية قد ازدهرت وكونت حكومات لاتقل عمرانا ونهضة وتقدما عن الامم الاوربية التى تقدمتها في الاستقلال •• فكيف لاتتقدم الدولة التى انفصلت عنها هذه الدول •• وصور لنا شعر الكاظمى الرائع في اسلوبه المخلص في النداء هذا التأخر الذى هيمن على الشرق فما على الشرق الا ان يهب من هذا الرقاد والسكون

حماة العلى ! طال السكوت فعاذر		اذا انطلقت أسيافكم في الجماجم
خصومكم ضلوا وطاشت سهامهم		وما وسموا الا بشر المياسم

الى ان يقول :

أرى دول البلقان طالت انوفها		على دولة اثارها في المخاطم
بايمانها جاءت لثل عروشها		ودك مباني عزها والمعالم

---

٣٠) الديوان جـ١ ص ١١١

وكل قصيدة من قصائد الكاظمي تصلح لان تكون سجلا حافلا بالقـــديم والحديث من مصر فهو يخاطب آل عثمان وكيف اصبحت رعاياهم ملوك بغي قلبوا لهم ظهر المجن ويمتدح اعمال آل عثمان وكيف شادوا المجد بالقتال وهدموا تيجان المتجبرين الغاشمين ، كل ذلك لان اعمالهم كانت جهادا في سبيل الله والحق والمكارم ويخلص من ذلك الى نداء عثمان الذي اصبح ملكه بيد المغيرين ويريده ان يتيقظ من رقاده ليرد الباغين والظالمين من دول البلقان • والكاظمي يعكس لنا ما كان عصره يفكر فيه فيجب الا نتهم الكاظمي بانه كان لا يريد الحرية والاستقلال وانما كان يخشى على قومه وعلى امتـــه من ان تستولى عليها جموع الكـــافرين

ويعتبر خصوم الدولة العثمانية خصوم المسلمين جميعا بقوله :

حماة حمى الاسلام ان خصومكم ... خصـــوم جميع المسلمين الاكارم
فلم يعدهم صدق الاحاديث عنكم ... بافك وشايات العـــدى والنمائم

ويخاطب دول البلقان ان ترعوي عن غيها وغدرها من ان تشنها حــربا صليبية ضد المسلمين فقال :

أفي أي حق غـــدركم بجواركم ... وفي أي ديـن حربكم للمسالم ؟
جنايتـــــه احسانه لجواره ... وآثامه رعى البغـــاة الاوائـــم
فمـــا أنتم الا جنـــاة تعودوا ... ركوب الدنايا وارتكاب الجرائـم
تخيفوننا بالحرب ، والحرب عندنا ... لمن ألف العدوان أشـهى المطاعم

ويتهددهم قائلا :

صليبية تدعونهـــا ، ونعـــدها ... هلالية والسيف أعدل حاكــــم
وسوف ترى سوى القلانس ما الذى ... ستلقـــاه من كرات بيض العمائم

ويخاطب ابناء الشرق الذين عليهم المعوّل في الحروب ويحذرهم بقوله :

بنى الشرق هبوا ان في الغرب هبة ... تعد عليكم كل بار وحاطـــم
تســـير الى ايمانكم بغـــلائل ... وتمشى الى أفواهكم بكمائـــم
اعدت عليكم منكم كل غافـــل ... وعدت لهـــا أوطانكم غنم غانم
فهل وثبة ضـــارية بعد وثبـــة ... تقاوم دون المجـد كل مقـاوم !

أيا امم البلقان فيئوا لرشـدكم ولا تتراموا في حضون الجواحم[٣١]

وقد اتخذ خيرى الهنداوي صورة جديدة في تأنيب العثمانيين فقد تصور حادثة محبين كانا يعيشان في سعادة وهناءة وقد خيم الحب عليهما وسقاهما من كؤوس اللقاء مترعة في نشوة وجذل اذ هاجمت قوات البلغار المعتدية الدولة التركية فما كان من الشاب (نجيب) الا ان يلبي داعي الجهاد للذود عن حمى دولته والدفاع عنها وفي سلانيك يلاقى مصيره المحتوم •• فتنكب عليه حبيبته (اسماء) هلعة جزعة فقد اختطف العدو حبيبها الغالى واحاطوا بها من كل جانب وليس لها من معين غير حسرات حرار ودموع غزار والاسر الذى يوصلها ذليلة حسرى الى امير جيش الاعداء فتصرخ الفتاة مستغيثة تطلب النجدة والعون •• فيجيب الهنداوى الحسناء بقوله :

يا هذه كفي الدعاء فقومنـا لو تعلمين عن الـدعاء نيـام
ما القوم الا سحب صيف أرعدت ثم انجلت بالريح وهي جهـام
لا تستغيثي ليس معتصم بنـا كلا ولا فينا يعـد همام
ماتت عواطفنا بموت رجالنـا فجميعنا بمماتهـا أيتـام[٣٢]

هذ هو العهد العثمانى واثره في الشعر العراقى حتى نشوب الحرب العظمى الاولى وقد رأينا ماكان عليه العراق من تأخر شامل لجميع نواحى حياته الاقتصادية والسياسة • ورغم ان الدستور أحيى موات الامال في نفوس العراقيين الا انهم لم يروا ظلا للاصلاح الذى انتظروه طويلا ، فقد تعذر الاصلاح وبقي الدستور حبرا على ورق وما فائدة الدستور وان ضم خير المواد التى تعود على ابناء الشعب بالسعادة ، اذ لم تخرج هذه المواد الى حيز العمل •

لم يكن في طاقة الدولة القيـام بالاصلاحات المنشودة لظروف أحاطت بالاتحاديين انفسهم ولم تكن هناك أسس يتفق عليها الحكام لذلك ضاعت الدولة باجمعها •

---

٣١) الديوان جـ٢ ص ١١٠ ــ ١٢١
٣٢) الادب العصرى جـ١ ص ١٧١ـ١٧٣

وقد كان الشعراء يؤازرون الدولة ويسيرون في ركابها عندما كان الشعور الاسلامى هو المسيطر والخوف من الاستعمار الاجنبى يرعب المسلمين • ولكن هذا الشعور ضعف عندما نادى الاتحاديون بالطورانية •

وقد ارجأت البحث في الحرب العالمية الى فصل قائم بذاته لانها اشتملت على معارك واحداث متنوعة وقد كان لاثر الحرب العظمى نصيب كبير في حياة العراق السياسية والاجتماعية ولاقتصادية •

ولابد من الاشارة هنا بان العثور على شعر هذه الفترة كان صعبا ولم يتسن لى العثور على اكثر ما قيل فيه لاسباب منها :

١ ـ زوال العهد الذى نظم فيه هذا الشعر ، وحلول عهد آخر مناقض له هو العهد الذى حكم فيه الانكليز وكانوا اعداء للاتراك •

٢ ـ ان النظم في بعض المناسبات او في بعض فترات من العمر تغير رأى الشاعر في المناسبة وفي شعر الشباب لذلك اتلف عدد من الشعراء هذا الشعر لتقدمهم في معارج الحياة الاجتماعية والفوز بالمكانة السياسية التى لاتتلائم مع مانظموه •

٣ ـ أهمل بعض الشعراء تدوين الشعر والاهمال طبيعة في كثير من الشعراء • فضاع بنتيجة الاهمال الشيء الكثير • ومع كل ذلك فالشيء الباقى يعد قليلا وما نشر في الجرائد يعطى فكرة واضحة عن هذا العصر وان لم يعط فكرة عن اجواء بعض الشعراء انفسهم • ونحن نؤرخ العصر ونعنى به اكثر من عنايتنا بالافراد •

الفصـــل الثـــاني

أثر الحرب العظمى الاولى

١ ـ أهم معارك الحرب العظمى

٢ ـ معارك العراق

٣ ـ الاحتلال البريطاني

٤ ـ الحرب والسلم

اهم معارك الحرب العظمى

- ١ -

كان للحرب العظمى اثر ظاهر في حياة العراق ، فقد غيرت مجرى حياتـه السياسية والاجتماعية ، فقد دبت فيه حياة جديدة ايقظته من سباته العميق الذى كان يعيش فيه في عهد الدولة العثمانية ، اذ هزت الحرب بحوادثهـا وأجوائهـا العراقيين هزا عنيفا ، واستيقظت الاذهان على صيحات القومية ، وشعارات الوطنية ، ورغبات الشعب في الحرية ، والاستقلال ، فأخذ بعض الشعراء يفكرون تفكيرا جديدا يخالف التفكير الاسلامي الذى ساد العراق طويلا والذى كانت اهم اسسه الجامعة الاسلامية ، فقد بدأت المطالبة بالكيان الذاتى ، والحكم المنفصل عن الدولة الحاكمة ، واهم حافز دعاهم الى ذلك ، هو الاحتلال البريطانى المباشر ، وتقسيم البلاد العربية الى اجزاء متباعدة •• وشدد هذه الرغبة في النفوس رؤية الجنود البريطانيين والهنود يحكمون بلادهم حكما مباشرا ، وغدت قضاياهم تدار مـن المندوب السامي والحكام السياسيين الذين لاتربطهم صلة بالعراقيين غير صـلة القوة والاستعمار •• والقوانين التى فرضتها قوات الاحتلال[١] والتشدد في تطبيق نصوصها بوساطة قوات الشرطة المحلية التى اطلقت عليهـا لفظ (الشبانه)[٢]

---

(١) لاحظ بشأن عناية القوات المحتلة الاولى بالجيش والشرطة
Loyalties Mesopotania by A. T. Wilson, P. 66 London, 1936.

بقيت الادارة حتى تشرين الثانى سنة ١٩٢٠ عسكرية بالرغم من تسميتها الادارة المدنية فقد فرضت من قبل السلطات العسكرية لظروف الحرب •

(٢) الشبانه : كلمة فارسية معناها حراس الليل

ولو قورن هذا العهد مع العهد العثمانى فلن يجد العراقي مظاهر الاحتلال المادية التى يراها اليوم ، فقد كانت قوات الدرك محلية وكان بعض ضباط الجيش من ابناء العراق ولم تكن لمظاهر الحكم العثمانى غير وجود حفنة من الموظفين الذين يوفدون من الاستانة ، تربطهم مع الشعب رابطة الدين ، والجوار والتأريخ .. مع ان الوالى والقائد وبقية الموظفين كانوا يعينون من الاستانة ، الا انهم لم يكونوا دائما من دم تركي ، وقد شارك بعض اعرب من السوريين وبعض الاكـــراد في مسؤولية الحكم في ادارة اقليم العراق ، يضاف الى ذلك ان هناك طبقة من الموظفين العرب ، كانوا قد تلقوا دروسهم في المدارس التركية جنبا الى جنب مع الاتراك ، وكانوا يرسلون معا الى المانيا لدراسة الاركان فلم يكن التمييز واضحا ، وغالبا ماحدث التزاوج بينهم . وعندما اندلعت الحرب كان العراقيون يحاربون في صفوف الاتراك في كثير من ساحات المعارك بينما كان الانكليز يختلفون اختلافا ظاهرا ويبتعدون عن العراقيين في كثير من هذه الصلات[٣] وشعر هذه الفترة السياسى كان متأثرا بعاملين مهمين :

الاول : العامل الديني : وهو الشعور الذى كان قد تربى عليه الشــعراء فقد كان يهز مشاعرهم ويربطهم بالدولة العثمانية ، كما تجلى ذلك في الفصــل الماضى وهذا الشعور دفعهم الى مساعدة الدولة والمبادرة الى انجازها متى ألم بهـا خطب ، او اعتراها امر ، وقد كان من هؤلاء الشعراء المخلص العميق الاخلاص في اعتقاده ، وكان شعره يصدر بدافع ذاتي محض ، ومنهم الشاعر المجامل الـــذى لاقدرة له على الوقوف امام الوازع الديني الذى كان يسيطر على الشعر آنذاك ، فيضطر لظروف متنوعة للنظم ، مجاراة او حب المشاركة والظهور .

---

(٣) النظام السياسى في العراق : محمد عزيز ص ٥١ قال جمال السفاح الذى شنق احرار العرب « اما العرب الذين تألفت منهم الفرقة الخامسة والعشرون فقد ادوا واجبهم ـ فرقة دمشق ـ بمنتهى الشجاعة والاخــلاص » لاحظ الثورة العربية الكبرى لامين سعيد حـ١ ص ٩٧ مصر ١٩٣٤ بصدد اخلاص اخلاص العرب .

الثاني : العامل الخارجي ، وهو الرغبة في المنفعة الذاتية ، بغية التقرب من الحكومة ، وطمعا بما لها من قوة ، ودافعه الخوف من السيطرة والحكم • فقد كانت تركيا تحارب الحلفاء مع الالمان ، اى انها متفقة مع جماعة غير مسلمة ، بل انها أسلمت لها القيادة في العراق ، فقد كان قائد الجيش التركي السادس المانيا[٤] وقف بجيشه للدفاع عن العراق ضد الانكليز فكيف يلائم الشاعر المسلم بين شعوره مسلما وبين شعوره مواليا لدولة يعدها كافرة ، ان المصلحة هي العامل الخارجي الجديد الذي ألجأ الشاعر لمسايرة ركب الدولة العثمانية المسلمة •

وعندما أعلنت الحرب العظمى ، بعد مقتل ولي عهد النمسا من قبل الصرب كانت هذه الطلقة عود الكبريت الذى اشعل البارود في العالم ، والطريف ان يتنازع شاعران عراقيان في صدى هذه الطلقة فقد رآها احدهما[٥] قد اثارت الفوضى والاضطراب ، في انحاء العالم ، وقلبت السلام رأسا على عقب ، والصربى رجل فوضى يستحق كل عقاب ولعنة ، باثارته الحرب حتى فسد النظام فقال :

وما هي لو امعنت الا رصاصة	فكم خرّبت ملكا وكم اهلكت رهطا
اشاط بها الرامي ولو خال انها	ستخترق الارض العريضة ما اشتطا
رمى الطلقة الاولى فكان مجربا	وعاد الى الاخرى فا حكمها ضبطا
رماها وما ادراك اي رماية	اصاب بها قلب النظام وما أخطا
فوسطها قلباً ، شظاياه ، لو درى	من الدول الكبرى ـ هي الدول الوسطى
رصاصة ذاك الفوضوي هي التي	أرتك النظام الاجتماعي منحطا[٦]

---

(٤) كان القائد الالماني الفلد مارشال فون دركولتز

Feild Marschall Von der Goltz: My Compaiyn In Mesopotamia: Sir Ch. O. F. Townshend P. 11, London 1920.

(٥) لم يذكر الشاعر اسمه وانما وقع (شاعر)

(٦) دار السلام ١٥ـ١ـ١٩١٨

واما عبدالرحمن البناء ، فقد انبرى له قائلا : ان هذه الرصاصة ستكـــون السبب في استتباب الامن والنظام وعودة الامور الى مجاريها •• هذه الظاهرة تدل دلالة واضحة على ان الموضوعات العامة لم تكن تعالج معالجة جدية منبعثة من نفس الشاعر ومشكلات المجتمع ، وكان الشعر وسيلة من وسائل ازجاء الوقت كما كان في القرن التاسع عشر •• والا فهذا موضوع جديد طريف اتيح للشعراء ولـم يستفيدوا منه في بحث مشـكلات الحرب وما تجره الحرب على النـــاس من ويلات فلم يتناول هذان الشاعران المصائب الانسانية التى تجرها الحرب وكل ما كان من أمرهما أن يتنازعا في الصربي الذي قتل ولى عهـد النمسا أهو فوضوي ام انه اراد الخير ! وهذا ما يقوله الشاعر عبدالرحمن البناء :

لقد اكبرت نفس الابي رصاصـة   قد استعرت ملكا وقد حررت حرا
رمى كبد الفوضى بها واصابهـــا   فأصمت وفي حسن النظام لها مجرى
والهمها روح العلاء ــ وقد درى ــ   من الدول الوسطى ستنتقم الكبرى
رصاصة ذاك الاجتماعى منذ دوت   أرتك انحطاط الفوضوي سما قدرا
درى ان في قتل الخصيم حيـــاته   فاقصد منه قبل اطلاقها الصدرا(٧)

والحقيقة التى لامناص منها ان الدول ، كانت تبحث عن سبب لاشعال الحرب لانها كانت على اهبة القتال ، ولم يكن مقتل ولى العهد الا سببا تافها ، اتخذه هؤلاء لايقادها وقد عالج هذا الامر محمد رضا الشبيبي بقصيدة قال فيها :

وما حربنا المشبوبة ابنة آنهـــا   ولا نشأت عن قتل من ولي العهدا
وما حمل الدولات ان تلج الوغى   تعاهدها بل انها اختلفت قصـــدا
فناشــــدة ثأرا لتــــدرك ثارها   وطالبة فتحا وحارسة مجـــدا(٨)

---

(٧) نشرت في دار السلام العدد ١٧ السنة الاولى ١٩١٨ بتوقيع « شـــاعر » وقد نشرت في النور العدد ١٢٧ سنة ١٩٢٩ بتوقيع البناء الصريح وهـــي كأغلب شعر البناء ضعيفة البناء والتركيب •

(٨) الديوان ص ١٧

واقعة الدردنيل :

لعل اول معركة حربية ، اثرت في الشعر العراقى خلال الحرب العالمية الاولى كانت معركة الدردنيل ، فلما اعلنت تركيا الحرب في الخامس من تشرين سنة ١٩١٤ ، ضد الحلفاء ، تلك الحرب التى لم تكن تريدها ، لما اصاب جميع مرافقها العامة ، من وهن ، سواء العسكرية منها او الاقصادية • ارادت من اعلانها ان تتعلق بسبيل لخلاصها ، فقد رأى القادة ، انور ، وطلعت ، وجمال ، ان انتصار الحلفاء معناه استيلاء روسيا على الأستانة والمضايق ، فيجب مساعدة المانيا للمحافظة على تركيا نفسها ، وابعاد فرنسا عن سوريا وانكلترا عن العراق[٩] فارادوا محاربة الحلفاء بغلق المضايق بوجه سفنهم الحربية لمؤازرة المانيا التى خسرت احدى المواقع الحربية[١٠] خاصة ان جرجل اراد ان يهاجم المضايق ومحالفة اليونان ، ويوضح قصده ، الاستعدادات التي أقامها في مصر وقبرص ثم الانزال الذي أنزله الحلفاء لفتح طريق المواصلات بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود ، لمساعدة روسيا وقد بدأ الانزال في شباط ١٩١٥ كتدبير حربى ، ولكن القائد هاملتون ، لم يقدر على اتمام عملياته الحربية ، فقد حصن الاتراك المواقع الحربية في المضايق[١١] وفشل الانزال وكان لفشل الانزال اثر كبير ، ورنة فرح ، في نفوس الشعراء ، فقد نشرت مجلة العالم الاسلامى ، التى تصدر في الاستانةقصيدة باللغة التركية ترجمها معروف الرصافي شعرا سجل فيها انتصار الاتراك وردهم المعتدين على اعقابهم منها :

---

(٩) على طريق الهند بغداد ١٩٣٥ ص ٢٣٢

(١٠) W. Churchill, The World Cirisis (1910 - 1915) P. 229 - 235.

وعلى طريق الهند ص ٢٣٣

(١١) للتفصيل عن واقعة الدردنيل يقرأ المقال المنشور في ص ٥٢ وما بعدها في Incyclopeadia Britanica Vol. 7. London.

وقد كتب العسكرى شيئا عن هذه المعركة في مذكراته ص ٤٦ ، ٤٧ •

تقحم ثغر الدردنيـــل مهـــاجما عدوان للاسلام ، في البر والبحر[١٢]
ولكن امد الله ــ بالنصر ــ جيشنا فكان ــمن الفولاذــحصناعلى الثغر[١٣]

وقد هاجم كاظم آل نوح هاتين الدولتين ، وقال : ان حصن الدردنيل حصن مكين قوي تحرسه الاسود ، وعندما انزل العدو جيوشه ، كانت قـوى الجيش تقف لهم بالمرصاد فاذهلتهم وادهشتهم بعددها وعديدها :

حصن الله حوزة الدردنيـــــل بكماة غلب ، وآساد غيـــــل
طهر الله ، ان تنجس منهـــــا ــ باحتلال الاعداء ــ بعض الطلول
يوم سالت ــ انكلترا وفرنســـا بالاساطيل ــ مثل جرى السيــول
وجموع ضاقت رحاب الفيـــافي فيهمو ، والرعيل اثر الرعيـــل
جهلت للاسلام ، حصنا منيعـــا عنه عادت ، بدهشة المذهــول[١٤]

وقد بلغ من اعجاب البناء بالمحاربين ، ان تمنى ان يفديهم بنفسه لانهم حافظوا الاستانة نفسها ، من عدوان الحلفاء وكبدوا الحلفاء الكثير فقال :

يا بنفسي من حافظوا الدرنيـــلا وعلى الائتلاف ، سدوا السبـــيلا
حافظوا مركز الخلافة ، حتـــى عاد ما حاول العدى المستحيـــلا
حصنوا ثغر بحرهم بدفـــــاع كم وكم أغرقوا به اسـطولا[١٥]

اما موقف محمد علي اليعقوبى فكان موقف المتهكم ، على هذه القـــوات التى هاجمت البسفور ، ولكنها لم تنل منه شيئا ، انما اكسبت الجيش العثمـــانى فخرا جديدا ، وعزا مجيدا • ولم ينس اليعقوبي ما للالمان من يد ، في مساعدة الجيش التركى ، في طرد المهاجمين ، الذين ارادوا احتلال الدردنيل عنوة فقال :

---

(١٢) العدوان : فرنسا وانكلترا
(١٣) مجلة العالم الاسلامى ، الاستانة ، ٩ نوفمبر ١٩١٦
(١٤) صدى الاسلام العدد ١٥٨ السنة الاولى ١٣٣٤ هـ
(١٥) صدى الاسلام العدد ٢١٥ السنة الاولى ١٣٣٤ هـ

سلها غداة ازدلفت للبوغـــاز اذ خاب من خاب ، وفاز من فـاز
نلنا بهـا مكرمة واعــزاز والفوز أحرزناه ، أي احــراز
وانكفـأت اعداؤنا بالجـرمان
قد أقبلت تطفو بهـا الاساطيل فنازلتها صيـدنا البهاليـل
نحسبها ـ يوم سطت ـ أبابيـل ترمي العدى حجارة من سجيـل
حتى انجلى النصر لآل عثمان(١٦)

وقد نشرت جل القصائد في جريدة صدى الاسلام ، في بغداد ومن هـذه القصائد قصيدة لمحمد مهدي البصير ، عنوانها الى بطل العثمانيين أنور باشا ، يحيي فيها الوزير العثماني ، ثم يصف مشهد الحرب ، فيقول :

ولئن أتت للــدردنيل فحاولت امرا ، به عنه تقل وتصغـر
فلقد درى الاسطول كيف تذوده عنه ، المـدافع بالصـواعق تمطر
فـكأنها كانت بأعـلى جـوها سحبا ، عليه بالعذاب تسخـر
ما ان تقابله برمي شواظهـا الا ورد مخافـة يتقهقـر

ومنها :

فعلى ضـفاف البحر تلك تذوده ووراء لجته الفنـاء المضمـر
خبأت له الامواج نار وغى سوى ما فيه افواه المدافع تفتـر
فهناك قر الى قرارة لجـة والنـار في حافاتـه تتسعر(١٧)

وأطرف قصيدة نشرت في هذا الحادث ، قصيدة محمد حسن أبي المحاسن ، الذي اصبح فيما بعد وزيرا للمعارف .. فقد جمع فيها بين الغزل ، والتهكم ، على قوات الحلفاء التى هاجمت المضايق فقد قال :

---

(١٦) صدى الاسلام ١٧٢ السنة الاولى ١٣٣٤هـ وقد نشرت القصيدة باسم محمد علي يعقوب التبريزي .
(١٧) صدى الاسلام العدد ١٨٣ السنة الاولى ١٩٢٥ وقد تطرق الزهاوى الى حرب الدردنيل في قصيدة له في صدى الاسلام العدد ٢٦٤ .

وشـــادن اورثنـــي حبـــه ... كالاتـــلافيين ، حزنا طويـــل
عزّ علي الوصل ، منـــه كمـا ... عز عليهـــم موقف الـــدردنيل
والكل منا لم ينل قصـــده ... وهكذا من طلب المستحيـــل
قد همت بالثغر وهـــاموا بـه ... والثغر ناء ما اليـــه ســـبيل
وفتحه كان لهـــم منيـــة ... ومنيتـــي أن أرد السلسبيل
أشكو ويشكوني الهدى ، والوغى ... فـكلنا يصلى بنار العليـــل
يا دولا فرّت أساطيلهـــــا ... فرار سلواني وصبري الجميـل
كانت غاليبولى لهـــم مصـرعا ... ومصرعي خد المليح الاســـيل
دماؤهم مثـل دموع النـــوى ... على الظبـــا والخد سـالت مسيل
قد صـــادني الظبي ولـــكنما ... صادتهمو من تركيا اســـد غيـل
أودت بهـــم بيض حـداد ، كما ... بالصب أودى سيف لحظ كليـل
ضيّعت قلبي يوم ترحالـــــه ... وضيعوا الشوكة يوم الرحيـــل
ولست مسؤولا بشرع الهـــوى ... ان سألوا (كچنر) أو (جورجيل)
قد رجعوا بالعـــار ، لـــكنني ... رجعت في العشق بمجد اثيـــل
وجدت للحب بنفسي ، وهـــم ... قد آثروا جبنا حيـــاة الذليـل
ان ندموا اليوم على ما مضـــى ... فـــلا اقيلت عثرة المستقيـــل
قد نزلوا بالحرب أوطاننـــــا ... ونحن عجلنـا القرى للنزيل(١٨)

---

(١٨) صدى الاسلام العدد ٢١١ السنة الثانية ١٣٣٤ هـ وقد اثبت القصـــيدة كلها لطرافتها ·

معارك العــراق

ــ ٢ ــ

كان دخول العراق ، احدى الخطط التي أعدها الحلفاء للقضاء على تركيا ومبادرة العمل فيه • فقد علم الانكليز بعزم تركيا ، دخول الحرب ضدهم فبادروا الى انزال قواتهم في البصرة ، واحتلوها في ٢٣ من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٥ [١] فهز انزال القوات الانكليزية مشاعر العراقيين اذ اخذ المستعمر يهددهم في ديارهم فقد وطىء أرض الوطن ، يريد أن يكتسح العراق ويحتلها ، فتنادى أبناء الشعب للجهاد ، وقتال المغير المعتدى • وقد ساهم رجال الدين مساهمة كبيرة ، فقــد أصدروا فتاوى تحث الشعب على الجهاد والقتال في سبيل صيانة أرض الوطن • غير ان قوات المستعمر الحديثة ، واستعداده المتواصل ، اثر اثرا كبيرا في انتصاره وكان أثر اعلان الجهاد في الاقطار الاسلامية محدودا فلم يأت بالثمرة التي كان يرجوها الالمان ــ حلفاء تركيا ــ والذى اخاف الحلفاء طويلا [٢] فبعد ان تسربت

---

(١) كانت انكلترة تعلم بعزم تركيا على دخول الحرب ضدها وقوى هذا الامر ان ابن السعود كان قد اخبرهم بذلك بعد ان انذره انور باشا بلزوم الاستعداد لمهاجمة الانكليز ، فقد سلم للمقيم السياسى نسخا من البرقيات المرسلة اليه ويضاف الى ذلك ما وصل اليهم من البصرة من ان الضباط الالمان في طريقهم الى البصرة• يمكن مراجعة جـ١ من كتاب A. T. Wilson بصدد احتلال البصرة

(٢) R. Muir, Political Consequences of Great War, London, 1932. P. 139.

الروح القومية بين أبناء الشرق[٣] وأصبح الخوف من الاستعمار الغربي يروعهم ويدفعهم القتال اكثر من الفتاوى المحدودة الاثر بابناء القرى والعشائر ، فوعي ابن المدينة ، والرغبة في الحرية والاستقلال لم يتسرب بين العشائر فقد ظهر أثر هذا الوعي في الشعر بارزا واضحا • فقد نظم الزهاوى قصيدة طويلة هاجم فيها الانكليز المعتدين مهاجمة عنيفة نشرها في اعداد متسلسلة من جريدة (صدى الاسلام) خاطب فيها الجيش العثماني الذي ذهب لقتال الانكليز والقادم من ققفاسيا قائلا :

ألا أيها الجيش اللهام المعسكر　　　تقدم ، فأنت المستطيع المظفر

ويحيي فيها القائد أنور باشا ، ويذكر بلاءه في الحروب ثم يمتدح الجيش الذى يفدي نفسه في سبيل الدين والوطن ، ثم يهاجم الانكليز فيقول :

وما هذه في الدهر أول مرة　　　رأى الحق فيها الانكليز فأنكروا
بغوا مرة ، من بعد اخرى ، فنالهم　　　أذى البغي ، والتأريخ أمر مكرر

ويصف اعماله في جبهات مختلفة ويمتدح الالمان واعمالهم وانتصاراتهم بقوله :

بل الالمان اليوم من كل دولة　　　اشد مراسا للحروب واقدر
فكم غاص في ارض الفرنسيس جيشهم　　　كما غاص في صدر طوى الحقد خنجر

وينظر الى الشرق وما حاق به من تهديد الاجنبى فيثير العزائم بذكر امجاد العرب ودفاعهم عن ديارهم واوطانهم • وبعد ان يعدد اعمال الانكليز يعرج على

---

(٣) لما زحف الانكليز داخل العراق ، اخذ العلماء يستنهضون الناس للجهاد ومضى بعضهم مع العشائر الى القرنة فأرسل عبدالمطلب الحلي برقية فيها بيتان للشاعر باقر حيدر هما :

نحن بني العرب ليوث الوغى　　　دين الهدى فينا قوي عزيز
لابد ان نزحف في جحفل　　　نترك نهبا - فيلق الانكليز

لاحظ (المهرجان الخالد لذكرى آل حيدر) قامت بنشره لجنة الاحتفال طبع في النجف ١٩٥٣ ، المقدمة •

مهاجمتهم أرض العراق فيقول : ان مهاجمة العراق عار يصيب العرب أجمع ، فيجب أن يقاتلوا حتى يخرجوهم من أرض الوطن ، والا فسوف يتوارى قحطان خجلا وما يذهب الخجل عنه الا القتال :

اذا داس رجل الانكليز ربوعها ... فلا (خندف) ترضى ولا (الاوس)تعذر
ليخجل قحطانا ـ وينكس رأسه ـ ... قعود بنيه عن عدو يسيطر
اعيدوا ـ بني عمي ـ الى العرب صيتهم ... ومجدا قديما ذكره يتكرر

وفي القصيدة تصميم على مهاجمة العدو والاستماتة في الذود عن الوطن المستباح منها :

سأغسل عني العار بالسيف ، انه ... ليصدق عند الضرب ، أو يتكسر
فوالله لاأثني جوادي عن العدى ... غداة غد ، حتى يولوا ويدبروا

ويرى أن الحرب لن تضع أوزارها الا باعتراف الانكليز بأخطائهم ، وان السلم لن يظهر ما داموا مصممين على الحرب :

نحارب حتى نأمن الغدر ، انهم ... متى يبصروا وهنا من الشعب يغدروا
الى ان يقول الانكليز بنفسهم ... نعم ، نحن اخطأنا السياسة ، فاعذروا
هناك فأمل أن يزول دجى الوغى ... وينشق فجر الصلح ، والسلم ينشر[4]

وللشبيبي قصيدة نظمها في واقعة سلمان باك بعد أن فقد المحاربون كثيرا من القتلى ، قال فيها :

ايستبيح الحمى قوم أمامهمو ... ومن وراء الحمى غلب مساعير
يامن احبوا على الدنيا شهادتهم ... تزينت لكم الولدان والحور[5]

وله قصيدة اخرى نظمها بعد واقعة (الشعيبة) استنفر فيها العراقيين ، والشعيبة من المواقع المهمة الاولى في حياة الحرب فقد جاء القائد سليمان العسكري

---

(٤) صدى الاسلام ، الاعداد ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، من سنة ١٣٣٢ وله قصيدة اخرى في ديوانه المطبوع سنة ١٩٣٤ ص ١١٤

(٥) ديوان الشبيبي ص ٣٢

بك ، ومعه فريق من الجنود الاتراك ، متجهين نحو البصرة وهناك حدثت معركة كبيرة جرح فيها القائد التركي سليمان ، وبالرغم من انه اعيد الى بغداد وقضى شهرين في المستشفى الا انه ابى الا مواصلة القتال ، فقاد الجيش التركي بنفسه ومازالت الجراح لم تندمل فاعدت له محفة تحمله وهاجم الانكليز هجوما عنيفا استمر يومين لم يصب فيه القائد اي نصر ، ثم انتصر الجيش الانكليزي في موقعة حاسمة واندحر الجيش التركي بين اسير وقتيل فما كان من القائد الا الانتحار ألما وحسرة بعد أن أبدى من الاخلاص والوفاء ، والاباء ما استحق به أن يخلد مع الابطال ، وقد نظم محمد رضا الشبيبي في هذه الموقعة وأتى على كثير من تفاصيلها، ثم وصف القائد التركي بقوله :

وقائد حملوه في محفته ... الى (الشعيبة) من زوراء (بغداد)
أفاتك بالعدى جيش مدبره ... معطل الجسم ، ملقى فوق أعواد ؟
جرى (سليمان) في استعجال مصرعه ... مجرى كفاة بأمر الحرب قواد
قاد الالوف فأرداها وأتبعها ... في الحال نفس أبي غير منقاد
مخاطرا عاش أعمارا لان له ... في اثر كل نجاة يوم ميلاد(٦)

اما عبدالرحمن البناء ، فقد دعا الناس الى القتال وترك الكسل والتخاذل ، لان العدو ، قادم من مكان بعيد ، واي ذل اكبر من هذا الذل • واى جبن احط من هذا الجبن وهذه معاول الشرك الانكليزية تهدم صرح المجد الاسلامي في الشرق فقال :

بني العراقين لا تنحط همتكم ... فرب بارقة تجلى بها الظلم
بني العراقين ! حلّ الخصم ساحتكم ... وفي حماكم له مرعى ومغتنم
قد جاءكم من وراء البحر معتزما ... وذاك عار عليكم ليس ينحسم
أجدادكم تحت طي الترب تندبكم ... أين الجلالة أين البأس والهمم
فكيف يهنأ لكم عيش بأرضكم ... والانكليز بها يرسى لهم قدم

---

(٦) الديوان ص٤٩ للشبيبي غير هذه القصيدة في الحرب العظمى قصائد في ديوانه لاحظ ص ١٢ ، ١٥ ، ٣٠ ، ٤٧ •

لمن تشاد مبانيكـــــم ومجدكـم	بمعول البغي والاشـــراك منهدم
أنتم بنو الشـرف الاعلى وعترتـه	تمسكوا بعرى الايمان واعتصموا[(٧)].

وقد تهكم البناء من ابناء العراق ، الذين يتركون العدو المغرور يحتـــل بلادهم ، ويتحكم في مصائرهم ، ومستقبلهم ، وحياتهم ، ولن يعيش الانســـان الا مرة واحدة ، فيجب ان يعيش كريما عزيزا ، كما عاش اسلافه العرب ، سادة الدنيا والا فالموت خير من حياة الذل والهوان • وللبناء قصيدتان اخريان ، الاولى عنوانها (العيد والحرب) وفيها رسم صورة النسوة وقد ارتدين الحداد ، ولكن في اعيادهن السالفة يرفلن بملابس زاهية لطيفة •• رسم هذه اصورة ليثير نخوة المسلمين ، لمهاجمة الجيش الفاتح بلادهم ، ثم تصور فتاة حرة ابية ، وقد غدت سبية بيد العدو ، وقد استاقها العلج أمامه ، وهي تصـرخ وتولول نادبة أهلهـا وحماتها وقد حملت ولدها الصغير •• رسم هذه الصورة الحزينة ليستنفر هذه الهمم الميتة وليثير الشعب على المهاجمين ولنترك القارىء يتتبع هذه الصورة :

رب ، في الروع ، حرة قد سباها	علج كفر ، فلا يخاف الوعيـــدا
ساقها عنوة بســـوط وجيـــع	غلّ منهـــا سواعـــدا وزنودا
وهي تبكي أهلا ، وتندب بعـــلا	وتكنى آباءها والجـــدودا
وعلى صدرها هنــــالك طفـــل	قلـــدته من الدموع عقـــودا
فاجأته رصاصـــة بحشـــاه	فهوى صـــارخا يكد الصعيدا

ولو عولجت هذه الصورة بشعر شاعر ذي اسلوب متين ، لخلد هـــذه الصورة ومع ذلك فقد كانت الفكرة بحد ذاتها فكرة رائعة ، ويستمر البناء في اتمام رسم هذه الصورة باضافة صورة الام التى قتل ولدها وهى تحمله والدمـاء تسيل على جسمها وقد ذهبت منه حرارة الحياة وبقيت برودة الموت ، وحـــيرة الام بين ترك ولدها الذى كان حيا يملأ قلبها املا وبين تركه على الارض بعد ان مات فيه رجاء الحياة ، وصف الام الولهى الحيرى المستاقة عنوة بقوله :

---

(٧) صدى الاسلام ، العدد ١١ سنة ١٣٣٣

تركتـــه رغما عليهـــا وسيقت وهي تلوي اليـــه عينا وجيـــدا
تتقي ستر وجههـــا ويداهـــا في قيود ، من ذا يفـك القيودا !؟

وبعد ان اطمأن الى رسم هذه الصورة المثيرة المفزعة ، التى اثارت الغضب والالم ، والانتقام في النفوس ، دعا الى محاربة الاعداء واجلائهم عن الـــديار والمواطن ليتم فخر المسلمين باخراج الكافرين ·

أيهـــا المسلمون ! لا فخر الا نجعل الخصم في القفـــار طريدا

ثم يصرح بوجه المسلمين داعيا الى الحرب مادام الموت نهاية كل انسان فخير له ان يموت شهيدا :

فهلموا الى النفـــير ســـراعا لا تهـــابوا مدافعا وجنـــودا
كل نفس مصـيرها الموت ، لـكن من يمت بالـــدفاع مات شـهيدا(٨)

وفي القصيدة الثانية ، ظهرت الروح الاسلامية جلية ، فقد صور احتلال الانكليز للعراق الذى سيحول الجوامع الى كنائس فيرسم الصليب على كـــل محراب ، وقد عد المسيحيين من اهل الكفر ، الذين تجب محاربتهم ، وهـــذا انعكاس لصدى افكار العصر البعيدة عن روح الاسلام ، فقد كانوا يعتبرون غير المسلمين كفارا مع ان الاسلام صريح في عدهم من اهل الكتاب وانهم اقرب مودة للمسلمين • غير ان الروح السياسية هى التى فرضت على الشاعر هذا الرأى ، ولعل مرد هذا الحروب الصليبية ، لان العراقيين لايسمون المسيحى بالكافر ، وان العرب الاقدمين كانوا يسمونهم باهل الذمة او اهل الكتاب ، ولفظة كافر كانت تطلق على الاوربيين بصورة عامة وقد يكون للحروب التي كانت تشنها الدولة اثر في اطلاق لفظة كافر على اعدائها فقد وجدت هذا النعت يطلق على الاوربيين فقال البناء :

جوامعكم غدت بيعا ، وفيهـــا سما فخرا ، على الحق الضـــلال
أيرســـم فوق محراب صليب وفي افق الهـــدى يزهو الهـــلال

(٨) صدى الاسلام ، العدد ٢٢ سنة ١٣٣٣

ويؤكد ذلك قوله :

كأني بالليوث الصيد صالت على الكفار فانفرج المجال[٩]

وقد قيل الكثير عن الشعر في هذه الفترة ، ويمكن مراجعة دواوين بعض الشعراء الذين أثبتوا هذا الشعر في دواوينهم وفي جريدة (صدى الاسلام) كفاية للباحثين فمن ذلك قول رشيد الهاشمي :

الى الوغى هبوا وحمل السلاح واسترجعوا ما فات قبل الصباح
من نام عن أوطانه غافلا يصبح في عرض ومال مباح[١٠]

وقد كانت الحرب مستعرة الاتون لصالح الالمان اكثر من فائدتها للاتراك فقد اجبروا تركيا على خوضها[١١] وقد ظهر ذلك في شعر بعض الشعراء ، واتجاهاتهم ولم تكن الفكرة صريحة فقد عرضت بتحفظ زائد فقد ابدى شكرى الفضلي رأيه فقال : اننا في حربنا هذه ندافع عن الالمان ، وفاءا منا للصداقة ، وحفظا للوداد ، مع ما في الحروب من اهوال :

لندفع عن خلين من آل جرمن على حين قد خان الخليل خليل

وكان الرصافي وقت اعلان الحرب ودخول الانكليز العراق في الاستانة فدعا المسلمين الى الجهاد والذود عن الوطن الاسلامى ، في مختلف اقطاره ، وقد اعتمد في الدعوة الى الحرب على الناحية الدينية ، ولم يكن مندفعا متهورا يرسل القول على عواهنه ، انما نظم القصيدة بروح المتحمس العاقل الرزين فلم يقل ان الانكليز كفار ، يجب ان يحاربوا لكفرهم ، ولم يهاجم الصليب او يتطرق الى الهلال ومكانتهما ، فشأنه شأن المسلم المثقف ، الذى يعرف ما له وما عليه من امور الدين ، هاجم الانكليز لانهم شعب يريدون ان يستعمروا اوطانه ، ويهدموا الدولة العثمانية ، التى يدين لها بالولاء والابى الكريم لا يرضيه اذلال بلاده وامتهان

---

(٩) صدى الاسلام ، العدد ٤٨ سنة ١٣٣٣
(١٠) صدى الاسلام العدد ٤٧
(١١) على طريق الهند ص ٢٣٢

حرمتها فهو يحارب لان العدو قد دخل بلاده ، وعليه ان يحفظ بلاده ويحمي شعبه ، فهو يستنفر المسلمين قاطبة ويدعو كل قادر على حمل السلاح ان يذود عن هذا الوطن ، لان الواجب الوطني والديني يحتم عليه ذلك فقال :

يا قوم ان العدى قد هاجم الوطنا فانضوا الصوارم واحموا الاهل والسكنا
واستنفروا لعـــدو الله كل فتى ممن نأى في أقاصي أرضكم ودنا
واستنهضوا من بني الاسلام قاطبة من يسكن البدو والارياف والمدنا
واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن بـــه تقيمون ديـــن الله والسننا

ولم يكتف الرصافي بمهاجمة الانكليز ، وحدهم انما تطرق الى موضوع آخر ، هو مهاجمة الذين ساعدوا الانكليز من العرب ، وشايعوهم في الصداقة فاصلاهم حربا شعواء من الهجاء ، لانه يرى مساعدة الانكليز الخيانة المتجسمة .. وسخر من الذين شايعوا الانكليز سخرية لاذعة ، فهاجم حسين كامل خديوي مصر ووزيره حسين رشدي قائلا :

قل للحسينين في مصـر رويدكما قد خنتما الله والاســلام والوطنا
شايعتما الانكليز اليوم عن ســفه تالله ما كـــان هـذا منكما حسنا
قد بعتما الدين بالدنيا مجازفـــة فكنتما في البرايا شـــر من غبنا

ويتطرق الى مزايا الدين الاسلامي ويفخر بانه لابد ان يسود وترتفع كلمة التوحيد ، ويحلق الرصافي في مدح الدين الاسلامي ، ويذكر مافيه من شرف ومجد وان الرصافي يفديه بالارواح ، ومن ثم يتطرق الى ما حدث لوطنه العراق من احتلال فيقول :

ان العـــــراق لعمر الله مسبعة تواثب الاسد فيه من هنا وهنـــا
دون الوصـول اليــه كل مشعلة شـعواء تترك وجه الشمس مكتمنا
فان فيـــه رجالا من بني مضـر اذا تحارب لا تستشفع الهـدنا(١٢)

---

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤٨١ ، المشعلة : غارة متفرقة تتأجج من كل جانب ، مكتمن : مختف .

وله قصيدة اخرى نظمها عندما دخلت ايطاليا الحرب ، وفيها فكرة خيالية اذ رأى الطليان جماعة اقترفوا العار ، وزلوا زلة شنعاء ، فهاجمهم هجوما اخرجه من طوره الهادىء الوقور الرزين[١٣] وقد اشترك بعض الشعراء في النضـــال والحرب ، كالشبيبي ، ومحمد سعيد الحبوبي ، وعبدالمطلب الحلى ، فقد استنهض الحبوبي فيه القبائل للقتال والجهاد ، ويمتاز الحبوبي بالمـــكانة الدينية الساميـة المرموقة ، ومن المؤسف انني لم اعثر له على قصيدة في هذه المناسبة ولعله انشغل بكل جوارحه وبكل مايملك من قوة في اتون المعركة الفعلية عن نظم الشعـــر والجهاد بالنفس أغلى وأثمن من الجهاد بالشعر[١٤] .

وقد شارك علماء الدين بالفتاوى التي حثت المسلمين على الحرب[١٥] ووزعت بين القبائل لموزارة الدولة العثمانية التى تدافع عن الدين الاسلامى ، وقد لبـى الكثير نداء الفتاوى على اختلاف مذاهبهم وقومياتهم مفضلين اهون العــــدوين الذى تربطهم به الرابطة الاسلامية . ولم يكتف العلماء بالفتاوى وانما شـاركوا مشاركة فعالة في الحرب فقد حارب قسم منهم مع العشائر فقد ذهب صالح الحلى من النجف الى بغداد لكى يحرض الناس على الجهاد بخطبه وبيانه ، وقد بقي الحلي في بغداد حتى سقوطها بيد الانكليز ، لايكل ولا يهدأ[١٦] وقد كـــان عبدالمطلب الحلى يزور[١٧] جهـات القتال ، ويستفز القبائل وزعماءها لمناصــرة الاتراك ، يدفعـــه الشعور الديني المخلص[١٨] ولم يكتف بالزيارة وتحريض القبائل ، انما نظم قصيدة ، دعا فيها اخوانه العرب الى مشاركة الاتراك في القتال ،

---

(١٣) الديوان ص ٤٨٩

(١٤) ترجمته في الحقائق الناصعة بغداد ١٩٥٣ لاحظ حـ١ ص ٣٦

(١٥) تراجع جريدة صدى بابل بصدد الفتاوى والتبرعات والاحتفالات بشـأن مشاركة رجال الدين في القتال .

(١٦) شعراء الحلة جـ٣ ص١٦٣

(١٧) للسيد عبدالمطلب الحلي دعوة للجهاد نشرت في العدد ١٣٩ ، ١٤٠ مـن صدى الاسلام .

(١٨) شعراء الحلة جـ٣ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٤

لا لانهم يقاتلون عن بلادهم ، وانما لانهم اخوانهم ، ويجب حبهم ومودتهم ، واخذ يبرز الاعمال التى اقترفها الاتراك في العراق من قبل بقوله :

رفقاً باخوانكم يا عرب انهم لم يغصبوا قبلها حقاً لكم وجبا

ويؤنب العرب ، لانهم لم يسارعوا في ضرب الانكليز ، ويدافعوا عن العراق عندما دخل الانكليز البصرة ، وقد سره أن يستمر خيون العبيد في حرب الانكليز فقد اعطى مثلا حيا للمواطنين ، ونموذجا ناطقا للبطولة والكرامة ، فقال :

بني العرب العرباء من نومكم هبوا ونهضا الى الجلى ، فقد عظم الخطب
نكصتم وحرب الانكليز لحربكم تقدم لا يثنيه طعن ولا ضرب
وارسي على الثغر العراقي بغتة بعادية ، أضحى يضيق بها الرحب
فما صمدت منكم لدى العز كرّة تعود لجيش الكفر وهو لكم نهب
فمن مبلغ العرب الكرام رسالة وان كان لاتجدي المراسيل والكتب
أبثهم من مؤلم العتب نفثة بها ضاق رحب الصدر واعتلج الكرب
سأندبكم عربا ، أقاموا بخطة من الضيم لا يرضى بها الرجل الندب
يسومهم الغدّار خطة نازل على حكمه قسرا لها ذلت النجب

هذا عتاب مؤنب عميق اثره في نفس الشاعر ، سجل فيه الشاعر انهزام القبائل ، وتفرق جموعهم بعد موقعة حربية ، غير ان خيون العبيد وقبائله ، ابدوا من ضروب البسالة والاقدام ، ما اثار في قلب الشاعر المشاعر بالفخر والمباهاة فقال :

ولولا رجال قد نماهم الى العلا نزار ، لغنّى في هجائكم الركب
فوارس من عليا ربيعة أحرزوا حديث علا ، في نشره ازدانت الكتب
جزى الله (عبدالقيس) أفضل ماجزى به عاملا عن فعله رضى الرب
لقد فعلوا فعلا حوى المجد كله وفازوا بأجر ليس يحبطه ذنب

وبعد ذلك يذكر المواقع الحربية التي انتصر فيها العرب على الجيش البريطاني فيقول :

همو منعوا يوم (السويج) حريمهم ... ببيض الظبا من أن يراع لهم سرب
وفي يوم (ام الملح) أبقوا مآثرا ... من المجد فيها لم تزل تفخر العرب
غداة البريطاني قد قاد جحفلا ... لهاماً ، به نار المدافع لا تخبو
فردوه للاعقاب خزيان ناكصا ... فولى وفيه القتل والاسر والسلب

ويبدو اعجابه الشديد بالشيخ خيون العبيد ، الذى حمى الاسلام من الاعداء واعاد للعرب كرامتهم ، وعزتهم ، ويصف هجماته ، على العدو الزاحف دون أن تخيفه الاهوال ، أو ترعبه المعامع ، والمعارك ، لانه كالسيف عزيمة ومضاء وقوة ويستثير همته بما فكر فيه العرب من ترك دينهم والدفاع عن وطنهم فقال :

أخيون ان العرب قد ألقت العصا ... وبانت على رأي هو السلم لا الحرب
وهان عليها دينها وديارها ... وليس فتى الا ك تعلو به العرب
فشمر الى الحرب العوان بهمة ... اذا صممت أمرا لها سهل الصعب[19]

وقد سارع محمد حبيب العبيدى ، فالف كتابين ، الاول اسماه (حبل الاعتصام)[20] والثانى (جنايات الانكليز)[21] وفي الكتابين يحرض الناس على حرب بريطانيا فقد قال : ما كان عرش بريطانيا لتكلله الحشمة وتظلله العظمة لولا أن دعائمه هم المسلمون فمن صالح بريطانيا أن لا يكون على وجه البسيطة دولة اسلامية ، ذات حول وطول ، تستطيع ان تكون سندا للذين يحملون عرشها ويتخبطون في اغلال اسرها من اولئك البائسين • ولا ريب ان مناط تعزيز الدولة وكونها قوية الشكيمة ، ذات حول وطول ، انما هو اتحاد الكلمة ، وجمع الشتات والخلافة هى كعبة السياسة للمسلمين ، تتوجه شطرها وجوههم اينما كانوا ، وتهوى اليها افئدتهم في كل مكان • وهى الرابطة الكبرى للشعوب الاسلامية ،

(١٩) شعراء الحلة جـ٣ ص٢٠٥ ــ ٢٠٦ ، راجع العدد ١٦٤ من جريدة صدى الاسلام السنة الاولى ، لاحظ قصيدة اخرى له •
(٢٠) حبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام ، طبع في بيروت سنة ١٩١٦
(٢١) جنايات الانكليز على البشر وعلى المسلمين خاصة طبع في بيروت سنة ١٩١٦

والوسيلة العظمى للم الشعث، وجمع الشمل، فهى اجدر من ان تكون تلك الدولة التى لاتستطيع ان تكون سندا للبؤساء الذين يئنون تحت اثقال الحكم البريطانى من اخواننا لمسلمين ».

ثم يصل الى قوله :

« من اجل ذلك كان الانكليز اكثر الامم ضررا للمسلمين، واشد الاقوام عداوة لهم ولخلافتهم المقدسة . ولدينهم المبين، ثم لهلالهم الممثل لعظمة هاتيك المقدسات[٢٢]. فالعبيدى يرى الانكليز اشد الناس عداوة للاسلام واكثرهم ضررا وبذلك يحذر المسلمين من الاستسلام لهم، اما الكتاب الثانى، فقد رأى ان جنايات الانكليز عمت البشر كلهم، ثم يعدد مثالب الانكليز الذين يريدون ان يصيبوا كبد الهلال العثمانى والقرآن المجيد وان الانكليز ليسوا اعداء المسلمين فقط، انما هم اعداء الشرقيين عامة، والانكليز يكرهون الدولة العثمانية، لانها السبب في حياة المسلمين، ومن القى نظرة على عناوين الكتاب يتضح له مقدار هذه الكراهية، ومن هذه العناوين : عاصمة الانكليز وهيكل الظلم المشؤوم ص ١٢، كيف يسعد الانكليز بشقاء من تحت يدهم من الامم والشعوب، ص ٣٤، ان الانكليز اكبر الجناة على المسلمين ص ٦٠، الجنايات المتسلسلة والجرائم المركبة من الانكليز ازاء المسلمين ص ١٠٨، ويضرب امثلة على جور الانكليز في اسيا وافريقيا ثم يلخص هدفه في بيتين كتبهما على غلاف كتابه هما :

يا اسارى الهوان قوما فقوما   قد عرفتم جرائم الانكليز
فمتى تحطمون للذل قيدا   مستعينين بالقوي العزيز ؟؟

---

(٢٢) حبل الاعتصام ص ١٢٠

معركة الكوت :

والحادثة الثانية التى اثرت في الشعر العراقى كانت معركة الكوت • وهي المعركة التى حصل فيها الاتراك على نصر ساحق • فبعد ان اخذ الجيش الانكليزى في احتلال أجزاء العراق الجنوبية سار بقيادة ناونزند لايقف أمامه شيء باتجاه بغداد • ولكن الجيش التركى صمد له قبل ان يصلها واضطره على الانسحاب • عقبه حتى وصل مدينة الكوت فتحصن فيها فأسرع الجيش التركي وحاصر المدينة • وقد طال امد الحصار الى خمسة اشهر حاول قائد الانكليز بكل مالديه من قوة الخروج من هذا الحصار ولكنه لم يفلح • كما حاولت السلطات البريطانية امداد الجيش بالمؤون والذخائر لرفع معنوية هذا الجيش المحاصر • لكن المحاولات ذهبت ادراج الرياح • فقد نفدت الميرة التى بين ايديهم حتى اضطر المحاصرون على اكل لحوم البغال والحمير والخيل وبدأت معنويات المحاصرين تنحط يوما بعد يوم • حتى اضطر القائد الانكليزي على مفاوضة القائد التركي خليل باشا ، ولما لم يقدر على النجاة بشيء حطم معداته الحربية ومدافعه واستسلم للجيش التركي(٢٣)

كلّف هذا الاستسلام الانكليز حوالى ثلاثة عشر ألف مقاتل ما بين ضابط وجندي(٢٤) وقد جاء هذا الاستسلام عقب انكسارات متوالية مني بها الاتراك وقوات العشائر التى ساندتهم وبعد ان هدد الانكليز بغداد نفسها • لذلك كان

---

(٢٣) للتفصيل يراجع الفصل السابع ص ٩١ ـ ١٠٠ من كتاب ولسن ومذكرات طاونزند

My Capaign in Mesopotania, by: Ch V. F. Townshend.

كما كتبت مجلة (العالم الاسلامي) التي تصدر في الاستانة مقالا عن تاريخ حملة العراق بعنوان (النصر المبين في العراق) في عدد مايو ١٩١٦

(٢٤) يذكر ويلسن تفاصيل عن الجنود والضباط ص ٩٩ ويمكن ملاحظة الصفحات ١٥٧ ـ ١٨٣ جـ٢ من كتاب

The Compaign In Mesopotamia 1914 - 1918, by: F. T. Moberly, London 1930.

أثر هذا الانتصار عميقا اخرج النفوس من طورها اخرجها من الفخر والمباهاة بالنصر والتغنى بالموقعة الى الزهو والغرور • وزاد معنويات الشعب والدولة العثمانية فسرت موجة الغبطة والسرور في كل مكان

ان دوي المدافع الذى كان يفزعهم ابتعد عن اسماعهم فبعد معركة سلمان باك او المدائن[٢٥] التى دامت اربعة ايام بلياليها واستعمل فيها السلاح الابيض تقهقر الانكليز أمام ضغط القوات التركية الجديدة بقيادة خليل باشا ومحمد علي بك •

وقد أجج هذا النصر في قلوبهم الحماسة فسارعوا الى تخليد هذا النصر الذى حازه المسلمون على المستعمرين فقال ابو المحاسن :

سرت نفحة الظفر العاطرة ... بارجاء اوطاننا الزاهرة

ثم ذكر معركة سلمان باك التي أقرت عيون المسلمين ، الذين أخذوا حقهم من الأعداء وادركوا ثأرهم منهم فقال :

فيايوم سلمان انت الذي ... جعلت وجوه الهدى ناضرة
وقد ادركت ثارها المسلمون ... فيك من الفئة الدائرة

ويتحدث عن اعمال القائد التركى الذى نظم خطة الانسحاب من امام الجيش الانكليزي ليضربه ويفقده المبادأة التي اضطرتهم الى الالتجاء الى الكوت :

وخادعت انكلترا في القتال ... فانخدعت وهى الساحرة

ويسائل الانكليز علام جاؤا الى العراق ؟ الم يعرفوا المصير الذى ينتظرهم فيه !؟ وخاطب لندن قائلا :

اتيت العراق لنيل المنى ... وعدت على خيبة صاغرة[٢٦]

وقد وصف محمد رضا الشبيبي المعركة فقال :

---

(٢٥) كان قائد الجيش العثماني في واقعة سلمان باك « أو تل السور » نور الدين باشا ثم بقيادة خليل باشا ومحمدعلى بك •

(٢٦) صدى الاسلام ، ١٣١ ــ ١٣٥ ، وفي العدد ١٣٢ مقال نورالدين باشا وبسالته وما أحرزه من انتصار في واقعة سلمان باك •

تجاه ايوان كسرى مأزق ضنك   اودى الرجال به والخيل والعير
كادت تميز ذبا عن حقائقها   فيه النفوس وتستقرى التصاوير
شأو تعاطت سباقا دون غايته   جرد البصائر والجرد المحاضير
ان كان للخيل مضمار ومضطرب   فكم خلت ثم للرأى المضامير
قتلى« بدجلة » منها« دجلة »امتلأت   و «النهروانان» والانقاض والدور

ثم يصف خاتمة هذا النصر الذى حققه الجيش بقوله :

يوم أغر من الايام منبلج   وموقف في سبيل الحق مأثور[٢٧]

كان سيد الموقف في المعركة خليل باشا لذلك اتجه الشعراء اليه يزجون عبارات الحمد والثناء وكيف لا يكون سيد الموقف وها هو قد أسر جيشا بكامله ورفع معنويات الحكومة التركية باسرها ، ومن هؤلاء كاظم آل نوح : فقد قال يحيى القائد خليل باشا الذى كان يحاصر الانكليز الذين يلاقون ما لاقوه في حرب الدردنيل ويدعو الله أن يتم النصر للجيش المسلم على الجيش الكافر المحاصر[٢٨] وفي قصيدة اخرى يحفز الجيش على الهجوم ويخوف الانكليز من بلايا وقعاته ثم يخاطب القائد قائلا :

يا ايها القائد المحفوف في اسد   تغدو لها الاسد اما تلقها بهما
لاتهدأ العين منا او نراك به   قدرحت من جاحدى الاسلام منتقما
شدد عليهم ولا ترعى[٢٩] بهم ذمما   فهم لنا لم يراعوا في الوغى ذمما[٣٠]

ثم يدعو للمسلمين بالنصر ولخليل بالفوز وللخليفة بطول العمر . وفي

---

(٢٧) الديوان ص٣٠ ويلاحظ قصيدة حسن النقي الدورى في جريدة صدى الاسلام العدد ١٤٦ يحيي فيها انتصار الجيش ، وقصيدة لليعقوبي في العدد ١٧١ يتطرق الى واقعة سلمان ، وقصيدة الزهاوى العدد ٢٦٢ صدى الاسلام والعدد ٢٦٣ يخاطب سلمان باك .
(٢٨) جريدة صدى الاسلام العدد ١٥٧
(٢٩) كذا .. بالاصل
(٣٠) صدى الاسلام ١٦٤ السنة الاولى

قصيدة اخرى يرى العدو قد دنس أرض العراق فيجب أن تطهر منـــه بالجلاء العاجل ولا تطهر الا بالدماء لان الجيش التركي لابد ان يفوز في الحرب وكيف لا ينصر وهذا قائده خليل باشا الذي يسيطر على جيش الانكليز وغـــدا تحت رحمته :

أسبيــــــل الى الفـــرار لمـــن　　　أمسى محاطا بجحفل جـــرار
هو تحت الحصار مثـل بغـــاث　　　ترمق الصقر وهي في الاوكـــار
افينجو من المنيـــة من قـــــد　　　بات تحت الاهـــوال والاخطـار
ان نجا من جيوشنا كيف ينجـو　　　من شبا عـــزم فحلها الهـــدار
صاحب الحزم والثبات « خليــل »　　　يوم حرب والفارس المغــــوار

ومادام الجيش الانكليزي في الحصار لايقدر على ان يفك نفسه رغم قوته وعديده وقد اسلم نفسه للحصار ولم يقاتل في الصحراء فقد لطخ نفسه بالـــذل والعار لان معارك الرجال تكون في خارج المدن لا داخلها فقال :

ما لجيش العدو في الكوت اضحى　　　فرقا جائسا خــــلال الديـــار
ان يكن مصحرا فما من عـــــار　　　انما العار وهو تحت الحصار[٣١]

واخيرا استسلم الجيش الانكليزي بعد ان فقد امله وبعد ان انتظر طويلا مؤملا النجاة ، وبعد الاستسلام اخذ الاسرى سيرا على الاقدام الى الاناضول فمات في الطريق من مات مرضا او جوعا[٣٢]

وعندما استسلم الجيش الانكليزي بعد حصاره الطويل اقيمت الاحتفالات في كل مكان في المدارس والسرايات والشوارع وكانت مجالا لالقاء القصائد والمقالات والخطب وقد سجلت بعضها جريدة (صدى الاسلام) ومن هذه القصائد قصيدة لعبدالرحمن البناء يقول فيها : ان استسلام الانكليز هو غاية كل مسلم لان الملك لا يكون الا للمسلمين وللخليفة وقد رفع خليل باشا رأس أهل العراق بهذا النصر

---

(٣١)　صدى الاسلام ١٧٣ السنة الاولى
(٣٢)　ويلسن ص ١٠٠

وخاطب القائد فقال عنه انه (مقدس القدر) له (رأس كالبدر لا يرقى اليـــه) وان الانكليز جاءوا لاستعمار العراق ولكنهم باؤا بالخيبة والخذلان فهذا قائدهم اصبح طائعا ذليلا صاغرا هصره الالم والهم وهاضت جناحه الذلة والمسكنـــــة

اطاعك جيش الانكليز وهــــذه ... هي الغاية العظمى الى كل مسلم
أتى طائعا بعد الحصار مسلمـــا ... اليك بوجه حالك اللون مظلـــم
يقاسي الاسى بل كاد يخنقه الاسى ... ويغضي على انف من الذل مرغـم
لقد ظن ان الكوت يحمي جنوده ... وينجيه من باس الخميس العرمرم(٣٣)

وظهرت في شعر عطاء الله الخطيب بادرة جديدة يجدر بنا التنويه بها هى الاعتداد بالعرب وبالشعور القومي فرأى ان للعرب حقا في هذا النصر لانهـــم شاركوا الاتراك في هذا الحصار وكان لهم دور فعال ، ولم يخص العرب بمثل هذه الالتفاتة غيره فبعد ان افتخر بانتصار الهلال قال ان حزب محمد هو الذى انتصر وان الهلال كالخنجر الذى طعن الخصم ، ثم عير الانكليز بخسران معركتهم في الدردنيل والكوت فقال :

اسود من الاتراك والعرب مالهـم ... سوى السيف من خل وفي مواصل
فكم طوقوا جيد الزمان بعزمهـم ... وكم اطلقوا كفا بـبـذل ونائـــل
كماة اذا استافو الطـلا فشرابهـم ... عصير نفوس الشوس لاخمر بابل

ان قوله « اسود من الاتراك والعرب » شيء جديد بالنسبة للشعراء الذين يذكرون أبناء عثمان ، وآل عثمان والدولة العثمانية والدين الاسلامي في شعرهم وهذا دليل على تسرب بوادر الروح القومية في النفوس وان العرب بدأوا يفكرون تفكيرا خاصا بهم ، ويوضح ذلك قوله :

أتونا وقد ظنوا العراق واهلــه ... رقودا كما الاموات رقدةغافل(٣٤)

ولم يكتف الشعراء بمهاجمة الجيش الانكليزى الذى دخل العراق وانما

---

(٣٣) صدى الاسلام العدد ٢٤١ السنة الاولى
(٣٤) صدى الاسلام العدد ٢٤٥ السنة الاولى

تطرقوا شأن الشعر العربى عامة الى مواضيع مختلفة ، منها مدح القادة الذين تولوا هذه الحروب وقد مدحوا السلطان رشاد بهذه المناسبة لانه القائد الاعلى ولانه حامي المسلمين ، متخذين من الروح الاسلامية سبيلا لهذا المديح ، ولعل القائد خليل باشا الذى كان رجل الساعة قد ظفر اكثر من غيره بالثناء لانه كان قرب سمعهم وبصرهم فمن هؤلاء الشعراء كاظم آل نوح ، فبعد ان هاجم الانكليز الكافرين الذين جاءوا لمهاجمة المسلمين مدح السلطان الذي أرسل خليل الى العراق قال :

دام سلطاننا الذى فيه تحمى ... بيضة الدين صاحب الاكليل
دام للمسلمين حصنا منيعا ... اذ به اصبحوا بظل ظليل(٣٥)

اما السيد عبدالمطلب الحلي فقد كان في ساحة القتال ، فاخذ يستفز شعور المجاهدين ضد الانكليز الذين وطئوا أرض العراق وقد ظهرت آثار الفرحة واضحة على شعره فقد ارسل البشرى الى جميع ابناء الشرق دون تفريق ، وثم هنأ خليل باشا بفتح الكوت واخذ يذكر المجاهدين بالانتصارات التى حازها الجيش العثماني فقال :

بني الشرق طرا من سباتكمو هبوا ... هفت لكم البشرى فقد فشل الغرب
بفتح به قرت من الدين عينه ... وسرت به الاتراك والعجم والعرب

وامتدح خليل باشا قائلا :

«خليل» العلى ترب الظبا بل اخو الحجي ... وحلف الوغى ان احجم البطل الندب
له راحة يوم الوغى تمطر الدما ... ويوم لقاء الركب نائلها سكب
هو الاسد العادى اذا صرت الوغى ... بانيابها والضرب يتبعه الضرب

ثم تحدث عن القائد الانكليزى الذى اجبره القائد التركى على الاستسلام جوعا وان حرب الجوع اقوى من حرب السيوف ، وبالرغم من انني لا اتفق

---

(٣٥) صدى الاسلام ١٥٧ السنة الاولى .

معه على هذه الفكرة فانا لا اناقشها لانها فكرة آنية اضطر الى تبريرها الشاعر يقوله :

فحاربهم بالجوع حتى تساقطوا الا ان حرب الجوع حقاهي الحرب[٣٦]

ومن رجال الدين الشعراء الذين هاجموا الجيش الانكليزى محمد علي اليعقوبي فقد كانت انكلترة دولة عظمى كبيرة العدد والعتاد والاستيلاء على جيشها وحصاره كان شيئا كبيرا مهما لذلك كان الانتصار عليها انتصارا يتمشى مع هذه العظمة ، فلاعجب ان يخلد حصار الكوت فقال من موشح له :

لله جيش المسلمين المنعـوت كل حجى قد عاد منه مبهوت
صال على انكلترا وهي الحوت ولم يزل يطردها حتى الكوت
من بعد ما جاست خلال سلمان

ويسخر من بريطانيا التى رامت فتح العراق وكان الاولى بها حماية عاصمتها لندن التى هاجمها الالمان بالمنطاد زبلن وقذفها بالقنابل والنيران فاحرقها ! ولا اظن ان لهذا الخبر من صحة لان المنطاد سريع العطب اذا ما اصيب بطلقة فكيف يقذف النيران والقنابل ولكن الشاعر أراد أن يأتي بكلمة زبلين لضرورة القافية وأراد الطيارة والمعنى يكاد يكون مبهما في البيت الاول :

قد عز يا انكلترا ما تبغين وراءك اليوم عن المعصومين
ليس العراق مثلما تظنين فلندن حام عليها زبلين
يقذفها قنابلا ونيران[٣٧]

وقد نظم علي البناء قصيدة يمتدح بها خليل باشا وفيها مدح السلطان

---

(٣٦) شعراء الحلة جـ٣ ص٢٠٦ ، وله قصيدة اخرى في العدد ١٨٠ وقصيدة اخرى لكاظم آل نوح يمتدح خليل باشا ، صدى الاسلام العدد ١٦٤ ، وله أيضا في العدد ١٧٥ مؤرخا ، وله قصيدة يخاطب الجيش العدد ١٩٠ ٠

(٣٧) صدى الاسلام ١٧١ السنة الاولى ٠ لعله أراد من (وراءك) ارجعي عن المعصومين بعناية الله ، وللبناء قصيدة يهنيه برتب اللواء العدد ٢١٥ وقصيدة لاسماعيل رئيس بلدية البغيلة العدد ٢٦٩

رشاد ذاكرا اعمال خليل باشا في سلمان باك وفي الكوت ومن ثم يقدم التهاني للمسلمين جميعا منها :

لتهنأ بهذا ملة الدين انه ... سرور بني الاسلام في كل ذى قطر
وتكسى فخارا آل عثمان سرمدا ... بما فيهم قد شد للدين من ازر
وسلطانها الغازى (رشاد) عمادها ... وفخر بني الاسلام لا بل مفخر الفخر (٣٨)

وقد امتدح محمد مهدى البصير وزير الدفاع انور باشا بقصيدة بعد معركة الدردنيل قال فيها انه صان تاج الخلافة وأمن الخائف من ابناء الامة وبذل جهده في سبيل الاصلاح ورفع الظلم عن ابناء الشعب فقال :

عقد الاله لواك فهو مظفر ... بالنصر ما بين الممالك ينشر
واطال عنق الدين سيفك اذ غدا ... في حدّه باع العدو يقصر
يا صائنا تاج الخلافة والذى ... فيه اقيم سريرها والمنبر
مثل الخليفة من يكون محكما ... بين العباد ومثلك المستوزر
مهدت هذا الشعب ملتمسا له ... اصلاحه فيما تسر وتجهر
آمنت خائفة ورعت مخيفة ... تنهى به عما تشاء وتأمر
كم مُن يد اسديتها لك او جبت ... شكر الانام ونعمة لا تكفر
كم ظلمة للظلم انت جلوتها ... وبنور عدلك اشرقت يا (انور)
كم وقفة لك دون ملة احمد ... فيها برأيك بل بسيفك تنصر

وتطرق الى سهره على راحة الشعب وامنه فقال :

كم ليلة ليلاء أنت سهرتها ... لتنام حولك اعين لاتسهر (٣٩)

ولما وصل انور باشا بغداد وامتدحه ذاكرا نصر المسلمين ومعتبرا زيارته

---

(٣٨) صدى الاسلام العدد ٢٦٦ السنة الاولى
(٣٩) صدى الاسلام العدد ١٨٣ وذكرت صدى الاسلام في عددها ٢٢١ السنة الاولى ان العرب في أمريكا اكتتبوا بمبلغ كبير لشراء سيف ثمين يقدم هدية لانور باشا ٠

جهادا في سبيل الله والمسلمين ، واشرق بقدومه النصر الذى يرافقه اين ارتحل فاصاب الانكليز الخزى واضر بهم الحصار والاسر وغدت وجوه المسلمين مشرقة المحيا ناضرة غبطة وسرورا فقال :

أنار حمى بغداد مذ جاء (أنور) بوجـــه عن الاقمار أبهى وأنور
أتى وهلال النصـــر وسط لوائه يهلـــل بالبشـــرى لـــه ويكبر

ووصف حال الانكليز وحال المسلمين بقوله :

أتيت وعيش الانكليز مكـــــدر وعيش بني الاســلام ريان أخضر

ثم قال له : انك جئت الى بغداد لكى تروع الانكليز والروس ولكـــن الجيش الانكليزى جاءك اسيرا ذليلا طائعا :

أتيت لردع الانــكليز وروســـها فوافاك جنـد الانكليز يؤسر[٤٠]

اما جميل صدقى الزهاوى فقد نظم قصيدة طويلة لم تتمكن الجريدة مـن نشرها الا في اعداد متتالية[٤١] خاطب بها الجيش العثمانى ثم قال ان انور باشا ما اختار خليل باشا الا بعد أن عجم عيدان قواده فوجده أشدهم قوةومراسا ثم خاطب انور باشا قائلا :

أأنور أنت اليوم درع لامـــــة يحاربهـــا ثلثـــا الانام وأكثر
وانك سيف الله يمحو بـــه العدى ويخذلهـــم حتى يموت التجبر
قدمت على رجب لبغـــداد انهـــا لفضلك في هـــذي الزيارة تشكر
ليهنك ان الفوز في الكوت شـامل وان فريق البغي أصـبح يؤسـر

ويقدم التهانى للجيش الذى فدى بنفسه في سبيل الوطن ثم يهجو الانكليز بقولــه :

---

(٤٠) صدى الاسلام ، العدد ٢٥٥ ، السنة الاولى.
(٤١) صدى الاسلام ، الاعداد ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، وقد سبق الاشارة الى هذه القصيدة في معركة الدردنيل .

وما هذه في الـــــدهر أول مرة رأى الحق فيهـا الانكليز فأنكروا
بغوا مرة من بعد اخرى فنالهـــم أذى البغي والتـــاريخ أمر مكرر

ويعدد اعمال الانكليز في كل مكان ويمتدح الجيش الالماني ويحيي الموتى من المسلمين ويتطرق الى واقعة سلمان باك وكيف تم النصر للمسلمين بعد معركة حامية ، والطريف منها وصفه للطائرة في قوله :

وقالوا : بدت طيـــارة ستصبها قذائف من صـــــهواتها تنفجر
اقلب طرفي في السماء فـــلا أرى سوى نقطة سوداء تخفى وتظهـر
دنت فاذاها كالعقاب تقلهـــــــا محركة بالنـــار تغـــلي وتزفر
نصبنا اليهـــا مدفعا فأصابهـــا وخرت على آلاتهـــا تتكسر(٤٢)

ومن الطريف ان نختم هذا الفصل بقصيدة نظمت على لسان انور باشـا بعد ان خسرت الدولة العثمانية الحرب واحتل الانكليز العراق ، يتهكم الشاعر ويسخر بها من انور باشا والقصيدة صورت نفس انور باسلوب لطيف صورت جشعه ورغبته في جمع المال على حساب الامة التركيـــة ليرضى قيصر المانيا دون الاهتمام بجوع الامة واوجاعها ويزيد الموضوع طرافة ان ناظمها هو محمـــد مهدي البصير الذي مدح انور باشا ابان الحكم التركي قال فيها :

رجوت بموقفي فـــوزا مبينـــا فسقت لك العـــذاب به مهينـــا
ربحت بك المواهـــب والعطـــايا فبت مع الشعوب الاخسرينـــا
اذا الدينار اسمعني رنينـــــا فديت لصوته منك الانينـــا
اصبت رضاء قيصري المفـــدى فأهون بالرجال الساخطينـــا(٤٣)

---

(٤٢) صدى الاسلام عدد ٢٦٢

(٤٣) دار السلام العدد (١٨) السنة الاولى ١٩٢٨ وقد قالت المجلة في عـــددها العاشر المجلد الرابع سنة ١٩٢١ ان أنور باشا كان راكبا طيارة تشق به عباب الفضاء في ديار رومية فسقطت به الطيارة فمات • ولاحظ العـــدد الرابع من المجلد الثالث سنة ١٩٢٠ بأن طلعت وجمال ذهبا راكبين بطيارة اثر انور فسقطت بهما الطيارة واسرا في بولونيا •

ويصف ما اصاب غليوم من الرعب غداة الانكسار فقال ان تركيا قد بيعت للالمان ولكن بارخص الاثمان • وان الخطة التى اتبعها كانت خطة خاســـرة كاسدة(٤٤)

والويل للمغلوب ، اذ تنقلب جميع اعماله الى سيئات ولا تظهر حسناتـــه التى ابرزها الشعراء انفسهم في حياته•وقد تكررت ظاهرة مدح البارزين وهجائهم في الشعر العراقى الحديث • ولا لوم على الشعراء في ذلك فهذه طبيعة الشاعــر التى تهزه الاحداث فيندفع معها خاصة اذا كان الحديث يمس مصالحه الفردية • كالخوف من اذى السلطان او الرغبة في الجاه والمال • ويظهر ابداع الشاعر متى اتصلت القضايا العامة بمصلحته الشخصية ، ويشجع الشعراء على التغلب التخلخل العام في المثل الاخلاقية ، ومتى جاءت رغبة الشاعر متسقة مع رغبات الجمهــور معبرة عن اكثرية ساحقة اشتهر الشاعر وارتفع صيته •

فتح بغـــداد :

بعد ان حاصر الاتراك الانكليز في الكوت وبعد استسلام القوات الانكليزية للجيش العثمانى تبدلت معنويات الجيش العثمانى ، وارتفعت ارتفاعا خرج عن حده ، وخاصة القائد التركى (خليل باشا) ، فبالرغم من وجوده في ساحـــة القتال ، وكانت قوات العدو تحتل جزءا من العراق لم يتابع القتال لاخراجهـــم نهائيا منه وانما ملأت الغبطة اعطافه واخرجته الى الغرور فرفض كل المساعدات التى كانت تريد ان تقدمها له الجهات العليا في الاستانة معتقدا انه سوف يدحر كل القوات الانكليزية الجديدة التى تحاول التقدم الى داخل العراق ، ولم يكن انور باشا (القائد الاعلى) يطمئن الى هذا القرار ، لذلك اكد لـــه وجـــوب المساعدة الا انه سخر من الانكليز واستخف بهم ، وترك الامور تجرى دون استعداد • اما الجيش الانكليزى فكان يعزز قواته خلال ثلاثة اشهر بالمددوالذخيرة

---

(٤٤) للبصير قصيدة عن حياة غليوم في العدد الخامس المجلد الثالث من دار السلام سنة ١٩٢٠ تطرق فيها الى أعمال غليوم واحتلاله للدول المختلفة•

مستفيدا من الاغلاط التى ارتكبها في حصار الكوت حاسبا حسابا دقيقا لكل المفاجئات ، وعندما استكملت القوات الانكليزية عدتها بدأت بالزحف فاندحرت القوات التركية امامها متكبدة الخسائر الفادحة حتى اضطر خليل باشا الى ترك بغداد ، لانه لم يستطع الدفاع عنها فدخلها (مود) دون مقاومة في ١١ مارت سنة ١٩١١ • ثم اخذت القوات الانكليزية تتبع فلول الجيش التركى لاتمام احتلال العراق كله • ولم تجد المحاولات التى بذلها خليل باشا لايقاف الجيش الانكليزى كما ان القوات التركية لم تتمكن من الوصول(٤٥) الى العراق لانجاده(٤٦) وبعد احتلال بغداد توفى الجنرال مود(٤٧) فاخذ القيادة القائد مارشال واخذ يتقدم حتى اعلنت الهدنة ، وكانت الموصل تحت سيطرة الجيش التركي •

هذا موجز سريع لحركات الجيش الانكليزى في العراق وسنرى اثرها واضحا في الشعر العراقى الحديث ، فمن اهم آثارها بعد حصار الكوت ، كان فتح بغداد ، فقد وقف الشعراء من احتلال بغداد مواقف مختلفة ، فمنهم من ندب الاتراك ، وبكى امامهم ، وآلمه فراقهم ، مدفوعين بدافع الدين والوفاءالعربى الاسلامى ، وقسم آخر من الشعراء أذهله هذا الفتح فحار في امره ، فلم ينظم شيئا من الشعر ، اى انه وقف موقف المحايد ، ولعله خشى عودة الاتراك ، اوان

---

(٤٥) ألف الاتراك جيشا أسموه جيش الصاعقة لاسترجاع بغداد • وكان يؤمل أن يكون أحد قواده مصطفى كمال باشا وأن تكون القيادة لجنرال ألماني اعطيت له رتبة (مشير) مذكرات العسكرى ص ١٦٨ كما يلاحظ ١٥٤ ـ ١٥٧ ولاحظ بهذا الشأن الفصل ٣٧ مجلد ٤ ص ٩ من
The Compaign In Mesopotamia 1914 - 1918.

(٤٦)
Loyalties Mesopotamia P. 228 Vol. 1

ويلاحظ الجزء ١٥ من المعلمة البريطانية ص (١٠١) ولعل خير مرجع للحرب في العراق
Mesopotamia Compaign 1914 - 1918 P. P. 212 - 250 Vol. 3

(٤٧) يلاحظ ويلسون ص ٢٦٠ ـ ٢٦٤ ويلاحظ ٢٧٥ ما أشار اليه المؤلف •

الاحتلال الانكليزى ، لم يكن مرغوبا فيه لانه احتلال اجنبى ولانه مستعمر لا تربطه اية رابطة بالعراقيين ، دخل البلاد بالحديد والنار والدم وقلب الحياة العامة رأسا على عقب ، وقد وصف بعض هؤلاء الشعراء العراق وما حاق به ، وبغداد وسقوطها بصورة خاصة ، ومنهم من هاجم الاتراك مهاجمة عنيفة وسخر من فواتهم ومن هزيمتهم من بغداد وتبعثر جيوشهم •

ومما يؤسف له ان كثيرا من شعر هذه الفترة قد ضاع او اتلف عمدا ، ولكن الاثر الباقى يعطينا صورة واضحة عن حالة الاضطراب والحيرة والقلق النفسى لشعراء هذه الفترة كما عكست لنا النفسية البشرية ، في وفائها وتملقها ونفاقها وخضوعها للقوة ومداهنتها للمستعمر البغيض ، متناسبة كيف كانت بالامس تسبح بحمد الاتراك ، وتلعن الانكليز على محاولتهم احتلال العراق •

وقد مثل الرصافي الوفاء الاسلامى نحو اخوانه العثمانيين المسلمين ولم يتلف قصيدته او يحذفها من الديوان مع انه لم يسمح بنشر قصائد له في الديوان سبق ان نشرت او نظمت في مناسبات مختلفة ورجا الاستاذ مصطفى علي ان يدونها في الديوان الذى طبع في بيروت ، فاعطانا الرصافي مثلا في الوفاء والشجاعة ، فلم يجبن عن نشر قصيدته في ديوانه خشية ان يعاقب من الحاكمين او انه كان يطمع في عمل يتزلف به لهم •

وقصيدة الرصافي ، نظمها يرد بها على سليمان نظيف الذى كان واليا في العراق وقد احبه العراق لانه قضى جزءا من حياته فيه وقد لام العراقيين لانهم لم يساعدوا الجيش العثمانى في الدفاع عن العراق ، فاجابه الرصافي على لسان دجلة قائلا :

هي عيني ودعهـا نضـاح ... كل حـزن لمائها يمتـاح
كيف لا اذرف الدموع وعـزي ... بيد الذل هـنالك ممتـاح

وقد القى تبعة ترك بغداد على الاتراك الذين تركوها بيد العدو وخرجوا بسرعة ، وفي هذا اشارة لطيفة مؤدبة من الشاعر الرصافي ، على عدم استبسال الاتراك في الدفاع عن العراق فقال :

اين اهل الحفاظ هل تركونـــي　　نهبة ، في يد العدو وراحـــوا
برحوا وادى السلام عجـــالا　　افجـد براحهـــم او مـــزاح
مالهم يبعدون عنـــي انتزاحـــا　　وعزيز منهم على انتـــزاح

ثم يصور الرصافي ألم دجلة لفراق الدولة العثمانية وكيف يتنهد هذا النهر ألما وحسرة لهذا الفراق ، وكيف تنساب دموعه غزارا فقال :

فمياهي هي انسكاب دموعـــي　　وخريري هو البكا والنـــواح
او ما تبصر اضطرابي اذا مـــا　　خفقت في جـــوانبي الارواح
ليس ذا المـــوج في موجا ولكن　　هو مني تنهـــد وصيـــاح

ويختتم قصيدته ببيتين جميلين فيهما النجوى والحنين الى الاتراك بقوله :

انا باق على الوفاء وان كـــا　　نت بقلبي ممن احـــب جـــراح
فاليهم ومنهـــم اليوم اشكـــو　　بلغيهم شـــكايتي يا رياح(٤٨)

اما الموالون للسلطات المحتلة ، فلم يكن ليجرأ احدهم على نشر اســـمه الصريح في الجريدة التى انشئت في بغداد لنشر الدعوة لهم والتغني بامجادهم،ففي عددها الاول زعمت ان انكلترا محررة العرب(٤٩) بل كانوا ينشرون قصـــائدهم بتواقيع مستعارة ليتستروا على السير في ركب الاستعمار الجديد خوفا من القول بانهم موالون للمستعمرين ، وانهم خونة يمجدون الاستعمار ، والاحتلال الاجنبى وقد تجرأ الزهاوى وحده على نشر اسمه صريحا ، اذ اراد ان يرد الامن لقلبه ، والطمأنينة الى روحه ، بعد ان هجاهم بقصيدة زمن العثمانيين فاراد ان يكفر عن سيئته لكنه امعن في اذلال نفسه في امتداحهم والتقرب اليهم .

وقد نشرت قصيدة بتوقيع « ابن ماء السماء » نظمت اثر سقوط بغداد بيـد الانكليز حاول الشاعر ان يكون مؤرخا ومصورا فقد وصف ساعات الاضطراب والفوضى التى حلت ببغداد بعد انسحاب الاتراك ناعيا عليهم ايام حكمهم فقال :

---

(٤٨) الديوان ص ٤١٠
(٤٩) عددها الاول الصادر في ٤ تموز ١٩١٧

مابال بغداد قد ضاقت بها الحال ... وخفّ بالاهل منها اليوم ترحال
بالامس كانت بقايا الجند رابضة ... فيها وللناس اشغال واعمال
وكان للترك فوضى من تجبرهم ... واليوم للترك لا قيل ولا قال
كانت بها غرفات الظلم شامخة ... ما أصبح الصبح الا وهي اطلال

وقد وصف الشاعر ليلة سقوط بغداد وما اعترى الناس من خوف وهلع ومشاركة الطبيعة في زيادة هذا الخوف بهبوب عاصفة ترابية ووصف اللصوص وهم ينهبون ويسلبون ، وقد تفردت القصيدة بناحية طريفة هي تصويرها النفسي لمشاعر الناس الخائفين واضطرابهم . بعد ان فقد الامن والنظام في البلدة ، ورسم الحيرة التي كانت تعلو وجوه الناس في هذه الليلة . فهم لايعرفون اين يذهبون واين سيكون الملجأ ، بعد ان خرج الاتراك من بغداد واعتزم الانكليز دخولها . وهم كافرون مستعمرون أسيأمنون على ارواحهم واعراضهم واولادهم واموالهم !؟. هل سيفتك بهم هذا الجيش الداخل بلدهم ؟. فالهروب من الموت والخوف على الاطفال والجزع من الفضيحة ، كلها أمور اخذت تنتاب هذا الشعب الذي ابتلي بالاستعمار . وساعد على هذا الهلع جماعة من ابنائه الذين اغتنموا هذه الفرص لاشباع رغباتهم في السلب والنهب فقال :

ليل السقوط بدا بالنحس طالعه ... تصادمت فيه بالاهوال اهوال
ريح ورعد وبرق واصطدام وغى ... كأنما ازدحمت في الافق آجال
للسلب والنهب بين الناس معترك ... لكن قتلاهم في السوق اموال
من فوقهم صاعقات الحرب نازلة ... وهد بنيانهم من تحت زلزال
وللمدافع رعد في سمائهم ... تكاد منه عقود النجم تنثال
وللرصاص صفير في مسامعهم ... وللخيالات في الافكار اشغال
وللرجال من الارهاب زمجرة ... وللنساء ابتهالات واعوال

وقد ظهرت الصور الانسانية والعواطف المضطربة ، في وصف الشاعر لسيدة تقود طفلها وهي تركض في الشوارع حيرى ، تبحث عن ملجأ تقر فيه ، وتسكن اليه ، وهي وحيدة ليس لها من تلوذ به ، فاخذ يواسيها في محنتها وبلواها

لان الجميع مشغولون بانفسهم يريدون الفرار بانفسهم ، وبارواحهم راكضين ذاهلين بلا وعي ولا شعور ولا ارادة • لان نيران الحرائق التي تلتهم الابنية والبيوت تزيد في الهلع والخوف فقال :

لاحت لي امرأة في السوق ماشية ودمعها فوق صحن الخد هطال
تقود طفلا صغيرا وهي صارخة رحماك رباه قد ضاقت بي الحال
وقد غدوت عن الدنيا مجردة لا والد لي ولا عم ولا خال
ولا شقيق ولا زوج ولا صلة ترجى ولا لي بها دار ولا مال

ثم يحدثها الشاعر ويسليها ويعزيها ويبشرها بتحرر العرب من الاسر التركي ونيلهم مطالبهم ، لان الانكليز يعرفون للعرب حقوقهم لانهم يحترمون اصدقاءهم •• ويبدو اثر الافتعال على القصيدة والتظاهر بالقوة والرجولة ، فبعد ان وصف البناء ليلة سقوط بغداد وشغل الناس بانفسهم • اراد اثارة العاطفة الانسانية في النفوس فوفق الى هذا لكنه هبط هبوطا واضحا عندما ادعى انه وقف واخذ يحادثها ويبعث الثقة في نفسها ولو قال انه اخذ يركض معها لينقذها من النيران ومن القنابل ومن ارجل الهاربين لكان في ذلك بعض الصدق وكان تمثيلا للواقع اذ ان موقف الرعب الذي وصفه في مطلع قصيدته لايتفق وهذا المشهد لان الانسان عند اندلاع النيران ومهاجمة الموت لايقف ويتحدث وانمايتبع عقله اللا واعي فيركض لينجو بنفسه من الموت• بيد ان البناء جانبه الواقع ولم يقدر ان يلائم بين اجزاء القصيدة وقد جره الى ذلك رغبته في التخلص الى مدح الانكليز حينما سارع الى التزلف اليهم واسباغ الثناء عليهم قبل ان يثق بهم ويجربهم • فقد نشر قصيدته في جريدتهم بتوقيع مستعار واراد ان يمتدح العرب فاساء اليهم لانه قال ان اسارهم فك ببعد الاتراك عن العراق وان العرب قد حصلوا على مطالبهم بفضل الانكليز ومساعدتهم للعرب ، كما شوه الصورة الانسانية التي رسمها لمسيدة وطفلها لانه حشر مدح الانكليز حشرا فقال :

ألست من امة العرب الاولى نجحوا وفك عنهم ببعد الترك اغلال
فاستشرى انهم نالوا مطالبهم بفضل قوم لهم فضل وافضال
الانكليز هم ما خاب صاحبهم ولا هم بحقوق العرب جهال

ثم يصف الشاعر هزيمة الاتراك الى جبل حمرين وفضل هذا الجبل عليهم اذ لولاه لافنى الانكليز جمعهم وابادوهم .. ثم يهاجم الاتراك الذين جحدوا النعمة وابتعدوا عن الهدى راكنين الى الظلام مبتعدين عن الحق فقال :

الترك قد تركوا بغداد وانهزموا ... من بعد حرب لها قد شيب اطفال

ثم يقول :

لولا الموانع من «حمرين» تمنعهم ... لم يبق منهم بهذا القطر خيال
أهالهم موقف ضاق الزمان بـه ... ذرعا وليس له في الدهر امثال
لانهم جحدوا النعمى وما شكروا ... وعن طريق الهدى في غيهم مالوا
عالوا على العرب في تبعيدهم فغدوا ... كأنهم فوق رعن الطود اوعال

اسلوب الشاعر ليس من الاساليب العالية ولا شعره من المتانة ما يصل به الى الشعر المقبول ، وانما نستشهد به لانه سجل لنا هذه الفترة تسجيلا واضحا(٥٠) وقد تطرق في القصيدة الى حوادث معينة مثل نسف باب الطلسم ـ احد ابواب بغداد القديمة ـ اذ اتخذ مخزنا للبارود فلما اراد الانكليز دخول بغداد نسفه الاتراك قبل الانسحاب منها . وتحدث عن تاريخ بناء الباب الذى كان جزءا من سور بغداد فهاجم الاتراك الذين نسفوا هذا البناء التأريخي .

ومن القصائد التى نشرت في جريدة العرب قصيدة ابن الفراتين التىوصف فيها رحى المعركة التى دارت بين الاتراك والانكليز والتى ادت الى استعمال السلاح الابيض . والقصيدة بعيدة عن روح الحقيقة ولم تدر مثل هذه المعركة بين الانكليز والاتراك انما اخلاها الاتراك دون مقاومة(٥١) ولكنه شاء ان يحلق

---

(٥٠) جريدة العرب الاعداد ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، من شهر ايلول ١٩١٧ م وقد نشرتها الجريدة في الصفحات الاولى واعيد نشرها مع بعض التغيير في (ذكرى استقلال العراق) ص ٦٣ ـ ص ٦٨ المطبوع في بغداد ١٩٢٧م

(٥١) العسكري في مذكراته ص ١٥٠ـ١٥١

في خياله الشعرى فاختلق هذه المعركة ، وتصح القصيدة ان تكون لمعركة من معارك الحرب العظمى ، فقد حدثت مثل هذه الالتحامات بين الجيوش ، ولعله اراد رسم صورة لاحدى هذه المعارك او انه وصف معركة رآها بنفسه وبقى اثرها في اللاشعور وظهرت بهذه المناسبة مع اضافة شيء يناسب الحادثة التى حدثت في بغداد او انه نظم القصيدة قبل سقوط بغداد فليس في القصيدة من حادث معين يشير الى سقوط بغداد سوى العنوان وهى تصلح ان تكون لاى معركة قال :-

تقلصت شوكة الاتراك في افق ... دامي الذبول صريع الرجم ملتهب
تضمه الزعزع النكباء مشفقة ... تكاد تخطفه من موقف العطب
وعندما اتصل الجيشان والتحما ... بكل اشعب خواض الوغى درب

ثم وصف المعركة المستعرة بقوله :

واوغل الطعن في جذر النفوس وقد ... تسعرت ناره في النبع والغرب
واصفر ثم اكف البهم صائلة ... واحمر حد السلاح الابيض الذرب(٥٢)

ويتحدث عن انسحاب الاتراك بعد ان حامت الطيارات فوق جيوشهم مضطرين متقهقرين . ثم يدخل الموضوع بعد جولة طويلة ويصف نسف باب بغداد واثر النسف في الناس وماحاق بهم ووصف اللصوص وهم يسرقون وينهبون ويهرولون نحو السوق يحدوهم الجشع والطمع والشراهة فقال :

فاضرموا النار في بغداد من حنق ... كأن بغداد ردتهم على العقب
وفرقوا مؤنا للحرب فانفجرت ... تواصل النسف في الابراج والقبب
فهزت الارض زلزالا صواعقها ... كأنما الارض مهد الخطب والغضب
فالناس امسوا سكارى حيث ليس لهم ... الا الجنون وليس العقل من زقب
خارت قوى الحس فيهم حيث لم يجدوا ... لا للحياة ولا للموت من سرب(٥٣)

---

(٥٢) جريدة العرب العدد ١١ ، وفي العدد ١٠ ما يؤيد بان القصيدة نظمت لغير هذه المناسبة وقد تحدث فيها عن مشانق الشام ومن شنق من احرار العرب .

(٥٣) جريدة العرب العدد ١٥ السنة الاولى والعدد ٢٠ سنة ١٩١٧م ذكر لهروبهم الى سامراء .

ولم يكتف الشاعر بمهاجمة الاتراك وتعنيفهم بل اخذ يتهمهم بالكفر والشرك ويعيرهم باجدادهم الذين يعبدون الثور ويذكر ماصنعه المغول وجنكيزخان من الفضائح مذكرا الاتراك بدعوتهم الطورانية التى مزقت المسلمين شر ممـــزقة ففقدوا عطف الامم الاسلامية والعربية معا ، وقال متهكما :

رب المغول هو الثور الذى انتظمت — جماجم الصيد قهـــرا منه باللبب
ايديه تربو على العشرين حاملـة — اعضـــاء انسان او آلات محترب
هو الذى ارشد الاتراك منظره الـ — قاسي الاليم الى التدمير والحـرب
احرقتم الحرث والنسل ابتغاءهوى — ورحمةمنه فوزوا اليوم بالارب(٥٤)

قد يقف الباحث في حيرة من حالة الشعراء ويتساءل متعجبا عن سبب هـذا النقلب من مدح الاتراك الى هجائهم • فلو اخذنا « صدى الاسلام » وجـــريدة «العرب» لوجدنا شيئين متناقضين فقد مجد الشعراءرجالالدولة العثمانية واعمالها في العراق ونظروا اليهم نظرة الاخ لاخيه ثم انقلب هؤلاء الشعراء الى هجوهم وحربهم ولصق كل تهمة بهم وكل بلية جاءت العراق ، فاتهمـوا بالهزيمـــة طورا وبالكفر والشرك مرة وتنصلوا عن اخطائهم وصلاتهم بهم آونة واخرى • وليس هناك اى تناقض في الامر انما هى حقيقة النفس الانسانية في اجلى صورها فقد كان العصر عصر اضطراب وبلبلة فكرية وقلق نفسى من جراء الحراب اعقبها انتصار جيش على جيش وهزيمته •

والمنتصر الذى يريد ان يطمس ما للناس من فضائل وميزات ، ويريد ان يكون هو وحده صاحب كل فضيلة او رأس كل خير وان عهده هو عهد الرخاء وعهد الامن ، وعهد الهناء والعيش الرغيد ، ويصم العهد السابق بانه عهد الجوع والاستبداد والظلم ، والطغيان لكى يثبت اركان ملكه وحكمه ، والحقيقة ان ليس هناك من فرق من حيث الاستعمار فهو احتلال في جميع صوره •

---

(٥٤) جريدة العرب العدد ٢٠ السنة الاولى ١٩١٧ والقصيدة تقليد فاشـــل لقصيدة ابى تمام المشهورة :

السيف اصدق انباء من الكتب — في حده الحد بين الجد واللعب

ان كثيرا من الذين مدحوا الاتراك ، وساروا معهم شوطا بعيدا ، كـــانت تدفعهم الحمية الاسلامية والحمية العربية ، دفاعا عن اوطانهم ضد الاســـتعمار الانكليزى الجديد ، ومنهم جماعة كانت مخلصة كل الاخلاص لدينها ، وعقيدتها فقد اشتركوا بانفسهم في حرب الانكليز ومات الحبوبى كمدا لما خسرت الجيوش التركية الحرب ، واحتل الانكليز جزءا من العراق(٥٥)

وقد ثبت منهم في عقيدتهم في تفضيل الحاكم المسلم على غيره، اذا كان هناك تفضيل بين احتلالين • وقد نشروا قصائدهم بتواقيع صريحة ، فما يجد الباحث قصيدة نشرت الا باسم صاحبهم لان العمل في سبيل نصرة دينه جهاد • اما الذين مدحوا الانكليز فقد كانوا خائفين ، وجلين مضطربين ، صوروا الحالة النفسية المضطربة التى تعقب الحروب ورسم لنا المثل العليا والاهداف الاجتماعية السامية التـــى تختلف باختلاف الحاكم • واضطراب هذه المثل شيء حتمى في مثل هذه الظروف والتقاليد والمثل صورة صادقة لكل مجتمع • تعكس التيارات الفكرية والنفسية فهو الذى يصنعها وهو الذى يفرضها ويحميها • ومن المثل العليا التى سادت هذا العصر الامتناع عن الاتصال بالانكليز واعتبار كل مادح لهم من المشركين والكافرين، لذلك اختفى المادحون وراء اسماء مستعارة تخلصا مما يصبه عليهم المجتمع مـــن نقمة • والسبب واضح لان الانكليز يختلفون عن العراقيين في الدين ، والتاريخ والدم والعادات وليست هناك اية رابطة تربطهم معهم سوى الاستعمار والقـــوة والحديد •وهناك سبب آخر منع العراقيين من مدح الانكليز هو الخوف من عودة الاتراك والتنكيل بهم كما صنعوا بعد حصار الكوت ، فقد نكلوا بالذين تعـاونوا مع الجيش البريطانى •

وملاحظة جديرة بالاهتمام ان شعر الذين مدحوا الانكليز لايـــرقي الى مستوى الطبقة الاولى من الشعر العراقى فقد كان مبعث النظم الخوف مـــــن المستعمر او الرغبة في الاموال السخية التى كان يصرفها لكتاب جريدته ••

والانتهازيون في كل عصر وفي كل زمان يحتفلون بالقادم الجديد ويمجدونه حبا في مناصبه وماله •• ولايهمهم غير انفسهم وجيوبهم •

---

(٥٥) ديوان الشبيبي ص ١٨٥

الاحتلال البريطاني

ـ ٣ ـ

بعد أن أعلنت الهدنة وبدأ الاستعمار الغربى يقسم البلاد العربية ، شعر العراقيون بثقل وطأة الاحتلال الانكليزى ، وبدأت الدعاية في تمجيد الحاكم الانكليزى في العراق وذم العهد التركى . وساهمت جريدة العرب التى كان يصدرها الاحتلال ويشرف عليها الاب انستاس الكرملي مساهمة فعالة في هذا الميدان ، ففى عددها الاول نجد الدعاية الواضحة في كل مانشرت ، فقد نشرت نداء الجنرال مود الذى يقول فيه « ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين او اعداء ، بل بمنزلة محررين ، فقد خضع مواطنوكم منذ ايام هولاكو لمظالم الغرباء فتخربت قصوركم ، وتجردت حدائقكم وأنّت اشخاصكم واسلافكم من جور الاسترقاق لقد سيق ابناؤكم الى حروب لم تنشدوها ، وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة[١] » ومنّى العرب بالحرية والاستقلال بعد ان آذاهم « الظلمة الغرباء » . وتحدثت الجريدة في اعداد اخرى عن فظائع الاتراك الاتحاديين في بلاد العرب مثل « انحطاط الامة العربية في عهدهم » « وما قاساه العرب من الترك في بغداد » وغير ذلك مما تطفح به صفحات هذه الجريدة .

وقد تمكن المحتلون من اغراء جماعة من الشعراء بالسير معهم وبذلك انقسم

---

(١) نشر النص الانكليزى في ص ٢٣٧ وبعدها من كتاب ولسن جـ١

الشعراء الى قسمين متضادين : القسم الاول : الذى لايرى فرقا بين محتل ومحتل آخر ، فالاستعمار هو الاستعمار ، سواء اكان تركيا او انكليزيا جاء لامتصاص ثروات البلاد واستغلالها ، وهم مستعمرون يجب ان يحاربوا دون هوادة ، ولم تكن البلاد قادرة على المقاومة في هذا الظرف فيجب مقاطعة المحتلين وعدم الاتصال بهم ، وهذا القسم هو الذى أوقد نار الحرب على الاستعمار البريطانى ، وزودها بالوقود لحرقه ، وسنرى ذلك في فصل الثورة العراقية .

أما القسم الثانى ، فقد رأى الانكليز خيرا من الاتراك ، لان شعراءه انتفعوا بهذا الاحتلال وحصلوا على مكاسب لم يحصلوا عليها في العهد التركي ، او انهم طمعوا فيما بذل الانكليز من الاموال ، فارادوا ان يتقربوا اليهم زلفى وهم شأن الشعراء الذين هاجموا العهد التركى بان نشروا قصائدهم بأسماء مستعارة ، خوفا من الرأي العام ، وهم مع ذلك نفر محدود العدد . لكن الزهاوى كان اجرأ الشعراء في تحدي الشعور العام ، فقد استمات في الدفاع عنهم وعن اعمالهم ، فأحبوه وقربوه حتى ان مس بل كانت تسميه « شاعرنا » عندما تريد ان تذكر اسمه .. ومن قصائده التى نشرتها جريدة العرب قوله :

وجدت الانكليز أولي احتشام ... أباة الضيم حفاظ الذمام
فصادقهم تجد اخلاق صدق ... لهم والصدق من شيم الكرام
اذا بهم احتمى المذعور يوما ... رأى منهم له اقوى محام
وبات على فراش الامس خلوا ... ونامت عينه أهنا منام

ويبرز سبب حبه للانكليز بعدلهم ودكهم صروح الظلم ، وسياستهم الحكيمة التى تذلل كل الصعوبات ، يقول :

أحب الانكليز واصطفيهم ... لمرضى الاخاء من الانام
جلوا في الملك ظلمة كل ظلم ... بعدل ضاء كالبدر التمام
ودكوا بالسياسة كل صعب ... وخاضوا بحره والبحر طامي

ثم يصف الاسطول الانكليزى وقوته في البحار ، وتحطيمه اساطيل الاعداء وان جيشهم قاهر منتصر لايمكن لجيوش العالم ان تغلبه لانه جيش لايكترث

بالموت وتساوت لديه الحياة والموت • ثم يهاجم الاتراك ويصفهم باللؤم والغدر وانهم أذاقوا العرب الذل والهوان ، بقوله :

وانت تسومك الاتراك خسفـــا وتسلب من حقوقك باهتضـــام
ووال الانكليز رجال عـــدل وصدق في الفعال وفي الكـلام(٢)

ولم تكن هذه هي المرة الاولى والاخيرة التي مدح الزهاوي فيها الانكليز، فقد مدحهم بعد ذلك وهجا العراقيين في الثورة العراقية وسخر منهم سـخرية لاذعة ، وخطب محرضا برسي كوكس على اعادة الامن الى نصابه ، وطلب الدواء للعراق المريض ، والقصيدة كان قد نشرها قبل دخول الانكليز العراق في ديوانه « الكلم المنظوم » ولم يكن عليه ضير لو تركها او أعادها مرة اخرى دون تحريف ولكنه حرف بعض ابياتها وذكر الاتراك فيها صراحة ونشرها في جريدة العرب، جريدة الاحتلال الانكليزي ،فأثبت شدة تملقه للانكليز، ولم يكتف بهذه القصيدة وانما كان يظهر تعلقه بهم ، وصداقته لهم في كل مناسبة ممكنة ، فانضم الى حزب النقيب « الحزب الحر » الذي يؤيد سياستهم في الاحتلال ، الحزب الذي وقف الرصافي منه موقفا حازما وهجاه باقذع وامر هجاء

ان نفسية الزهاوي القلقة الخائفة هي التي الجأته الى التمرغ على أعتـاب المحتلين بعد ان كان عزيزا محترما نال أرفع المناصب في العهد التركي(٣)، وكان من الوفاء أن يسكت ، أو يمدح الانكليز دون أن يسب او يتعرض للمناوئـين وذلك أضعف الايمان • والمؤمل ان يكون شاعرا ثائرا على هذا الاحتلال الـذي أهان بلده ووطنه أسوة بزملائه الشعراء الذين ناضلوا ، وبقي منهم من يناضل حتى النفس الاخير ، صابرا على الاذى في سبيل حرية شعبه وكرامته •

وللزهاوي قصيدة اخرى يصف فيها حسنات الانكليز ، يدعو فيهاصراحةالى الاستعمار البريطاني وتأييده ، قال فيها :

---

(٢) جريدة العرب العدد ١٥ـ٢ـ١٩١٨ ولاحظ الكلم المنظوم ص١٤
(٣) بعد أن فشل الزهاوي في الحصول على مايريد ، ندب العهد التركي بقوله :

اين عزي في دولة الاتراك أنا باك مما به أنا باكي

علينا بفضل الله ظل حـكومـة أتت بهدى في العلم ابيض ناصـع
لقد حررتنا من مظالم جمـة بحد المواضى المرهفات القواطع(٤)

واطرف قصيدة هى قصيدة « ابن السليقة » فقد مدح فيها ملك الانكليز ، الملك الذى انتصر في الحرب ، وتبدو طرافتها في الروح البدوية والعقلية الساذجة التى مدح بها الملك جورج ، فقد تصور الملك جورج ملكا يبعث اسمه الرهبة في القلوب ، وتود عيون الملوك ان تكتحل بتراب اقدامه ، ويتصور الشاعر نفسه راكبا ناقة ذاهبا بها الى لندن ، لينزل برحله بباب الملك ، فقال :

دعائي وحمدي ومدحي اتصـل لسلطاننا وعميـد الـدول
هو الملك المرتقي في عـلاه مراقي ينحط عنهـا زحـل

وقال :

وان السلاطين دانوا لـه وباتوا به يضربـون المثـل
وان ذكروا اسمه بينهـم لهيبتـه يعتريهـا الـوجل

ومنها :

فيا راكبا ظهـر مرقالـة يجوب الحزون بهـا والسهل
ينادم نجم السما في سـراه ويهوي بواد ويعلو جبـل
أنخها « بلندن » عند المليـك وقبل الاعتاب ذاك المحل « كذا »

وقد نشرت جريدة دار السلام قصيدة لاتختلف عن غيرها من شعر هـذه الفترة الا بالتكلف المرذول الذى تكلفه (المعلم داود صليوا) في مدح الجيش الانكليزى بجعل كلمة « الخال » قافية لجميع القصيدة ، ولم تخف المجلة هذا الشعور فقالت « ادرجنا هذه القصيدة على علاتها مراعاة لصاحبها » ، وفيها مـدح لانكلترا التى أذلت الرؤوس ودان لها السلاطين . وفي القصيدة ذكر لحضارتها وسياستهاللرعية التى محت الظلم والاستبداد وحررت العرب ، وكستهم المجد.. الى آخر ذلك .. ومطلعها :

---

(٤) جريدة العرب ١٧١-٣-١٩١٨

بخال فتاة الخال اشغفنى الخـــال فلا ثم عم يا اميمة او خـــال[٥]

وقد مدح الشيخ عبدالحسين الحويزى[٦] الانكليز ، والطريف انه احتفظ بهذه القصيدة بعد مرور وقت طويل ، فقد كتبت اليه ان يرسل الي بشيء من شعره السياسى فكانت هذه القصيدة ضمن ما ارسل به الي ، والقصيدة طويلة اتخذ فيها موت الملكة فكتوريا واسطة لمدح الدولة الانكليزية ، فرأى فيها كل المحاسن والمكارم السامية عدلا ورحمة وفخرا لخصها بقوله :

وحويت في الدنيا مكارم جمـة طلعت بدورا تزدهي وشموســـا

ثم يسهب في وصف هذه المكارم من قوة ورهبة وسطوة وعدل ســـاد الرعية ، وافرط افراطا ممجوجا في المبالغة ، فهو لايختلف بأى حال من الاحوال عن شعراء القرن التاسع عشر ، فقد جعل الشمس حاجبا لها ، والقمر جليسالها،ثم امتدح ولدها الذى خلّفها بقوله :

للدولة العليـــاء شـــبلا أعقبت حفظت قريحة فكره القاموســـا
ملك رعيته اذا ذكروا اســـــمه ضربت لمثل جلاله الناقوســـا[٧]

وقد انصب بعض المديح على الجنرال ستانلى مود[٨] الذى منّى العراقيين في منشوره بالحرية والاستقلال ، وتحريرهم من الاستعمار بأقامة حكم وطنـي في البلاد ، وقد أصيب القائد الانكليزى بالهيضة فمات ودفن في بغداد[٩] •• وقـد أسف على موته ، وظن بعضهم انما قتل لانه وعد العراقيين وعودا خلابة ، لذلك تسابق نفر من الشعراء الى مدحه ، وظفر بما لم يظفر انكليزى من عطف القوم

---

(٥) دار السلام العدد ٣ـ٢ـ١٩١٩
(٦) يبلغ من العمر الثامنة والثمانين « سنة ١٩٥٤ » وشعره لايسمو الى مرتبة القـــريض •
(٧) القصيدة بخط يده ، وعليها آثار رعشة العمر ، في مكتبتي الخاصة •
(٨) حاول الوطنيون عدة مرات اقتلاع تمثاله المقام امام السفارة البريطانية في الكرخ •
(٩) لاحظ جريدة العرب العدد ٩٦ـ١ـ١٩١٧ ترجمة حياته ودفنه

ورثائهم .. فمن الذين رثوه شاعر سمى نفسه « ابن الرثاء » :

لله أي مصـــاب فادح عظمـــا أورى بقلب المعالى زنـــده ضرما
خطب ألم فأشجى المـكرمات وقد فاضت لفجعته عـــين الفخار دما
أوذى الحمام بمود باسل فغـــدا شمل العـــلا بددا اذ كان منتظما
قد مات بحرالندى والمكرمات وكم قد فاض زاخره بالجود ملتطما(١٠)

وقد عنيت الجريدة في قصائد الرثاء التى نظمها الشعراء في مود ، ونشرت بعضها افتتاحية لجريدة العرب .. فقد رثـاه ابن العـــراقين وابن السياره ، وابن قفطان(١١) ، وغيرهم .. ويقتضى الاستطراد ان اقول ان اقامة تمثال مود آلم الوطنيين ، اشد الالم لانه تمثال يمثل العبودية ، وقد سخر الشيخ علـــي الشرقي قائلا :

كل رجال لعبت دورهـــــا وما وجدنا في السويدا رجـال
قد خذلت بغداد منصـــورها وانهضوا فيها « لمود مثـــال »
في كـــل يوم بهرجت دورها لامة من امم الاحتـــــلال
يالله يا من سبروا غـــــورها ماذا وجدتم امة أم خيـال؟(١٢)

---

(١٠) العرب العدد ١١١-١-١٩١٧
(١١) العرب الاعداد ١٠٩ ، ١٠١ ، ١٠٢
(١٢) ديوان علي الشرقى ص ٩٤ ، بقي التمثال شامخا في جانب الكرخ يمثل الاستعمار الجاثم على صدر العراق ، وقد جرت محاولات لقلعه ولم تنجح هذه المحاولة الا في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وقد اشارت الكاتبـــة الانكليزية « دورين وارنر » الى رموز الاقطاع والاستعمار والملكية في كتابها المطبوع في لندن سنة ١٩٥٧
Land Reform And Development In the Middle East.

الحرب والسلم

ـ ٤ ـ

تردد ذكر السلام والحرب كثيرا في الشعر العربى ، ولعل زهير بن ابى سلمى اول من نظم في استهجان الحروب وذمها ، فقد وقف موقفا كريما سجل فيه مشاعر الانسانية وبغضها للحروب ، وما تجره من ويلات ومصائب .. فيقصيدة طويلة منها :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر اذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحا بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم[(١)]

ولا يكاد يخلو ادب امة من وصف للحروب وويلاتها ونجد في كل عصر من العصور من يذم الحروب ويمجد السلام . لان الانتاج المبدع المنظم لايكون في ظل الحروب .

وتصاحب الدعوة الى الحرب دعوة الى السلام لان الانسان تهزه مصائب الحروب ، وتوجعه ويلات البشر ، التي توقف الحياة عن عملية الانتاج وتجر الى الحرمان والتقشف والجوع وفتك الامراض . وتشريد الاطفال والنساء وازدياد المآسي والاحزان .

---

(١) شرح ديوان زهير بن ابى سلمى ـ لثعلب ـ ص ١٨ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤

لذلك فالشعر خلال الحرب تسوده روح التشاؤم ويطفح بالحزن والالم الشديد . مهما كانت دوافع الحروب ومهما يسبغ عليها مثيروها من نعوت والقاب فالهندواى يعرف ان الحرب اثيرت ضد العدو الذى جاء يستعمر بلده واضطر للحرب والقتال ليدافع عن وطنه ويثأر لكرامته وعزته .. ولكنه رآها ضرورة بغيضة فهو يدعو الى الحروب مضطرا لانها جهاد فيقول :

واذا لم يكن من الحرب بـد فلنثرها حربا تشيب الوليـدا
ولنمت في الدفاع عن حرم الحـ ـق فقد بات وهو يشكوالجمودا
أين قومي وهل ترى غير قومي أمة تصدع الصفا والحديـدا
ان قومي أبنـاء قحطان حازوا طارف المجد والعلاء التليـدا
شهد السيف انهـم أمة الحر ب اذا هزت الـكماة البنودا
وكفى بالحسام وهو أخو صد ق على البأس للرجال شـهيدا

ولكنه يضطر الى اثارة الحروب التى كانت شرا لابد من دخولها ، فيصف مساويها التى حاقت بالبشر فقال :

شـر طبـق البحار هبوطا واعتلى قارب الوهاد صـعودا
أحرق المـال والنفوس وآلى لا نباتا يبقى ولا جلمـودا
عم وجه الصعيد طرا فأمسـى كل شيء على الصعيد وقـودا

وصور مبلغ ألم الشاعر من الحروب ، وحملته العنيفة على العلوم التـى خلقت هذه الآلات التى تفتك بالبشر فتكا ذريعا ، بينما خلقت العلوم لاسـعاد البشرية لا استغلالها في الشر والفتك باخيه الانسان ولما رأى الشاعر مقدارضراوة الحرب فضل حياة القرون الوسطى وعصور التأخر ، لانقاذ البشرية من الدمار الكلي الذى احدثه عصر النور ، وكتب صفحات تأريخه بدماء الابرياء فـأحال صحائفه البيض المشرقة سودا تسيل دما ودمارا ، فقال :

يا زمان النور الـذي قد ألا ن العلم فيـه الصفا والحديدا
لح كئيبا فقـد أعاد بنوك الـ ـيوم منك الصحائف البض سودا
لطخوا بالـدماء وردة خديـ ـك عقـوقا فشوهوا التوريدا

وبكف العلوم جروا لنــــا الو　　　يلات واستفرغوا لهــا المجهودا
ليت لا كانت العلوم ولا كـــا　　　نوا وليت الذكي يفدي البليــدا
حبـــــذا لو بقي الجمود وتعـ　　　ـسا لقوم لا يشكرون الجمودا
ان عصر الجمود عصر شريف　　　عاش فيه الانسان عيشا رغيــدا

وقد ظهرت في هذه القصيدة ظاهرة جديرة بالاشارة اليها ، هي ان الشاعر سخط على الملوك الذين يرسلون بالشعوب الى الحروب رغبة منهم في السيطرة ، وشهوة للحكم ، واطفاء لشهوة الاحقاد والضغائن التى بينهم ، غير عابئين بمايحيق بالشعوب من ويلات ٠٠ وقد جزع الشاعر من هذه الحروب التى كان الملــوك سببا مباشرا في اثارتها ، فأخذ يستدر رحمة الملوك ، ويثير فيهم المشاعر الانسانية ليكفوا عن هذا القتال ، وضجر الشاعر وجزعه من الحروب رد فعل لما حــــل ببلاده وبالبشرية من خراب ودمار ، فقال بصراحة :

رحمة أيهــــا الملوك بأهل الار　　　ض وكفوا جيوشــكم والجنودا
ضاقت الارض بالذى حل ذرعـــا　　　فاكفهرت وأوشكت أن تميــــدا
جردوها عواطفـــا وشـــعورا　　　وادفنـــــوها ضغائنا وحقودا
وتلافــوا بقيــة السيف منكـم　　　فهي بالسيف أوشــكت أن تبيدا

وذكرهم بان البشر سواء في العواطف والمشاعر ، وان ليس هناك فرق بين انسان وانسان آخر ، فهم سواسية في العذاب والآلام والمشاعر حبا وبغضا :

فارحموهم فهـم وأنتم ســـــواء　　　قــد تماثلتم أبا وجــــــدودا
لــو رجعتم الى الحجى لــرأيتم　　　ســـيد القوم لا يطول المســـودا
انما الجهل أوجد الفرق في النـا　　　س فــكانوا مواليــا وعبيـــــدا

وقد عبر الشاعر عن رأيه في الحروب اصدق تعبير ، وعزاها الى المنتفعين بها وهم الملوك ، وبالرغم من انه ختم قصيدته بالدعوة الى الحرب لم نجد الشاعـر يندفع اندفاعا دينيا في الدعوة الى الحرب فلم يقل ان الكفار قد وطئوا ارضكم، لانه يرى الانسانية تستباح ويفتك بها لانه بعيد النظر ، وواسع الافق ، رأىامورا لم يرها غيره من الشعراء ٠٠ رأى الانسانية تتقرب من الملوك ، ورأى الملــوك

والرعية يتساوون في الفتك والموت غير ان الظروف هى التى خلقت هذا ملكا وهذا من ابناء الشعب • وعندما اراد ان يثير الحرب اثارها باسم قومه العرب ، الامة التى تصدع الحديد والتى سجلت فخرها ومجدها في صفحات التأريخ ، لان رغبة الشاعر لم تكن عميقة في الذود عن الاتراك ، فلم يحث صراحة على الحروب ولم يحرضهم ولم يطالبهم بصراحة ، انما اوجب الحرب لان العدو دخل حدود وطنه ويجب ان يحارب ليطرده من هذا الوطن :

ان ظني وأكثر الظن حـــق　　ان قومي لا يرتضـون القعودا
سيخطون بالقواضب حـــدا　　للعــدو الذي تخطى الحدودا[٢]

أما « ابن اليراع » فقد شاهد الحرب في الارض والبحر والسماء ولم تنج بقعة من ويلاتها ، فصرخ من اعماق قلبه مطالبا بالسلام ، صرخ بالدول لترفق بالانسانية وتخفف من مصائبها فقال :

دول الارض أين أين الســلام　　فعلى الرفق والحنـــان السلام
خففوا الويل عن بني الانســان　　انما الويــل في الشــرائع ذام
قد قست منكم القلوب وأنتـــم　　بشـــر مثلهم دم وعظـــام
ارحموهم فهـم وأنتم ســواء　　كلكم أنتجتكم الارحـــام

وتساءل « ابن اليراع » عن السلام ومتى تضع الحروب اوزارها وتستقر الامور وتهدأ النفوس الضالة الحيرى ، ولكن استدرك فوجد ان موقدي نيران الحروب هم تجار الحروب وهم الحاكمون ، لذلك وجه تقريعه ولومه على من أجج هذه الحروب التى زادت نسبة اليتامى ، وفجعت الناس بالاعزاء من البنين •• ثم وقف صراحة وخص الملوك بهذا التقريع فهم الذين يعاملون ابناء الشعب معاملة الراعي القاسى للاغنام الضعاف ، والا فما فائدة الشعوب في هذه الحروب التي تشن لنزوات الملوك ومنافعهم الشخصية وشهواتهم •• وفي اثارتها الدماء والدموع والفناء والجوع والمصائب ، فقال يخاطب الملوك :

---

(٢) صدى الاسلام العدد ٧٩ـ١ـ١٣٣١ وقد ثبتها في ديوانه المخطوط • وعندى نسخة منه •

ان لومي على الذي أجج الحرب ... حيث في الحرب تكثر الايتام
ولو أن الحروب فيها حياة ... لشعوب من دأبها لأ تضام
يا سماء امطري على الارض دوما ... غضبا فيه تهلك الظلام
يا ملوك الارض اشفقوا بالرعايا ... سئمت من رعاتها الاغنام
فلحفظ الأنام تستعمرون الار ... ض أم للاطماع تفنى الانام
ان يكن حربكم لنيل انتقام ... ففناء العباد ليس انتقام
حيث أهلكتم بها الحرث والنسل ... لم يرعكم شيخ قضى وغلام[٣]

وكان كل الشعراء على اختلاف بيئاتهم يكرهون الحروب لانها وسيلة لتهديم دعائم السلام ، وتقويض دعائم الطمأنينة والامان في النفوس ، وطريقة لبث الرعب والفزع في قلوب الضعاف من النساء والاطفال •• فقد نظم « الرصافي » قصيدة « من ويلات الحروب » مصورا فقيرة اضناها الفقر من أثر الحرب فخارت قواها ، فأخذ الشاعر يخفف من وقع الالم ، وكان ألمها شديدا حتى انه ابكاه واوجعه • ثم هاجم الغرب مشعل الفتن والحروب ، وذكر ما تصنعه الحروب من تبدلات في حياة البشر عامة فقال :

قامت قيامة أهل الغرب فانبعثت ... هزاهز بينهم عمت بني نوح[٤]
واستفحلت فتنة عمياء جائحة ... تمخضت من دم في الارض مسفوح
وقامت الحرب باللاواء شاملة ... كل البسيطة حتى الابحر الفيح[٥]
والارض قد أصبحت من مكر ساكنها ... محمرة اللوح أو مغبرة السوح[٦]
ضاقت على الناس وانسدت مسالكها ... فعاد كل طريق غير مفتوح

---

(٣) جريدة العرب العددان ٨١ ، ٨٢ـ١ـ١٩١٧ وتراجع قصيدة ابن اليراع •• التى يصف فيها احدى المعارك •

(٤) الهزاهز : الاضطرابات التى تهز الشعب • القصيدة في الديوان ص ٢١١

(٥) اللأواء : المجاعة ، وكل مصيبة شديدة •

(٦) اللوح : بضم اللام الهواء • يكنى في البيت عما حل في البلاد خلال الحرب العظمى من المجاعة والمصائب العامة •

والحرب أغنت اناسا غنية عجبـــا وآخرين رمتهـــــم بالمجاليح[٧]
ومعشرا أسكنتهم في الـــذرا غرفا ومعشرا بطن ملحود ومضروح[٨]

وللرصافي عدة قصائد في ويلات الحرب ومصائبها .. ففى قصيدته « ابو دلامة والمستقبل » حرب شعواء على الحروب التى تشنها المطامع ، فتسفك دمـــاء الابرياء ، وتيتم الاطفال ، وتفنى الجيوش لجشع فئة محدودة .. اظهر كرهـه للحروب التى تفتك بحريات الشعب ونفوسه ، فقال فيها :

أمن السياســـة أن يقتل بعضنا بعضا ليـــــدرك غـــيرنا الآمالا
لا در در أولى السياســة انهـــم قتلوا الرجال ويتموا الاطفـــالا
غرسوا المطامع واغتدوا يسقونهــا بدم هريق على الثرى ســـيالا
نثروا الدماء على البطـــاح شقائقا وتوهموها الروضـــة المحلالا[٩]
تفنى الجيوش ولا ضغائن بينهـــا سبقت ولا ترة ولا اذحـــــالا
قالوا كرهت الحرب قلت لانهـــا دارت لتغتصب الحقوق الآلا[١٠]
وأجلت فكري في الحروب فلم أجد أبدا لهن سوى الخمور مثـــالا
طاشت منافعهـــا الصغار عن الورى ورست مآثمها الـكبار جبـــالا
ما أجشع الحرب الضروس فانهـــا تحسو النفوس وتأكل الاموالا[١١]

وفي قصيدة اخرى يصف احدى الوقائع التى حصلت بين روسيا واليابان ، وماجرت هذه الحروب على الانسانية من ويلات ، لم يستهجن شاعرنا الحرب لان ويلاتها نكبت ابناء وطنه فقط وانما وقف موقفا انسانيا كريما فحاربها . لانها تفتك بالانسانية وتبيد البشر اجمع وقد بدت هذه الروح الانسانية في قصيدته التى مطلعها :

---

(٧) المجاليح : السنون الشديدة ذات القحط والجدب .
(٨) مضروح : أصبح له ضريح ، أى ميت .
(٩) المحلال : كثيرة حلول الناس اليها ودخولها
(١٠) الال ، الاصحاب ، اي ان الحروب تسلب الحقوق اصحابها .
(١١) الديوان ص ٣٦٨

سعروها في البحر حربا ضروسا تأكل المال نارها والنفوسا[١٢]

وقد كان لاعلان الهدنة رنة فرح وسرور في جميع العالم ، اذ وقف سيف المصائب من حصاده ، وطاحونة الآلام من دورانها وبدأ الامل الحلو يداعب الناس بحلول الاطمئنان والهدوء وبدأ السلام يرف بأجنحته على الشعوب في هذه المعمورة التى انهكت قواها الحروب ، واقيمت الافراح في كل مكان ولا سيما في دنيا المنتصرين .. وعبر « الزهاوي » عن فرحه هذا بقصيدة رأى في الهدنة طريقا لتحرير الامم من رق العبودية ، وان الانكيز سوف يأخذون بيد العراق نحو التقدم والرقى ، لانهم انقذوه من الاتراك ، وقد جافى الزهاوى الحق كله واراد ان يتقرب الى الانكليز بقصيدته ، اذا اعتبر الهدنة سبيلا لتحرير بلاده التى اصبحت قطعة مستعمرة للتاج البريطانى . وغدت البلاد العربية بل اكثر الشرق تحت دول السيطرة الاجنبية .. كيف رضي ان يغالط نفسه ويدعي ان الهدنة طريق لتحرير الشعوب من العبودية والاستعمار ، وقد اكد هذا المعنى في المقطوعات السبع التى نشرها في هذا المعنى ، فقال :

أتى الله حزب الحق نصرا فحرزوا وراء انتصار في الحروب شعوبا
وأعطوا من العدل العراق نصيبه يسرون من أهل العراق قلوبا

وفي بيتين آخرين قوله :

قد انتهت المهالك والحروب وفي العقبى تحررت الشعوب
هنيئا للعراق فسوف يلقى بذلك ما تطيب له القلوب[١٣]

واعتبر الزهاوى الانكليز حزب الحق الذى خلق ليحرر الشعوب من الاستعباد ، وقد أوغل في الدعاية للانكليز وحسن الظن بهم ، وظن بأن الشعوب كلها سوف تنال حريتها واستقلالها ، وانها ستفوز بالخير العميم ،وسيحف

(١٢) الديوان ص ٣٥٩
(١٣) تراجع جريدة العرب العدد ١٣٩ المجلد الثالث ١٩١٤ .. وللزهاوى باب في ديوان الزهاوى من ص ١٠٧ ـ ١١٧ المطبوع في مصر سنة ١٩٢٤ .. ويراجع اللباب ص ٤٨ والعرب ١٧١

الرفاء بالعراق من كل جانب • فتعم الفرحة قلوبهم والعدل ديارهم •

وقد شارك « محمد مهدي البصير »[١٤] الزهاوي في هذه البشـــرى •• بشرى الهدنة ، وتصور وجود السلام مدعاة لاعادة مجد العرب وتحريرهم من الذل والعبودية ، وتخيل أن هنـــاك حفلة ستقام ابتهاجا بهـــذا اليوم السعيد ، وصفها بقوله :

أعاد لنـــا السلم مجد العرب	فحيا الالـــه وأحيـــا حلب
على اسس الصلح قامت لهـــم	عـــــروش دعائمهن الطلب
ستبنى غدا بيـــد المالـــكين	ولـم تبنهـا اليوم هـــذي الخطب
اثارهم ساســـة الاضطهـــاد	فذاقوا الحيـــاة بكاس العطب
ويوم على ذكــــــر تحريرنا	أقمنا بها حفـلات الطرب[١٥]

ويتصور البصير أن الحرية التي حجبتها المطامع وراء دخان المدافع جاءت بعد الهدنة تحيي العرب وحلت في ديارهم ، لان الحلفاء قرروا تحرير الشعوب العربية •

وللبصير قصيدة اخرى يتحدث فيها عن السلام ، نشرها بتوقيع مستعار[١٦]، حشر فيها نظرية التنازع على البقاء ونظرية البقاء للاصلح حشرا ، فقال :

قلت السلام على السلام فقـد أبى	حتى الجماد مع الحياة ســـلاما
الا اذا انقرض التنازع في البقـــا	فالسلم ينشر في الورى أعـــلاما
والناس لو يتناصـــــفون تصافيا	لم يسق قوما آخـــــرون حماما

---

(١٤) سألت الدكتور البصير عن هذه الحفلة فأخبرني متفضلا انها خياليـــة ولا صحة لما ورد فيها •

(١٥) مجلة دار السلام العدد ٤ـ المجلد الثاني ـ ١٩١٩
احتفلت سلطات الاحتلال احتفالا رسميا ، وانيرت انوارالكهرباء، وارسلت السهام النارية في الفضاء •• ووصف هذه الحفلة ابراهيم منيب الباجه‌جي بقصيدة في العدد ١٥ من المجلد الثاني من دار السلام ١٩١٩

(١٦) قالت مجلة دار السلام : كل مانشر في هذه الوضعية وفي جريدة العرب مذيلا باسم « ابن بابل » فهو للشيخ محمد مهدى البصير شاعر الحلـــة الشهير •• العدد ٢١ المجلد الاول

وليست الحروب كما ظنها الشاعر حرب تنازع على البقاء ، وانما هي حرب استعمارية .. فالمستعمر يريد أن يوسع رقعة أرضه جشعا ، وقد التفت البصير نفسه الى هذا الامر بعد ذلك واتخذ « غليوم » امبراطور المانيا مثـلا ، فوصف الحاكمين الدين يستعبدون الشعوب ويذلون الرقاب ، وتطرق الى أعمالهم التـي أدت بالشعوب الى الذل والهوان .. فقال يصف المستعمرين بقوله :

وقضى لهم غليوم في غلوائـــه	ألا يعيشوا وادعـــين كراما
لا در در الحاكمين بامـــة	ولوا عليها الصـارم الصمصاما
الطـامعين بكل ما تحت السما	وعساهم لا يبلغـــون مراما

ويبرز أعمالهم البشعة وقسوتهم التي سخرت بحق الشعوب دون أن يسمعوا نوح الثكالى ، وصراخ الايامى ، فقال :

واذا المدافع أسمعت أصواتهـا	مثلوا قعودا حولهن قيـــاما
شغلت مسامعهـم فليس يهزها	يوما أنين أرامل ويتـــامى(١٧)

وللبصير قصيدة اخرى نشرت عام ١٩٢٠ وصف فيها الحرب وأعمال امبراطور المانيا في باريس ورومانيا وبليجكا والصرب ، وكيف دخل روما ، ثم وقوف فوش وولسن بوجهه ، فحطما آماله ، وأجبراه على التنازل عن العرش ، فقال :

ولو لم ينازعه السياسة ولسن	لما خسر المجد الذي هو طالبه(١٨)

وله قصيدة يرسم لنا فيها صورة رائعة لجريح في بلد متأخر في جميـع امكانياته ، ولا سيما الصحية منها ، وما يعانيه هذا الجريح من آلام الجراح حتى يتمنى الموت من هول هذا الالم فقال :

وثاكلـــة يئن لهــا جريح	طريح لا يعلل بالــــدواء
تمكنت القذائف منـــه مرمى	فآيست الاســـاة من الشفاء
يئن اذا أضر الجرح فيـــه	فيشجيها فتجهش بالبـكاء(١٩)

---

(١٧) دار السلام العدد الرابع ـ السنة الاولى ١٩١٨

(١٨) دار السلام ٥ـ٣ـ١٩٢٠

(١٩) دار السلام ١ـ٣ـ١٩٢٠

كانت آثار الحرب شديدة في الشرق ، وفي العراق خاصة ، فقد فتكت المجاعة بالشعوب الضعيفة التي لم تدرك حكوماتها مغبة الامور ، بعد أن توقفت المصانع عن الانتاج ، فلم يتمكن الزارع من مواصلة الزراعة لانه يحارب في المعركة ، واما زرعه لم يكف حتى للقوت الضروري لحياته • وانشغال الدول بالحروب وقف حائلا أمام التجارة فتدنت الحياة الاقتصادية • وفتك الجوع بالناس ، وبددت الثروات وتقوض العمران • وتوقفت عجلة المدنية عن السير وتأخر ركب الحضارة •

ومع كل هذه المصائب التي حاقت بالانسانية نرى المستعمرين يدعون الى السلام ولكن على حساب اقتسام الشعوب الضعيفة واستغلال ثرواتها وامتصاص مواردها ، فيختصمون • فيسخر الشاعر من هؤلاء بقوله :

يا دعاة السلم في قصر السلام	أين مسعاكم الى تأييده
انتجت أتعابكم هذا الخصام	أفلا نقوى على تبديده
فهلموا اسعوا الى رد النظام	واعملوا حقا على توطيده
وأذيعوه لدى أشياعه	كم له بين الورى من شيع
واذا فتشت عن أتباعه	لم تجد أنت سوى متبع(٢٠)

وقد أضنت الحرب كاظم الدجيلي وآلمته فتساءل : متى يعم السلام الشعوب فتطمئن النفوس بعد هلعها ، والقلوب بعد خوفها !! وعزى الحروب الى القادة الطامعين بأوسمة براقة ، وبمجد زائل ، دون أن يرحموا جموع الشعب أطفاله وشيوخه ، ويبصرهم بالطريق السوي للشجاعة والاصلاح فيقول :

ليس من أزهق النفوس شجاعا	ليس من جد فاتكا بمجيد
انما أشجع البرية طرا	مصلح قام بين أهل الجمود

وتمنى أن يعم السلام ليعود الهناء على الشعوب ويقضي على تجار الحروب

(٢٠) نشرت القصيدة بتوقيع « شاعر متألم » في دار السلام العدد ١٧ من السنة الاولى ١٩١٨ وهي لباقر الشبيبي راجع الادب العصري ص ١٢٤ وترجمته في شعراء الغري

بقولــــه :

فمتى يا ترى يموت غـــــواة جنـــدوه لقـــائد ومقـــود
فيعم السلام في الناس طـــــرا ويعود الهنـــــاء للمستعيد(٢١)

هذه هي الحروب بشرورها ، وآلامها ، ومصائبها ، وموقف الشعر منهـــا وفيها صـــورة لما حاق بالعراق من أحزان وآلام .. وفاقة وجـــدب وجوع وأمراض ... والتي انتهت باستعباد العراق من الانكليز .. فقد ظهرت المعاهدات السرية التي قسمت الدولة العثمانية الى مناطق نفوذ .. ولم يبق بعدها للخلافة العثمانية نفوذ . فقد احتل الحلفاء البلاد وهيمنوا على مقدراتها ، وهرب رجـال الاتحاد والترقي(٢٢) الذين دفعوا الدولة الى الحرب دفعا . فذاق الاتراك مرارة الاحتلال والحكم الاجنبي ...

وبذهاب الخلافة العثمانية بدأت الفكرة القومية تتسرب الى الاقطار العثمانية وأخذت تدعو الى تشكيل دولة مستقلة .. (٢٣)

---

(٢١) دار السلام العدد ٦ السنة الثانية ١٩١٩ وقد وقعت بتوقيع ك٠د وقـد وجدت على نسخة مكتبة الاثار اسم الشاعر بخطه

(٢٢) قتل انور باشا في تركستان في ساحة القتال والتجأ طلعت باشـــا الى برلين فقتله احد الارمن ومات جمال باشا في تفليس فقد كان يقصــد الافغان لانه كان يمنى نفسه بتأسيس دولة حديثة (على طريق الهـــند ص ٢٣٨) ويلاحظ ص ١٠٤ من هذا الكتاب وهناك تفصيل عن جمال باشا في جريدة العراق العدد ١٩٣١/١٢/٣٤٤٩

(٢٣) على طريق الهند ص ٢٣٢ـ٢٤٤ بشأن التفصيل والمصادر

الفصـــــل الثالث

الثـــورة العـــراقية

١ ـ ممهدات الثورة

٢ ـ التحريض على الثورة

٣ ـ المقاومة العلنية

٤ ـ أثر الثورة

٥ ـ عرش العراق

ممهدات الثـــورة

ـ ١ ـ

الثورة السياسية تأتي نتيجة أي ضغط على حريات الشعب فتهدد كيانه وشخصيته ومقوماته فيفقد جزءا مهماً من حياته فيثور ليتخلص من هذا الكابوس الذي حال دون حريته •• ولينطلق الى عالم رحب من السيادة والاستقلال •• ومتى ما احكمت الثورات ووضعت المخططات الدقيقة للاحتمالات التي قد تصادفها فانها تؤدي الى ما ارداه الثائرون •• وقد لاتنجح هذه الثورات لاسباب كثيرة •

ولاتكون الثورات في بلد ، وليدة ساعة او يوم يحدد ، وانما تحدث نتيجة لعوامل متعددة توصلها الى ساعة الانفجار • ولعل أهم عامل في انجاح الثـــورة هو تكوين الرأي العام الموحد الذى يتجه الى الثورة والاستعداد لها •

ولا تختلف الثورة العراقية عن غيرها من الثورات فقد سبقتها عوامل كثيرة متنوعة يرجع بعضها الى العهد العثماني وبعضها جاء نتيجة للحرب العالمية الاولى•

فقد بدأت بوادر الشعور القومي في أوربا واخذت تتسرب الى جميع الشرق فتأثر بها المثقفون العرب[١] بطبيعتهم الثقافية وظهرت هذه اليقظة بالحملات التي راح يشنها الاحرار العرب الذين رأوا الفساد وقد استشرى في البلاد العربية فأخذوا يطالبون بالاصلاح وقد كان منهم الجريء المغامر الذي لم يخش صولة الدولة العثمانية حتى ليخيل لجرأته انه غير موجود وان اسمه مجرد توقيع مستعار لما امتازت به قصائده من جرأة غريبة وتحد سافر للدولة العثمانية[٢] ومن مطالبة عنيفة صريحة في الاصلاح فقد قال الرصافي :

---

(١) النتائج السياسية للحرب العظمى Ramsy Muir P. 140 - 151.

(٢) حدثني الاستاذ الشاعر الكبير بشارة الخوري انه لم يكن يصدق بأن معروف الرصافي انسان يعيش وانما هو توقيع مستعار يتخذه أحد الاحرار ليهاجم الظلم والجور

كيف القرار على أمور حكومة ... حادت بهن عن الطريق الامثل
في الملك تفعل من فظائع جورها ... ما لم تقل ، وتقول مالم تفعل
ملأت قراطيس الزمان كتابة ... للعدل وهي بحكمها لم تعدل

وتبلغ به الجرأة النادرة ان يدعو الى حكم جمهوري لاصلاح الاحوال المتردية في البلاد كي يرتفع الشعب من حضيض التأخر الى أوج الرقي فقال :

ان الحكومة وهي جمهورية ... كشفت عماية قلب كل مضلل
سارت الى نجح العباد بسيرة ... أبدت لهم حمق الزمان الاول
فسموا الى أوج العلاء ونحن لم ... نبرح نسوج الى الحضيض الاسفل[٣]

وقد كانت الجرائد العربية في مصر هي الميدان الذي ينشر فيه الشعراء شعرهم كالمؤيد والمقطم والمقتبس[٤] وقد نشر جميل صدقي الزهاوي في المقتطف قصيدة منها :

ألا رعى الله اوطان لنا انتهكت ... محبوبة السهل والوديان والكثب
قد أضرم الجور نارا في جوانبها ... واهلها بين نفاخ ومحتطب[٥]

ويصرخ الزهاوي يحذر القوم مما يحيق بهم وما سيصل اليه مستقبلهم قائلا :

أيها القوم أيها القوم أنتم ... أمة ساقطون في مهواة
أيها الظلم هل زمانك ماض ... أيها العدل هل زمانك آت
وسأبكي قومي وابكي بلادي ... وقبور الآباء والامهات[٦]

---

(٣) ديوان الرصافي ص ١٦٢ وص ١٦٣ ويراجع (ايقاظ الرقود) ص ١١٦ و (تنبيه النيام) ص ١٠٣

(٤) الادب العصري ج ١ ص ٩ وص ٧٠ ويلاحظ مذكرات معروف الرصافي التي أملاها على الاستاذ كامل الچادرچي الموجودة في المجمع العلمي وقد نشرتها مجلة الثقافة الجديدة في العراق ٠

(٥) ديوان الزهاوي (مصر ١٩٢٤) ص ١٩٦ وص ٢٨٠ واللباب ـ (بغداد ١٩٢٨) ص ١٤ وص ١٢ ٠

(٦) اللباب ـ ص ١٥ ـ

وعندما بدأ الوعي القومي يتسرب بين طبقات الشعب المثقفين في الاستانة وغيرها من البلاد العربية ، بدأوا بعقد المؤتمرات السياسية لمعالجة حالة العرب والمطالبة بمساواتهم مع الاتراك ، وجعل اللغة العربية لغة المدارس ، وان يخدم الجنود العرب في البلاد القريبة ، وان يكون بعض العرب في الوزارة وفي مجلس شورى الدولة ، ومحكمة التمييز وان تكون نسبة الاعيان من العرب اثنين لكل ولاية وتجرى المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية(٧) .

وقد أفسح الدستور العثماني للحركة القومية مجالا واسعا فقد اصبح بمقدور الشباب العربي التكتل رسميا وانشاء الاحزاب التي اخذت تنادي بالفكرة القومية فقد أسس العرب عشر جمعيات أربع منها(٨) في الاستانة . وكان لهذه الجمعيات أثر فعال في تنبيه الرأي العام العربي فقد أخذت الجرائد تنشر المطاليب

---

(٧) للتفصيل يراجع في غمرة النضال ص ١٢٨ وما بعدها وجريدة صدى بابل العدد ١٨٤/٤/١٩١٣ .

(٨) جمعية الاخاء العربي شكلها شفيق المؤيد وزملاؤه ، والمنتدى الادبي أسسه عبدالكريم الزهراوي وعبدالكريم الخليل والجمعية القحطانية شكلها خليل حمادة باشا وعبدالحميد الزهراوي وسليم النجار وزملاؤهم . وشكلت اثنتان في مصر واثنتان في سوريا ، أما في العراق فقد أسس السيد طالب النقيب جمعية البصرة الاصلاحية واصبح لها فرع في الموصل باسم جمعية العلم وكانت خاصة بالضباط . وقد انشأ عزيز باشا المصري جمعية العهد السرية وغايتها استقلال البلاد العربية استقلالا داخليا متحدة مع الدولة العثمانية وانتمى اليها كثيرون من ضباط العرب وهي شعبة من الجمعية القحطانية .

راجع بشأن الجمعيات العربية في غمرة النضال ص ٨٥ وص ٨٦ وجريدة النهضة العراقية العدد ٣٠ السنة الاولى ١٩٢٣ وما بعده مقال قيم للشيخ علي الشرقي ونهضة العرب لجورج انطونيس ـ الفصلين الخامس والسادس وثورة العرب ـ مقدماتها اسبابها نتائجها ـ بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية ـ مطبعة المقطم مصر ـ ١٩١٦ ص٥٦ـ١١٥ والثورة العربية الكبرى ـ لامين سعيد ج ١ ص ٥١ ـ ٥٠

وتعلق عليها وتطالب بتطبيقها ، خاصة بعد ظهور العنصرية التركية والتمهيد لتتريك العرب صراحة[٩] ، ولكن الاتراك الذين ادعوا انهم منحوا الدستور لجميع شعوب الامبراطورية العثمانية عادوا يسلبون ما منحه الدستور بعد ان تكاثرت الصحف العربية فقد بلغت (١٢) جريدة في بغداد وحدها وارتفع العدد الى (٩٦) جريدة و(١٤) مجلة وبلغ في البصرة (١١) جريدة وفي الموصل جريدتان[١٠] ، وقد زاد من اهمية هذه الجرائد انها ميدان للمندفعين المتحمسين للدستور كالرصافي وفهمي المدرس والزهاوى وقد كانت على رأس هذه الجرائد جريدة (بغداد) التي كان رئيس تحريرها معروف الرصافي ، هذه الجرائد أخذت ترسل بأضواء جديدة ساطعة تكشف حال العرب وتدعوا الى المساواة والحرية التي نادى بها الدستور ، ومع ان بيع الجرائد كان محدودا الا ان أثرها كان كبيرا فقد كانت الاراء والاخبار تتناقل بين ابناء الشعب لان الخبر الذي يقرأ تتناقله ألسنة الشعب في الدواين والمقاهي وكل خبر جديد او حدث طارىء لابد ان يستأثر بالاعجاب او الاستهجان وفي الحالتين يكون مجالا للرد والنقد والنقاش وانتشرت كلمات جديدة كالدستور والحرية والمساواة والعدالة والظلم والاستبداد والطغيان ، وكلمات اخرى لم يكن الشعب بقادر على ذكرها رددتها هذه الجرائد ، يضاف الى ذلك ان الولاة والموظفين استهدفوا لحملة من الجرائد بالمطالبة بالاصلاحات التي حتمها الدستور حتى نشرت جريدة الرياض قصيدة هاجمت فيها والي بغداد ناظم باشا[١١] الشخصية التي لم يكن يجرؤ انسان على ذكرها الا بالاحترام والتبجيل ،

---

(٩) في غمرة النضال ص ٨٤ اخذ بعض ما نشر في جريدة اقدام التركية .

(١٠) جريدة البلاد العدد ٤٧٢ شباط ١٩٣٥ ، مقال مفصل لابراهيم حلمي العمر ويراجع في غمرة النضال ص ٨٠ و٨١

(١١) جريدة البلاد العددين ٤٧٢ و٤٧٣ وعن جريدة الرياض لسليمان الدخيل النجدي ، وهاجم الزهاوي ناظم باشا ومما قاله : انه وسع الطرق وضيق الافكار .

ولعل أهم ظاهرة تستلفت النظر ان اكثرية الجرائد كانت جرائد معارضة تندد بسياسة الحكومة التركية وتهاجم الاتحاديين الذين تنكروا للمباديء التـــي أعلنوها وكانت هذه الجرائد عنيفة في مهاجمة حكومة الاستانة الاستبدادية وتدافع عن كيان الوطن العربي الكبير دفاعا عنيفا بعد ان شعرت ما بيت لها الاتحاديون ولم يكن للاتحاديين سوى جريدة او جريدتين تؤيد سياستهم وتصد الحملات القلمية غير ان هذه الحرية الواسعة أخذت تضيق يوما بعد يوم وعـــدلت بعض القوانين واخذت الصحافة تعاني اعباءاً ثقيلة حتى اقيمت (٤٨) دعوى على الصحف الوطنية وحكم على بعضهم باحكام متفاوتة كالنفي والتعطيل ففر بعضهم خـــوف البطش والسجن(١٢)

وقد تكون الحكومات قادرة على كم الافواه ومنع الحريات العامة ولكنهـا لن تقدر على تبديل الاتجاه الفكري للشعوب الواعية فقد اخذت الثقافة العامـة في الانتشار بين الناس وتفتحت روح النقد والمقارنة واخذ العرب يشعرون بما يضمره الاتحاديون وقد هاجمت جريدة (اقدام) العرب صراحـــة فثـــاروا وتظـــاهروا(١٣)

وقد نبه الوعي السياسى في العراقيين تأسيس دولة في الحجاز واخـــرى في سوريا بطابع عربي مستقل يحكمها العرب(١٤) شارك فيها جمـــاعة مـــن العراقيين وكانوا سببا من الاسباب في محاربة المستعمر راغبين في المساواة بالدولة الحجازية والدولة السورية ٠

---

(١٢) جريدة البلاد ١٩٣٥/٦/٤٧٣ ويلاحظ في غمرة النضــال ـ ص ٨٠ـ٨٣ و٧١ـ٧٤ ٠

(١٣) في غمرة النضال ٨٣ و٨٤ لاحظ رسالة السيد طالب النقيب الذي يقــول فيها (صارحني أعداء لغتنا وأمتنا ، ولاسيما خليـــل بك رئيس مجلس النواب بما في نفوسهم ، وهو انهم سوف يقتادوننا الى المشانق كما تساق الاغنام الى المسالخ اذ كنا نحن العرب لانوافقهم على آرائهـــم ونســـير بأوامرهم) ٠ في غمرة النضال ٨٧ ٠

(١٤) The Insurrection in Mesopotamia P. 26.

وقد غذى روح النقمة والالم في النفوس سوء ادارة المحتلين وامتهان كرامة الشعب وحكمه حكما دكتاتوريا عسكريا أنهك الشعور الوطني • وللقضاء على الحركات التحررية والآراء القومية كان المستعمر يريد أن يجعل من العراق تابعا للهند وقد عومل الشعب معاملة سيئة ولم يكن المستعمر يفهم روحية هذا الشعب للمستعمر ، وظنه سيرضخ بسهولة له بالغرامات التي يفرضها والسجون التي يحكم بها والاعتقالات والمنافي التي يصدرها على ابناء الشعب الاحرار ونسى ان هذه الاعمال الاستفزازية اثارت في نفوس الشعب الحقد والكراهية للاستعمار الانكليزي ، خاصة ، وقد ظلم المستعمر الطبقة المثقفة الواعية وقادة الرأي فيه[١٥] • وقد بدا ذلك واضحا بالتصلب الذى ابداه الشعب والتمسك بمطالبهم بالاستقلال دون خوف من التضحيات والآلام التي كان يصبها عليهم المستعمرون • وقد عكس هذا الرأي محمد رضا الصافي في شعره الذي نظمه في السجن وقد كان قد عرض على المشنقة ثم عفي عنه قال :

ان من رام مثلما قد طلبنا ... لايبالي ان سيق للموت سوقا
رخصت عندنا النفوس فثرنا ... نطلب العز والعلا لا لنبقى
ولقد سامنا العدو احتقارا ... فرآنا نستسبق الموت سبقا
أنا من اسرة كرام أباة ... لا يرون الحياة في الذل ابقى
شرع ان يكون موتي حتفا ... أو أراني يكون موتي شنقا[١٦]

وظهرت روح النقمة والثورة ، على الاستعمار الانكليزي واضحة في الشعر العراقي ، تطالب بالكرامة واحترام العراقيين الذين لايقلون عن المستعمرين في

---

(١٥) كان الحاكم السياسي في النجف اذا اراد التجول في الطرق يرسل لفيفا من الشرطة وبيدهم السياط يجبرون الناس على الوقوف احتراما للقادم وبعبارات شائنة (العراق في دوري الاحتلال والانتداب ـ ص ٣٦/١وص ٦٥) • ويلاحظ (الحقائق الناصعة) ص ٢٥٢ ففيه مثل آخر •

(١٦) الامواج للصافي النجفي ص ١١٩ ضمن التخميس • ومن المفيد مراجعة قصيدة محمد جواد الجزائري ص ٤٠ ج ١ في (العراق في دوري الاحتلال والانتداب) •

المزايا • أليسوا بشرا لهم عواطفهم واحاسيسهم !؟ فلماذا يمعن الانكليز في اذلالهم !؟• ان الشعب العراقي شعب يعتز كثيرا بفرديته وانسانيته وقلما انصاع الى حاكم او سلطان يريد ان يحتقره ويفرض عليه رأيه • شعب يحب الحرية الفردية ويتعشقها ، بيد أن الحكام الانكليز أساءوا اليه وأساءوا الى حكوماتهم زاعمين ان الشعب في العراق يريد ان يبقى الاستعمار الانكليزى وان استمرار حكم الاستعمار سوف يوطد النظام كما صنع (ولسن) في الاستفتاء الذي أجراه[١٧] فقد بعث الى الحكام السياسيين في الالوية والاقضية يطلب منهم اخذ رأي الشعب لتقرير مصير العراق ومعه تعليمات خاصة توجههم بها الى وجهة نظره في الاستمرار في الحكم البريطانى غير ان الاستفتاء قوبل بالمقاومة الشديدة وبتوقيع عرائض تطالب باقامة حكومة عربية اسلامية ملكها عربي مسلم مقيد بمجلس تشريعي وطني[١٨]

كانت هذه الامور تجري امام سمع الشعب وبصره ولكنه لم يكن بقادر على ان يصنع شيئا فقد كانت قوات الاحتلال تفوقهم عدة وعددا لذلك كانت شكاواهم مؤلمة دفينة كقول محمد الباقر الحلي :

شكوت اليك لا جزعا ولكن ... لتعلم كيف قد حكموا فجاروا
سأبقى ما حييت أبا (علي) ... ولي يوم مع الحلفاء ثار
أبا الاشبال عفوا سوف أبقى ... أجاهد كي يتم لنا انتصار
سئمت المكث في كنف الاعادي ... فهل لي في جواركم قرار

وروح النقمة كانت روحا ثائرة تريد الانتقام من الخصم العنيد الذي أذلها في كل مكان عاشت فيه • في الشارع وفي البيت وفي السجن ، فقد كان

---

(١٧) لاحظ بشأن الاستفتاء (الحقائق الناصعة) ص ٦٩

(١٨) المصدر السابق ٦٩ والصفحات التي تليها • ولاحظ ص ٨١ فتوى محمد تقي الشيرازي التي قطعت لسان كل خطيب فقد قال : ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم للامارة او السلطنة على المسلمين•

المسجون يقابل بأسوء ما تقابل به الحيوانات من جوع وعري ، يفترش الارض ويلتحف السماء فقد قال محمد الباقر يصف حالة السجين :

نقضي يومنـا جوعاً ونمسـي وليلتنا يماثلهـا النهـار
نبيت بلا فـراش أو وسـاد لكـل ثـلاثة منـا ازار
لرب السجن نبسط كـل حين أكفـاً خط فيهـن الصـغار[19]

ولم تكن هذه الحال محتملة حتى من اولئك الذين كانوا يسيرون في ركب الانكليز ويوالونهم فلم يصطبر الزهاوى على حالة العراق العامة ، اذ بلغ الظلم اقصاه واسبغت على المحاسيب النعم والاموال ، فكانت قلوبهم تغلى من الغيظ والنقمة والالم ، وليس غير الاستقلال من دواء شاف لهم فقال :

يا أيـدي الظـلم شـلي ويـا بـلاد اسـتقلي
ويـا رجـاء تعـزز ويا مصـاعب ذلـي

حتى يقول من القصيدة :

ليس الحيـاة بعـز مثـل الحيـاة بذل
قـد جـاء يوم بايـدي فيـه أكسـر غلـي
ان القلوب مـن الغيظ كالمراجـل تغـلي[20]

ولم تكن قلوب طبقة من طبقات الشعب العراقي راضية على الاستعمار الانكليزي لما جاءت به من حكم عسكري يسوق الناس على الظن ويتهم المثقفين وغير المثقفين بدون حساب وبدون محاكمة لذلك كات نفوس ابناء الشـعب

---

(١٩) مخطوطة في مكتبتي الخاصة تفضل بها علي الشاعر وهي بخط السيد حسن عزام .

(٢٠) اللباب ص ٩٤ وديوان الزهاوي ص ٢٩٥

تضطرم وتضطرب وكان من جرائها ثورة الشعراء العـــــارمة لمصاولة المستعمر لربح الحرية والاستقلال وقد بذل الوطنيون جهودا في سبيل اعداد الـــــرأي العام وتوجيهه بما نشروه من مقـــــالات وما كانوا يخطبون به في المساجد أيام الجمع وايام ميلاد الرسول وغير ذلك من المناسبات وما كانوا يتحــــدثون به في مجالسهم ودواوينهم وما كانوا ينشرون في مدارسهم • كانت ثورة عصفت بالظلم وامتهان قيمة الشعب كبدت الظالمين ومن يسير في ركابهم الغالى •

التحريض على الثـــورة

ـ ٢ ـ

كانت مطاليب العراقيين بادىء ذي بدء همسات ورسائل يكتبها بعضهم الى بعض لاظهار الامتعاض والنقمة والالم مما وصلت اليه الحالة العامة للبلاد مـن السيطرة المباشرة على جميع مقدرات البلاد من قبل جيش الاحتلال ومن تلـك الرسائل رسالة بعث بها سعد صالح سنة ١٩١٩ الى صديقه الشاعر احمد الصافي يدعوه فيها الى بث روح المقاومة ضد قوات الاحتلال ويدعوه صراحة فيها الى ثورة مسلحة لتخليص البلاد من الاحتلال لان الاحتلال عار لايرضاه العـراق ولن يغسل هذا العار الا سيل الدماء وتطهير الارض الكريمة من سيطرتهم • كتب يقول :

عزيز على الحـــر تلك البـلاد	يراهـــا رهينـــــة قهارهـــــا
أأحمد قف بضواحي العـــراق	وناد بواســــل أحـــــرارها
الى كـم نكابد مـــر الهـــوان	وتشقى البــــلاد باغيـــــارها
أما آن أن تنتضى بيضـــــــها	وترمي الغـــــداة بثوارهـــــا
لعـــل الدماء اذا مـــا جـــرت	على الارض تغسل من عارها[١]

ومن ثم أخذت هذه الهمسات وهذه الشكاوى تصـــدر من هذا الطور الى الخطب في المساجد وفي المناسبات الدينية لان الاحتلال الانكليزي العسكرى اخذ

---

(١) سعد صالح ص ١٤٧

يشعل روح الثورة في النفوس ودون خوف من السطوة والقوة[٢] اذ صمم العراقيون على عمل شيء يستعيدون به كرامتهم المهدرة فبدأت حركة التحرر تخرج من طور الفكرة الى حيز العمل • وقد كان يغذي هذه الروح الرأي العام العالمي والجمعيات السرية التي كانت تعقد اجتماعات لتنظيم السياسة التي تسير عليها ومن ثم توسعت هذه الجمعيات وانشأت لها فروعا في كثير من انحاء العراق وقد كان محور الحركة بغداد التي اتصلت بالنجف وتعرف القائمون بالحركة على استعداد الوطنيين جميعا لمؤازرة حركة الاستقلال التي تديرها جمعية حرس الاستقلال ومما زاد في قوة الحركة الوطنية انضمام اعلام رجال الدين ومؤازرتهم لها • ونشر بلاغ من الحكومة الانكليزية ، تعلن الانتداب على العراق[٣]

اجتمع الوطنيون وقرروا القيام بمظاهرات سلمية تحت الستار الديني واغتنام شهر رمضان[٤] واقامة سلسلة حفلات لاستثارة روح الشعب • وقد كان الاقبال يزداد يوما بعد يوم واخذ الوطنيون يحتالون في عقد هذه الاجتماعات تارة باقامة حفلات للمولد النبوى واخرى بتغيير مواعيد هذه الاحتفالات ومرة بنقلها من محلة الى محلة اخرى • وقد كانت هذه الاحتفالات الدينية تتطور الى تجمهر الشعب وخروجه ساخطا على الادارة المحتلة • وأشهر المساجد التي اشتهرت في هذه الاحتفالات كان جامع الحيدرخانة • فقد كان الخطباء يتولون مهمة حث الشعب على الثورة بعد الصلاة او بعد قراءة المولد النبوى[٥] متخذين من جهود الرسول (ص) وصبره على مبادئه وتفانيه في سبيل الاسلام رمزا ومن استشهاد الحسين وابائه وتضحيته نبراسا • يدفعون بها الشعب نحو الثورة •

---

(٢) لاحظ ملحق رقم ٤ ص ٣٢٥ من كتاب Sir A. L. Haldane. تجد احصائية مفصلة عنها •

(٣) العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ١ ص ٨٠

(٤) يلاحظ منشور القائد العام في تاريخ القضية العراقية ص ١٥٨
The Incurrection inMesopotamia P. 36.

(٥) ويلاحظ تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦ وما بعدها •

١٠

فلما رأت سلطات الاحتلال خطر هذه الاجتماعات منعتها واخذت ترهب الناس بالرشاشات[٦] ومن هذه الاحتفالات احتفال اقيم في الحيدرخانة وأنشد السيد عيسى عبدالقادر قصيدة دعا فيها صراحة الى الثورة شارحا ماحل بالبلاد من جور واستبداد منها :

بني النهرين نسـل الطيبينا — أفيقوا واسمعوا الحق اليقينا
تفرقنا طوائف واختلفنا — فأصبحنا جميعا صاغرينا
واسلمنا باجمعنا لقوم — بغاة من طغاة جائرينا
فجاروا واستبدوا ما استطاعوا — وذا شأن البغاة الظالمينا[٧]

وليست هذه القصيدة من عيون الشعر العربي وليست من خير ما نظم في هذه الفترة ولكن جو الاحتفال وطبيعة الفرد في الجموع المتحمسة واتقاد الروح الوطنية في هذه الفترة أظهر للقصيدة أثرا كبيرا •• ولم تكن هذه القصيدة الوحيدة التي القيت فقد كان من خطباء هذا الاجتماع عبدالرحمن البناء وطالب مشتاق والشيخ مهدي البصير وعبدالرزاق الهاشمي ولكن كان اثرها اكبر من أثر غيرها من القصائد مما اضطر السلطات العسكرية الى اعتقال الشاعر وارساله الى البصرة •

فما كان من الوطنيين الا اغتنام هذه الفرصة فاحتجوا احتجاجا شديدا واغلقت المخازن ووقفت الاعمال واقيمت مظاهرة كبيرة احتجاجا على هذا الاعتقال[٨] جرت الى قتل أخرس دهس بسيارة فاحتفل به احتفالا رائعا وسماه

(٦) في غمرة النضال ص ٢٤٥

(٧) مخطوطة في مكتبتي بخط الشاعر •

(٨) اجتمع المتظاهرون في جامع الحيدرخانة وانتخبوا من يمثلهم لمفاوضة سلطات الاحتلال في الغاء الحكم العسكرى وتأسيس دولة عربية • لاحظ اسماء المندوبين في (في غمرة النضال) ص ٤٧

الناس (شهيد الوطن) لاثارة الوعي القومي في النفوس[٩] .

وقد كان خطباء الثورة وشعراؤها يبذلون جهدهم في تحريض النـــاس باخلاص ووضوح محددين هدفهم وغايتهم التي كانت محاربة المستعمر وطرده من بلادهم ، وقد ظهرت هذه الرغبة في محاولتهم اقناع الشعب للسير متضامنـا معهم ، لأن اقناع الشعب في امر من الامور والايحاء اليه سيدفعه بعنف وباخلاص وبلا شعور لذلك كان الشعر يطفح بالوضوح وكلمات الحماسة حتى يفهـــم الشعب سريعا وبيسر وسهولة . فابتعد عن التقليد والتقيد وجانب الصناعة اللفظية وانتقاء العبارات . وركز على الكلمات المثيرة المهيجة التي تمس الشعب الحساس وقد ظهرت روح العراقي الحزينة في شعره جلية فقد كانت الهموم تطفح مـن ثنايا شعر فقد قال عبدالرزاق الهاشمي :

وطنـــي العزيـــز الى متـــى ... متكبـــد كـــل اضطهـــاد
يا ايهـــا الشـــعب الـــذي ... اضطهـــدوك كم لك من ايادي
رتعـــوا بنعمتـــك التـــي ... درت على حسَـــب المـــراد[١٠]

وقد كانت الخطب والقصائد مسابقة وطنية سمت في روحها ومشاعرهـــا وطفحت بنغمات وجدانية عاطفية عميقة لان الشاعر كان يحس بانه يكافح عن حقوق بلاده ويريد ان يهز جماهير السامعين وينقل اليهم مشاعره . وكـــان

---

(٩) يقول الاستاذ البصير انه قتل بطلقة في ١٥٠ من تاريخ القضية العراقية وكان من نتيجة ذلك ان ارسل حاكم بغداد العسكرى والسياسى في طلب السيد ابوالقاسم والشيخ احمد الشيخ داود والشيخ احمد الظاهر وجعفر أبوالتمن ورفعة الجادرجي والشيخ سعيد النقشبندي وعبدالرحمن الحيدري وعبدالوهاب النائب وعلي البازركان والسيد عبدالكريم حيـــدر وفؤاد الدفتري والسيد محمد الصدر ويوسف السويدي وياسين الخضيـــري ومحمد مهدي البصير .
راجع تاريخ القضية العراقية بشأن ترجمة كل واحـــد منهم ص ١٥٠ وما بعـــدها .

(١٠) الاخبار في سير الرجال : خالص حمادي ص ٧٠

الشاعر المجليّ هو من يسيطر عليهم ، والقاء هذه القصائد تكسب الشاعر فخرا وعزا لسببين الاول المناسبة الوطنية والثاني ماتضفيه الجماهير على الشاعر من احترام يملأ النفس غبطة وسرورا . اما من الناحية الفنية فان هذا الشعر لن يكون خالدا اما يذهب بذهاب المناسبة التي قيلت فيه بيد انه يقوم بواجبه خير قيام فيغذي الثورة ويدفعها . ومع ذلك فان هناك بعض الطفحات الفنية يتلمسها الباحث بين خضم الشعر الهادر . وليس شعر الثورة في العراق وحده اختص بهذه الميزة فكل شعر امة يكون في مثل هذه المناسبة يكون من نصيبه مثل شعر هذه الفترة لان الثورة اندفاع وحماس وعاطفة متأججة ولا مجال للروية واعمال الفكر وتنميق الاساليب ولا يكون شعر الروية الا في أيام هدوء الامة وصفوها واستقرارها لان الفن وليد الاستقرار والهدوء والطمأنينة . اما شعر الثورة فهو الوقود لاذكاء الشعور بالالفاظ والموسيقى .

وقد كان يغذي هذا الشعر شعور عميق كامن في حنايا الصدور هوالشعور الديني يغطى طورا بالوطنية وآونة بالقومية ومرة يبرز مع بغض المستعمر .لان الشعور الديني الذى تربى عليه هؤلاء الشعراء كان يجري في احاسيسهم وقلوبهم فجرى مع التيار القومي الجديد .. ثم ان الدين الاسلامي كان الرابطة التي تربط العرب بالعثمانيين الاتراك .. وليس من السهولة ان يتلخص المرء من عقيدته او من دينه وتثور في نفسه بين آونة واخرى ثورة على ما صنعه اذ كيف يهاجم اخوانه المسلمين .. هو بحاجة الى اقناع نفسه وتبرير عمله هذا ..

وقد كان من هؤلاء الشعراء المخلص المؤمن بعقيدته ، يحارب من يحارب المسلمين ولكنه حارب الدولة العثمانية في سبيل استقلاله وفي سبيل حريته وفي سبيل عروبتـــه ، فجاء الانكليز وسيطروا على العراق وهم بعيدون عن الشعب بكل شيء .. فكيف يرضى الذل تحت سيطرة الحكم الانكليزي الذي يسومه سوء الهوان .. لذلك اتخذ الشاعر العربي المسلم الدين وسيلة ليرضي ضميره وقلبه .. والفكرة الدينية التي ركن اليها الشاعر تمنع حكم غير العربي المسلم الهاشمي وحكم الانكليز مخالف للمنطق الاسلامي والحق فقال ، فقال محمد حبيب العبيدي :

ما تركنـــــا اخواننـا الاتراكا   فخـــــذلناهم ووازرناكـــا .
شغفنا يا ابن لنـــدن بهـــواكا   بل لنيل اســـتقلالنا بولاكـــا
فلماذا تكـــون فينـــا وصيـــا

ويدلي بالحجة والاسباب التي تمنع الانكليز من ان يكونوا اوصياء عـلى الشعب فقال :

لم تكن يا ابن لنـــدن علـــوياً   هاشـمياً لا ولم تكن قرشـــيا
لا ولا مسـلماً ولا عربيـــــا   من بني قومنا ولا شرقيـــا
فلمـاذا تكـــون فينـــا وصيا

لذلك فالاستعمار الانكليزي استعمار جائر ، استعمار يجب أن يحارب لا تقره اصول البشرية ولا القواعد الاسلامية ، وبقاء الانكليز سيستمر الا اذا شن العرب الغارة وطردوا المستعمر بالقوة وليست قواهم بتاركة هذه البـــلاد الا بالمبادرة الى العمل : لان سكوتنا سيخيب الآمال :

انما نحن في الحروب رجـــال   وكماة يوم الـــوغى ابطـــال
يا لقومي فلتنتج الاعمـــال   يا بني العرب خابت الآمـــال[١١]
ان رضـــــينا بالاجنبي وصـــيا

وقد نظم خلال الثورة شعراء آخرون[١٢] وقد كانوا جميعا متفقـــين في الهدف هو المطالبة بانهاء الحكم الاجنبي في العراق وانشاء حكم وطني اساســه

---

(١١) الاخبار في سير الرجال ص ١٣٤

(١٢) ان استقصاء اسماء الشعراء لايمكن حصره من هؤلاء الشعراء الذين عثرنا لهم على نتاج محمد مهدي البصير ومحمد حبيب العبيدي وعبدالـــرزاق الهاشمي وعيسى عبدالقادر ومحمد الباقر الحلي وملا عثمان الموصـــلي ومحمد حسن الحداد الكاظمي ومحمد عبدالحســـين سركشك وناجي القشطيني وعبدالرحمن البناء وحسن الجواهري ومحمد مهدي الجواهري ومصطفى جواد وعبدالكريم العلاف .

الاستقلال والحرية فمن هذه القصائد التي ألقيت في جامع الحيدرخانة قصيدة عبدالكريم العلاف[(١٣)] منها :

ألا خبروا عنـــا العداة بأننا ... اناس على ذل الوصاية لا نرضى
وقولوا لهم وفوا العهود فخلفكم ... اسود عرين رابضون لكم ربضا
فنحن عرفناكم بكل سياسة ... وان كان بعض منكم يجهل البعضا[(١٤)]

وأشهر شعراء الثورة العراقية هو محمد مهدي البصير فقد جاء من الحلة الى بغداد لانشاد الشعر واهاجة الناس وتحريضهم وبث روح الحماسة في نفوسهم وقد كان البصير قويا عنيفا متحمسا مكثرا فكان ذلك مدعاة نفيه الى (هنجام) بعد ان سجن في العراق . ويمتاز شعر البصير باسلوب جزل ومتانة في التعبير ورصانة في الالفاظ وتبدو المسحة العباسية واضحة على شعره ومن قصائده قصيدة طويلة يخاطب بها الوطن ويحرض أبناءه على الثورة ويقدم نفسه فداءا له . ويتمنى هذا الفداء والموت في سبيله والا فلا حق له في أن يدفن في ثراه الطاهر الزكي وثم يفضح نوايا الاستعمار والساسة الذين موهوا عليه فقال من قصيدة ألقاها في جامع الاحمدية :

كذبتك أقطاب السياسة عهدها ... فلتضمنّن لك الحياة ضباكا
أفيطلبون لك الرعاية ضلة ... ما كان أقصرهم وما أحجاكا
ويؤملون لك المعونة باللها ... ما كان افقرهم وما أغناكا
لو أنصفوك لحرروك لانهم ... ربحوا قضيتهم بظل لواكا

ومنها :

ما أولع الاحرار منك بتربة ... يفدون منها بالرقاب رباكا[(١٥)]

---

(١٣) أخبرني الاستاذ العلاف بانه القى ثلاث قصائد في مناسبة الثورة .
(١٤) مخطوطة في مكتبتي نقلتها من ديوان الشاعر .
(١٥) لم يمكنني الدكتور البصير من ديوانه لذلك أعتمدت على المنشور من شعره ولعل الظروف التي كانت قائمة عند ما كتبت هذا الكتاب ومنعت الاستفادة من ديوان الشاعر قد زالت .

يصبو قتيلهـم بكل صفيحــــة أخذته حتى صار من قتلاكا[١٦]

وله قصيدة تتجلى فيها الروح الابية التي كانت تسيطر على روح الشعب المتوثب فقد أراد هذا الشعب أن يتحرر بقوته وأن يأخذ حريته أخذ القـــادر العزيز ولا يريدها منحة يعطيها له المستعمر فيكون المتفضل ، قال البصير :

ليحطم المستعمرون قيـــــودهم فالجوّ ايســـــهم من الاعنـــاق
واشق من اســـرى على بان ارى يد آسرى يوما تحـل وثاقي[١٧]

وقد فاضت القصائد التي نظمت في هذه الفترة بالحث على الثورة وبالتغني بالامجاد العربية ، فقد أراد الشعراء أن يبعثوا في الشعب ثقته بنفسه وبكرامتـه فيرى نفسه نظيرا لهؤلاء المستعمرين قوة ومقدرة لذلك اتخذوا التأريخ الاسلامي معوانا لهم في دفع الجماهير نحو الثورة ، وطفحت القصائد بالحث على كـــره الاجنبي وكان هذا الكره نتيجة حتمية وصدى لواقع العراق الذي سامه الاستعمار الهوان وأذاق أبناءه الذل • ان كره الانكليز أدى الى كره كل أجنبي ومقت كل غريب عن الشعب خوفا وحذرا ، مما يجره عليهم هذا الاجنبي الغريب ، ما جره الانكليز وحلفاء الانكليز عليهم فهذا القشطيني[١٨] يسخر بحرارة من وعودهم التي حنثوا بها فيقول :

قــد غرك البـــرق اللمـــوع فبات صدرك منشـــــرح
وفرحت من كل الوعـــود وخـــاب مـن فيهـا فــرح
اين الحليـف وايـــن مـــن يصـــغي اليـــك فتقتـــرح
قــد خـان عهـــدك هازئاً لمـــا بتجرتـــه ربـــح

(١٦) الادب العصري ج ٢ ص ٩٧ وله قصيدة نشرت في جريدة العراق العـدد ٥٨١١/٢١ في ١٨ حزيران ١٩٤١ وقد ألقيت الكافية في جامع الاحمـــدية راجع الوقائع الحقيقية ص ٩٧ و٩٦ •

(١٧) الوقائع الحقيقية ص ٩٦ وله بعض قصائد ذكرها المؤلف

(١٨) القى القصيدة الاستاذ توفيق المختار في جامع الشيخ صندل في الكرخ •

ثم ظهرت الدعوة الصريحة لاخذ الحق بالقوة ، فقد فشلت الطرق السلمية في أخذ الحق من يد الظالم ، ومتى سلم الظالمون بالحقوق بسهولة ؟ وقد كان بالامس حليفا حارب معه العرب وتحملوا من أجله الموت فانقلب سيدا شرسا ظالما • فهناك مبررات كثيرة دفعت العربي الى حرب الحليف الذى لم يرع الذمام وهل هناك شرف وفخر يزاحم شرف الموت في سبيل الاوطان وفي سبيل الحياة الكريمة •

يا ايها العربي قم واقدح زنادك ينقدح
وافتح طريقك بالظبى فبغيرها لا ينصلح
وخذ الحقوق جميعها أو مت عزيزاً واسترح[19]

وقد قال البناء ان انكلترا تدفعنا للحرب دفعا ولكن متى ما حاربناها فستكون الحرب سعيرا تتلظى تحرقهم وسنحاربها لان الحرب خير طريق للحرية رغم ما في الحروب من مآسي وبلايا قال :

وان الجأتنا للحروب فاننا نحاربها حربا تضيق خناقها
نحاربها والحرب خير محرر وان كره الاغرار مرّ مذاقها[20]

---

(١٩) مخطوطة بخط الشاعر في مكتبتي وقد نشرت في مجلة الاخلاق العدد ١٦ السنة الاولى ١٩٢٨

(٢٠) مجلة الاخلاق العدد ١٦ السنة الاولى ٨ مايس ١٩٢٨

المقاومة العلنيـــة

ـ ٣ ـ

ما كان العراقيون مستعدين للثورة فلم تكن الآراء قد تبلورت واستعدت لها من قبل وانما دفع العراق لها دفعا • فقد كانت آراء القادة والزعماء غـير مستقرة ، فكان منهم الخائف الضعيف ، ومنهم المتروي المتزن ، الذي يخشى على العراق نتائج (فشل الثورة) ، ولم تكن للثورة خطـة واضحة للسير في هداها ، ولم يكن هناك رأى عام موحد لنظام الحكم الذى يريدونه ، انما كانت آراء مضطربة واتجاهات ليست مدروسة ، فهذا يريد العراق تحت حمايـة بريطانيا[١] وذلك يريدها حكومة ملكها برسى كوكس[٢] وجماعة يريدونها ملكية وآخرون يفضلونها جمهورية ، ويثار الاختلاف فمن يكون الملك ومن يكون رئيسا للجمهورية ولا يصلون الى نتيجة يتفقون عليها •

ولـكنهم كانوا متفقين على شيء واحد هو الحصول على الاستقلال وحكم العراق من قبل أبنائه أما موقف سلطات الاحتلال فقد كان المماطلة المستمرة دون النظر الى التصريحات التي كانت تنشر عن حق تقرير المصير[٣] وكانت تعـامل

---

(١) الوقائع الحقيقية ص ٦٤ و٦٨

(٢) الوقائع الحقيقية ص ٦٩

(٣) تاريخ القضية العراقية ص ٧٨ والعراق من الاحتلال الى الاستقلال ص٢٦ والحقائق الناصعة والطريف ان يتلى تصريح بريطانيا وفرنسا في احـد اجتماع العراقيين بالحاكم العسكرى • راجع ص ١٦٢ وما بعدها مـن تاريخ القضية العراقية •

العراقيين معاملة سيئة وتهين الشعب وتستفزه • فقد التجأ (ولسن) الى العنف وأخذ يمنع الحفلات التي تقام في المساجد • ولما اجتمع الشعب في الحيدرخانة ، شنت المجتمعين بالقوة(٤) فقتل شخص ثم لاحق زعماء الحركة لالقاء القبض عليهم كما انه اعدم بعض الذين قاموا للحيلولة دون الوصول الى دار يوسف السويدي والقاءالقبض عليه والقي القبض على آخرين(٥) من بغداد وبعض أنحاء العراق فولد جوا رهيبا كان له رد فعل عنيف في النفوس فتهيأت النفوس واستعدت لاشعال نار الثورة وفكرت في مقاومة المستعمر مقاومة علنية ولم تكن مدن العراق الاخرى بمنجاة من سياسة العنف فقد حدث في النجف وكربلاء والحلة والديوانية مازاد اضرام القلوب حقدا ورغبة في الثورة(٦) • ولم تجد المراسلات التي جرت بين زعماء الدين والبريطانيين في تخفيف سياسة العنف(٧) وجاءت فتوى الشيخ الشيرازي محققة لأماني البلاد اذ أفتى بأن (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم من ضمن متطلباتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطاليبهم(٨) •

لم يكن مركز الثورة بغداد وانما كانت هناك عدة مراكز في أنحاء العراق وكان من جراء مطاردة المستعمر للاحرار أن انتشروا في العراق وكانوا الواسطة لتأليب الشعب على الثورة وكانت حالة البلاد العامة مدعاة الى اجتماع الزعماء

---

(٤) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦

(٥) تاريخ القضية العراقية ص ١٨٥ وما بعدها وقد ذكرها البصير ترجمة لحياة الشهيد عبدالمجيد كنه ص ١٨٧

(٦) وقد شنق الانكليز احد عشر شخصا في النجف ونفوا جماعة كبيرة من احرار النجف وحكم على آخرين بالسجن (العراق في دوري الاحتلال والانتداب) ٢٦–٣٨ ج ١ • توجد تفاصيل عن الحادث والاسماء بالتفضيل ولاحظ ص ١٠٢ •

(٧) العراق في دوري الاحتلا والانتداب ص ٧٥ و٧٦

(٨) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ١٠٤

للتفكير في أنجع الطرق للتخلص من الحالة المؤلمة ، والمصير الذي آلت اليه البلاد ، فاجتمعوا في دار أحد الزعماء وانبرى السيد محمد الباقر الحلى[9] وخطب فيهم خطبة ثم قصيدة حذرهم من الانكليز والركون الى وعودهم وضرب لهم أمثلة من أعمالهم التي قاموا بها في مصر والهند منها :

بني العرب لا تأمنوا للعدى مكرا ... خذوا حذركم منهم فقد اخذوا الحذرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة ... ويبغون ان حانت لكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا ... أضاليلهم في الهند والكذب في مصرا

وحذرهم من وعود الانكليز المعسولة التي سرعان ما ينقضونها فقال :

ولا تقبلوا منهم بقول مموه ... فما عاقل يرجى بأعدائه خيرا

وحثهم على الثورة لانها الحق الواضح الصريح فاذا لم ينتصروا فيها . فسوف يتوجون بالفخر والعز ولن يلومهم لائم أو يتهمهم متهم بأنهم تقاعسوا وذلوا فقال :

ومن مات دون الحق والحق واضح ... اذا لم ينل فخرا فقد ربح العذر[10]

وما أن أتم الخطيب خطابه وشعره حتى قام الشيخ محمد العبطان وسل سيفه وقال : اننا قطعنا على أنفسنا عهدا اما الموت أو الاستقلال التام[11] كان هذا الاجتماع وغيره نتيجة محتومة لعدم تقبل سلطات الاستعمار الحلول السلمية وانما أرادت اظهار سطوتها معتقدة انها قادرة على القضاء على كل حركة يقوم بها العراق في سبيل استقلاله وقد فات القائمون أن حركة الشعوب لن يقوى على

(٩) الحقائق الناصعة ص ١٧٤ و١٧٥ وتاريخ القضية العراقية ص ٩ وبشأن الاجتماع الذى عقد بدار الامام الشيرازي ص ١٤٢ وبشأن الاجتماع الذى عقد في دار حمدي بابان والاجتماع الذى عقد في دار رفعة الجادرجي ص ١٦٠ والاجتماع الذي عقد في بيت السيد يوسف السويدى ص ١٧٧ .
(١٠) مخطوطة في مكتبتي الخاصة .
(١١) الحقائق الناصعة ص ١٧٥ .

مقاومتها حائل والا لاتعظ العراقيون بقوة الانكليز وارتدوا خوفا مما صنعوه في النجف[١٢] أو بغداد ولخاف العراقيون من بطشهم وجبروتهم • ان الحرية والاستقلال لن يقف أمامهما الموت فهي أقوى من الموت ولئن تأخر الشعب فقد كانت قلوبهم تغلي كالمراجل حقدا وغدت كل ثورة ضد الانكليز جهادا ومن العار على العربي أن يقعد •

ومن القصائد التي القيت في التحريض على الثورة قصيدة حسن الجواهري وفيها يقول :

من العار أن تبقى على الضيم مقعدا فلا العيش الا ان تكون ممجدا
مواطنك الغر التي بك شيدت تناجيك فاسعفها خلاصا من العدى
أراقت دماء من نفوس بريئة لتبنى طريقاً للحياة ممهدا[١٣]

ومع كل هذه المقدمات فلم تكن تخرج الفكرة الى حيز العمل فما فكر العراقيون في ثورة مسلحة اجماعية ضد الحكم البريطاني ، لانهم كانوا يأملون بعض الاصلاح ودللنا تلك المفاوضات السلمية التي دارت بين العراقيين والسلطات العسكرية التي أظهر فيها العراقيون من طيبة القلب وحب السلم والمحافظة على النظام ما يدين المستعمرين بأنهم البادئون بالعدوان فقد وصموا الأحرار بأنهم مفسدون والابرياء بأنهم مجرمون[١٤] ولا أدل على حب الشعب للسلام والرفق من ابيات الشعر العامي التي منها :

(ردنه الرفك وياه ما صح بيدنه)[١٥]

---

(١٢) حوصرت النجف اربعين يوما بعد قتل حاكمها ولما فك الحصار شنق المستعمرون احد عشر رجلا ونفي مئة وسبعة رجال •

(١٣) رسالة مخطوطة من قبل الشاعر

(١٤) يلاحظ كتاب شيخ الشريعة الاصفهاني في (الحقائق الناصعة) ص ١٥٧ وما بعدها وفي تاريخ القضية العراقية ص ١٩٦

(١٥) اي أردنا منه الرفق ولكن لم نتمكن من الفوز به (العراق في دوري الاحتلال والانتداب) ص ٥٣ الحاشية • لاحظ في الوقائع الحقيقية ص ١٣٩ • رأي الاستاذ البازركان وص ٦٩ وفي تاريخ القضية العراقية رأي السيد محمد صدرالدين •

أما السبب المباشر للثورة العراقية فهو سجن الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشاير الظوالم وتعنيف الحاكم السياسي له وتوبيخه فجاءت جماعة من عشيرته وأخرجته عنوة من السجن وبعد ذلك حاصرت العشيرة الحامية البريطانية وقطعت طريق القطار[16] وأخذت الثورة تنتشر بين القبائل • وقد ساهم بعض الضباط العراقيين في الثورة • وحدثت عدة معارك أشهرها معركة (الرارنجية) انتصر العراقيون على الجيش المحتل فهز هذا الانتصار العواطف وحسب الثائرون انهم قادرون على اكتساح المستعمر من البلاد فقد نظموا أنفسهم تنظيما حديثا وألفوا المجالس الادارية لتسير امور البلاد ووزعوا حكاما على بعض المناطق وقاموا بامور اخرى دلت على نضج قادة الثورة • واهم ميادين الثورة كانت منطقة الفرات فعندما اخرج الشيخ شعلان انتشرت الثورة في الجنوب كما انتشرت الدعوة الى الجهاد التي اذاعها رجال الدين[17] وقد سجل محمد مهدي الجواهري اعمال الثورة في الفرات بقوله :

وللفرات نهضة مشهودة لا تجحد
هاجوا بها لا لعب فيما اتوا ولا دد
غطارف من الظبا صرح لهم ممرد
وفتية على المنى أو المنايا احتشدوا

ويتطرق الى واقعة الرميثة (العوجة) التي تركت الثناء المخلد في صفحة التاريخ وقد ذكر الجواهري خسارة الانكليز ومنها خسارة قطارين مسلحين •• ارسلا للقضاء على الثورة فقال :

وللقطار وقعة منها تفر الكبد
ما تركوا حتى الحديد سلسلوا وقيدوا[18]

---

(١٦) تأريخ القضية العراقية ص ٢٠٠ وما بعدها •
(١٧) الحقائق الناصعة ص ١٩٢ وما بعدها
(١٨) ديوان الجواهري طبعة ١٩٢٨ ص ٩٧

وقد خسر البريطانيون بارجة كانت قادمة لمحاصرة الكوفة وبعد ان ألحقت اضرارا بالغة بالثوار وبالاهلين ضربها الثوار بمدفع غنموه من القوات الانكليزية في معركة الرارنجية فقال الجواهري يسجل هذا الحادث(١٩) :

وان أنسَ لا أنسَ الفراتوموقفا ... به مثلّت ظلم النفــوس الفظائــع
غــداة تجلى المــوت في غير زيه ... وليس كراءٍ في التهيــب سـامع
بباخــــرة فيها الحــديد معاقــل ... تقيهــا واشباح المنـــايا دوارع
تشير والحاظ البـروق شواخص ... اليهـــا وامواج البحــار توابع

ويصف جنحوها بعد أن ضربها الثائرون بقوله :

هنالك لو شاهدتها حــين نكست ... كما خر يهوى للعبــادة راكــع
هوت فهوى حس وظلم تمازجــا ... بها وانطوىمرأى مروعوروائع(٢٠)

والملاحظ ان مدينة بغداد كانت قد تزعمت حركة الثورة بادىء الامــر وقادت الشعب نحوها وقد ارسلوا ضباطا لتدريب الافراد وحاولوا مساعدتهـــا ماليا(٢١) لكنها لم تشهر السلاح أو تَقُم بعمل حربي لانها كانت تحت السيطرة البريطانية المباشرة وقد قضت السلطات على كل من اشتغل في الثورة فقد نفت بعضهم واعدمت آخرين(٢٢) وقد انتشرت الثورة في بعض مناطق اخرى مــن العراق كالدليم وديالى . وبالرغم من ان هناك بعض معارك حربية جرت في غير الرميثة الا ان الحظ لم يساعدني في العثور على شعر غير قصيدة مصطفى جواد ويصف فيها جانبا من ثورة الخالص في لواء ديالى يقول فيها :

ثبتنــــا في مواقف محرجــــات ... ولاقينا مـــدافع وانفجــــارا
وذدنــا عن حمى وطــن مباح ... ورمنـــا في معـــاركنا انتصــارا

---

(١٩) الوقائع الحقيقية ص ١٥١ والحقائق الناصعة ص ٢٣٨
(٢٠) الديوان ص ٥٤
(٢١) الوقائع الحقيقية ص ٢١٨ والحقائق الناصعة الصفحات ٥٨٧ و٤٠٤و٤٠٥
(٢٢) الحقائق الناصعة ص ١٣٦ ـ ١٣٧ وفي غمرة النضال ص ٢٥٩ وص٢٦٠ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٩٤ و٩٥ ج ١ .

وفي القصيدة يصف الاعمال التي قامت بها سلطات الاحتلال فبعد ان استولت على الخالص أسروا جميع القادرين على حمل السلاح وكتفوهم وقتلوهم سرا • اربعة اربعة • ثم القوا بهم في الطرق والمخارج والمداخل ثم انتنت جثثهم وليس لهم من يدفنها حتى تراجع الهاربون بعد العفو العام فدفنوهم فقال :

شباب اعرسوا بالموت مردا ... وكان رصاص قاتلهم نثارا
وتابعهم كهول القوم زفا ... فوا حزنا لمن تركوا الديارا[٢٣]

والاستاذ مصطفى جواد كان شاهد عيان لهذه الحادثة ولم يقتل لانه كان صغيرا • وقد حدثني المرحوم والدي الكثير عن الضحايا في المعارك الارهابية التي اقترفها الاستعمار • وقد كانت لوعة النساء والرجال مستعرة لسنين طويلة لم يقم بعدها للخالص قائمة فما ثارت وما انتفضت بعدها •

وعلى هذه الفواجع يقف شاعر عراقي ساخرا منها ومن الثائرين فيقول شامتا :

لقد تشتت عن خوف ومن ندم ... جيش حوالي ديالى كان محتشدا
ما كنت أرجو على علمي بنزعتها ... ان يبدو الشر من ابنائها فبدا
احزم بناس رأوا في ارضهم فتناً ... فلم يكونوا لمن قاموا به عضدا[٢٤]

(٢٣) الشعور المنسجم ديوان الاستاذ مصطفى جواد المخطوط ويلاحظ بشأنه الثورة في ديالى ، تأريخ القضية العراقية ص ٢٣٤
(٢٤) ديوان الزهاوي ص ١١٠

أثر الثورة

ـ ٤ ـ

فشلت الثورة ، فلم يقدر العراقيون على مقاومة قوى الاستعمار الفتاكة ، وقد كان رد الفعل عنيفا في نفوس الذين تفاؤلوا كثيرا ، واثارت نتائج الثورة الالم والحسرة في القلوب • فقد ضربت بعض المدن والقرى بالطائرات ، وهاجر بعضهم ومعهم المواشي والاطفال فرارا من قصف المدفعية الثقيلة وخوفا من سطوة المستعمرين والتجأ بعضهم الى الكويت، ناجين من الايذاء ، وقد تركت الهجرة بعض البقاع مهجورة قفرا فقال سعد صالح يصف هذه البقاع ولم تركها اصحابها :

سئمت العيش في وطـــن   يضـــام يـذل يضطهـــد
محته يد القضـــاء فراح   لا روح ولا جســـد
عفت تلك الربوع فـــلا   قديمـــات ولا جـــدد
رياض صوّحت ومهـــا   ذعـــرن ومجمـــع بدد(1)

وقد وقف محمد مهدي الجواهري متعجبا من ايذاء الانكليز للشعب وهم مسيحيون والدين المسيحي دين يأمر بالمحبة والسلام ، وهؤلاء المسيحيـــون يسفكون الدماء البريئة ويخالفون اوامر دينهم :

على أي عذر تحملون وقد نهـت   قوانينكـــم عن فعلكم والشرائـع
على رغم روح الطهر عيسى اذلتـم   براء دمـــاء هوّنتها الفظـــائع

وقد وصف الجواهري الديار الخالية التي تركها اهلها فرارا فقال :

---

(1) سعد صالح ص ١٣٦ بغداد ١٩٤٩

وقد راعني حول الفرات منازل | تخلّين عن أُلاّفها ومرابع
دوائر من بعد الانيس توحشت | وكل مقام بعد أهليه ضائع

وقد كان الجواهري يطفح بالامل والبشر والايمان بالرغم من فشل الثورة في اهدافها لانها برهنت للعالم على ان العربى الذى في قلبه هذا العزم والثبات في سبيل حريته لن يموت ولن يقدر عليه اجنبي او يكبح امنيته في سبيل عروبته فقال :

فان ذهبت طي الرياح جهودنا | فعرضك يا ابناء يعرب ناصع
ثبت وحسب المرء فخراً ثباته | (كما ثبتت في الراحتين الاصابع[٢])

وعلى عكس الجواهري كان سعد صالح قد آلمه خسارة الثورة وكان رد الفعل عنيفا على نفسه فسيطرت على روحه ظلال التشاؤم والالم فقد كان يأمل الفوز والنصر • ولم يتأخر الزهاوى عن رثاء القتلى ووصف ما حاق بالبيوت من الالم ، وبأسر القتلى من أحزان بدماء الشباب التي أراقها المستعمر الغريب فقال :

ماذا بضاحية الرميثة | من غطارفة جحاجح
ولمن اقيمت في البيوت | على كرامتها المناوح
ولأية ندبت من الليل | الحمامات الصوادح

ووصف ماحاق بالقوم في اثر شهداء الثورة الابرار فقال :

ولقد أصاب القوم ما | أبكي العيون من الفوادح
اذ هاجموا يوم الوغى | غلب المدافع بالصفائح

ورثا الشباب الحر بقوله :

لهفي على الغر الشبا | ب مجندلين على الصحاصح
ولقد تغوّر جرحهم | بين الترائب والجوانح[٣]

---

(٢) ديوان الجواهري ص ٥٥ و٥٦

(٣) ديوان الزهاوى ص ١٧٦ ونشرت في الادب الجديد لمحمد جمال الهاشمي

ان فشل الثورة ليس معناه موت امة وانما هو عود الى الكفاح والى النضال حتى تتحقق مطاليبها لذلك فالشعراء اخذوا يضمدون جروح الالم ويمـــلأون المستقبل بالابتسامة والامل ومادامت الامة تبسم للرجاء وتنظر الى المستقبل نظرة التفاؤل والنصر فسوف يكون لها ما تريد ولن يقف امامها مستعمر او يحول دون وعيها وادراكها وقوتها حائل فقد يتمكن المستعمر ان يؤخر عليها آمالهـــا ولكنه هيهات له ان يحرمها منه • فقد قال الجواهري :

صبرا وما طـــاب لكـــم   مـــرعاكم والمـــورد
صـــبرا ومـــا عودتمـــوا   من قبل ان تضطهـــدوا
ان رفعت رواقهـــــا   الحـــرب فانتم عمـــــد
وأنتــــم اذا الوغـــــى   اعـــوزها مـــن يوقـــد
نـــيران حرب يصطـــلى   الادنى بها والابعـــد(٤)

اما اولئك الذين اخذوا يلومون القائمين بالثورة لانهم لم يكسبوا عاجلا او انهم خسروا آجلا ، فهم اناس قصيرو النظر لان الثورة سوف تبقى مؤججة في النفوس وسوف يحمد للقائمين بها اعمالهم ولن يبخل التاريخ بتسجيل ماقدموه للشعب من تضحيات فقد قال ابو المحاسن في سجنه بعد الثورة :

ان يـــذم اليوم قوم غرسـنا   فلنا من بعـــد حمد المجتني(٥)

ولم يقر المواطنون بالهزيمة المادية التي لحقتهم في المعركة وواصلوا العمل من اجل الثورة ومكافحة القوات المحتلة • فقال خيري الهنداوي :

ويك لا ارتضي الحيـــاة بذل   قم فمزّق اهابهـــا تمزيقـــا
وادر لـــي في الـرافدين محيا الـ   ـحـــرب وكسر الابريقـــا(٦)

(٤) الديوان ص ١٠١
(٥) الادب العصرى ج ٢ ص ١٣٧ •
(٦) الادب العصري ج ١ ص ١٦٨ • وديوانه المخطوط عندى نسخة منه •

ان موتاً في ساعة العز لموت أجدر به أن يروقا
يا لقومي لقد دهتها الدواهي وهي تأبى من نومها ان تفيقا

وقد واصل خيري الهنداوي الدعوة للثورة بعد عودته من منفاه في هنجام لانه لم يؤمن بفشل الثورة فقال :

لست من هاشم اذا لم اقدها شزباً توقد الوغى ايقادا

ومنها يقول :

قم فجند من عزمك الاجنادا واركب العزم واقتعده جودا[٧]

أما الذين لم يكونوا راغبين في الثورة فلم اجد غير شاعرين هما علي الشرقي وجميل صدقي الزهاوي وقد كتبت للشيخ الشرقي رسالة اسأله فيها لم لم يكن من الداعين الى الثورة العراقية وهي ثورة ضد المستعمر فأجاب (ان الثورة مقدسة وأهدافها سامية وانا من خدامها والعاملين لها من يومي حتى الساعة[٨] وان الشعب العربى كان ولايزال في اشد الحاجة لها •• واني والصفوة من أصحابي كنا نريدها ثورة قومية شاملة ولا نريدها اقليمية اذ في الاقليمية مضيعة للهدف وانتثار للقلادة ••) وبذلك يتكشف لي رأي جديد من وجود جماعة ارادت الثورة العراقية ان تتأنى حتى يقيم العرب ثورة عامة ينضمون اليها جميعا ولعلهم نصحوا القائمين بالثورة بالتروي وعدم الاسراع ولما فشلت الثورة ورأى الشرقي الخسارة التي لحقتهم قال :

يا ثورة أعقبتها ندامة الثوار
كم في سراري عتب لو تسمعون سراري
هذا اختياري ولكن بالجبر أصل اختياري
تدارك الله شعباً يهمّ بالانتحار[٩]

(٧) ديوانه المخطوط
(٨) كانت الرسالة سنة ١٩٥٧
(٩) جريدة العراق العدد ١٨٥٣/٧/ الثالث من حزيران سنة ١٩٢٦

ولم يكن الشاعر قد حدد رأيه عندما نشر هذه الابيات ولكنه عاد فحدده عندما نشر ديوانه فكانت قصيدة عامرة قال فيها :

كنا نحاول أمراً يفوق كل اعتبار
اهدافه تتغنى بوحدة الاقطار
نريد تشييد صرح من فوق تلك السوار[١٠]

أما السيف الحاد الذي كان مسلطا على الثورة فقد كان الزهاوي فقد رأيناه يمتدح الثوار ويرثي الشهداء يرفعهم عاليا في شعره ولكن ما أن تطأ رجل برسى كوكس أرض العراق حتى نسى كل شيء واذا به يلقي كلمة مسهبة يصور بها حال العراق بالرجل العليل الذي برح به السقام من الثورة التي أصبحت فتنا واضطرابا ويرجو القادم المستعمر ان يسارع في ايجاد العلاج اللازم لهذا المريض بان يخمد الثورة ويقطع دابر الفساد[١١] ومع ان الثورة لم تكن قد خمدت حتى ذلك اليوم فانه تجاهل شعور الرأي العام وتحداه فقال:

عد للعراق وأصلح منه ما فسدا واثبت بهالعدلوامنح اهله الرشدا
الشعب فيك عليك اليوم معتمد فما يكون كما قد كان معتمدا

ثم هاجم زعماء الثورة ووصفهم بأنهم بغاة الشر أرادوا أن يفسدوا في الارض ولن يخمد شرهم ويقضى عليهم غير الحاكم العام فقال :

ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدو اثارة الشر فيه وهو ما قصدا
أما وقد جئت مصحوبا بمقدرة فلا أبالي اقام الشر أم قعدا

تختلف نظرة الناس الى الاعمال وخاصة تلك التي لايكتب لها النجاح ولكن هنالك الاعمال الوطنية التي يؤمن بحقها الاحرار الذين يواصلون العمل من أجلها فستبقى غايتهم ومطلبهم وقد احتضن قادة الرأي والشعراء فكرة الاحتفال بذكرى الثورة كيلا يتسرب الوهن الى النفوس ولاتخاذ الذكرى سبيلا لمواصلة الكفاح .. وليست حياة الشعوب المغلوبة على أمرها الا كفاح

---

(١٠) ديوان الشرقي ص ١٧١
(١١) يلاحظ نص الخطاب في جريدة العراق العدد ١١٢ /١/١٢ ت ١ سنة ١٩٢٠

وثورة ومتى هدأت واستكانت الى الهدوء والسكينة فقد غلبت على أمرها .. وقد تخلف عن ركب الثورة جماعة استفادوا فبعضهم فاز بمنصب وآخر فاز بمغنم ولكن كل هذه المغانم كانت بنظر الوطنيين مغانم محسوبة على سمعة الشخص . وقد رأى ابو المحاسن الخيانة التى كانت فائدة لبعض هؤلاء ففازوا بالتقرب من المستعمر وتركوا اخوانهم في المحن والآلام فلسعهم بقوله :

من رجال نقضوا ميثاقهم وجزوا بالسوء فعل الحسن
اظهروا ما اضمروا من حقدهم وبدت بغضاؤهم بالالسن

ويوجز رأيه بالنتيجة التي آلت اليها الثورة بقوله :

ثورة أصبح من آثارها حظوة الخائن والمفتتن
معشر في نعم قد أصبحوا من مساعي معشر في محن(١٢)

وقد امتاز محمد صالح بحرالعلوم ـ برأي طريف في شعره فهو لم يقل ان القبائل قد قامت بالثورة ولم يقل ان الشعب العراقى قد ثار بل يتطرق الى القادة والزعماء انما خص الفلاحين وحدهم فهم الذين ضحوا بانفسهم واموالهم وبذلوا الغالي والرخيص ولكن لم يغنموا من وراء ذلك شيئاً وقد اتفق مع ابو المحاسن في ان نتائج الثورة ذهبت لغير القائمين بالثورة فقال بحرالعلوم :

قف بالرميثة وانشد الفلاحا هل نال من ماضي الجهود فلاحا ؟
أدمت نواظره النوائب واصطلت احشاؤه تتناوب الاتراحا
قد كبلته يد الصروف واطلقت لذوى المطامع في البلاد سراحا
يتنعمون بكده ووجوههم لولا عنايته لزال وراحا(١٣)

ويتطرق في قصيدة اخرى الى حالة العراق العامة وعما أصابه من تأخر وانحطاط .. ودعا الجموع الى الثورة وبغير الثورة لن يزول الانتداب الذى ينفذ سياسته الخائنون فقال :

---

(١٢) الادب العصرى ج ٢ ص ١٣٧
(١٣) العواطف ٨٩
(١٤) العواطف ٩٩

سـياسـة شرعها الانتـداب فقام في تنفيذها الخائنـون[١٤]

وبحر العلوم من المؤمنين ايمانا عميقا بالثورة والآملين في ثورة اخـرى تصلح امور العراق العامة وتقمع جشع الادنياء الذين يعبثون بمقدرات الشعب فقـال :

ولـم تـزل أسيافنـا باقيـة يقطر منها مـن نجيع الدمـاء
تريد منـا وثبـة ثانيـة تقمـع فيها جشع الادنيـاء[١٥]

وقد كان خيري الهنداوى من اولئك المؤمنين بضرورة مواصلة الثورة لان الثورة لم تحصل على اهدافها وانما بدأ الصراع بين الشعب وبين المستعمر القوي الذى لايحترم الا القوي الثائر فعلى الشعب المصابرة والثورة والكفاح والنضال حتى يستكمل سيادته وحريته لان الحياة الحرة لاتكون الا للمناضلين فقال :

لا يستحق العيش قـوم لا يريـدون الجـلادا
فصـناعة المـوت الزؤوام صـناعة تمحو الفسـادا
وسـوى الاسـنة والمواضي البيض لا تشـفى الفـؤادا
اولى الانـام بحـرمة في الـرأي أكثرهم جلادا[١٦]
وأخصـهم بتجـلة من كان اكثرهم جهـاد

وقد كان الشعراء يعدون اذهان الناس الى ثورة اخرى كي يحـرروا أنفسهم من الاستعمار فبالرغـم من مرور مدة طويلة على الثورة فقـد بقى العراقيون يرسفون تحت اقدام الاستعمار تارة باسم الانتداب وطورا باسـم الوصاية او الحماية لذلك لم يبق المستعمر امام الشعب غير الثورة لاخراجه من أرضه فان ما أسماه بالحقوق أو محاولة تخدير الشعب بأسماء مختلفـة من الحكومات ما كانت تخفى عليهم فقال الجواهرى :

ان كان طال هـذا الامد فبعـد ذا اليـوم غـد
ما آن ان تجـلوا القـذى منهـا العيـون الرمـد

---

(١٥) العواطف ص ١٠٠

(١٦) ديوان الهنداوي

اسيافكم مرهفة وعزمكم متقد
هبوا كفتكم عبرة اخبار من قد رقدوا
هبوا فعن عرينه كيف ينام الاسد

ويأمل ثورة عربية لايخمد اوراها حتى تحقق اهدافها فقال :

وثورة بل جمرة ليعرب لا تخمد
اججها آباؤهم والحر لا يستعبد[17]

وان كان الشعب فقيرا لا يملك القوى التي تذود عنه ولا الجيوش التي تناهض الخصم العنيد وتقاتل جنوده المدربة خير تدريب وبأسلحته الحديثة فقد كان للشعب قلوب تنبض بالايمان ونفوس لا تقدر عليها الجيوش الجرارة ولا الاسلحة الحديثة .

١٧) ديوان الجواهري ص ٩٧ - سنة ١٩٢٨

كلمة اخيرة عن الثـــــورة

وقف المؤرخون من الثورة موقفين متغايرين فقد رآها بعضهم مخيبـــــة للآمال التي ثاروا من اجلها[١٨] ورآها آخرون ناجحة ادت رسالتها بانشاء حكومة وطنية ذات سيادة وانها انقذت العراق من أن يكون تابعا مستعمرا للهند •

وقد احتار المؤرخون مرة اخرى في النتائج التي وصلت اليها الثـــورة وفي الاسباب التي أدت الى فشلها • ولعل سبب هذه الحيرة وهذا الموقف هو حكمهـم الذي جاء معتمدا على الظواهر العامة والنتائج الآنية التي احاطت بالثورة • وفاتتهم الاحاطة التامة بامور العراق الاجتماعية والاقتصادية ، واثرها في النتائج السياسية واثر العوامل النفسية في اتجاهات كل ثورة •

فعزي فشل الثورة الى قوة الجيش المحتل وسيطرته التامة ، وضعف القوات العسكرية الثائرة وقلة عتادها وعدتها دون ذكر للعوامل النفسية العميقة الاثر ، فعندما احتل الانكليز العراق لم يكن العراق بلدا بدائيا ليست له مثله وتقاليـــده التي تربط المجتمع بالفرد انما العراق بلد شعت منه الحضارة والمدنية وتركـــت آثارها واضحة في نفسية الفرد وشخصيته وتفكيره وتركت حدودا غير بارزة او واضحة المعالم فيه ، لان الطبيعة العربية البدوية كانت تمد العراق دائما بآثارهـا و'مثلها • ويمكننا لسهولة البحث ان نصنف هذا المجتمع الى فئات :

١ ـ الفئة الاولى وتضم رجال الدين وشيوخ العشائر وبعض ابنـاء الاسر القديمة وبعض كبار الموظفين من العراقيين

٢ ـ والفئة الثانية وتضم المتعلمين واكثرهم من الموظفين والضباط

---

(١٨) الحقائق الناصعة الصفحات ٥٠٣ و٥١٥ و٤٧٣

٣ ـ الفلاحون وصغار الموظفين وسكان المدن بصـــــورة عامة من غير الفئتين المذكورتين •

وكانت الفئة الاولى والثانية لها مكانتها الدينية والزمنية ، وسـطوتهمـا ، فشيوخ العشائر متضامنون مع عشائرهم وتثور معهم العشائر وكثيرا ماتصفح الدولة عنهم لعدم قدرتها وسيطرتها • ورجال الدين مرهوبو الجانب للمكانة العلميـة والدينية • وقد كانت الفئة الثانية قد أمنت العوز والفاقة بحكم الرواتب والوظائف• وقد كان الدين الاسلامي ومثل المجتمع العامة محترمة لايجرؤ فرد على الخروج عليها • ثم فتح الانكليز العراق فأضطربت هذه المثل وتخلخل المجتمع فأضطربت الحياة العامة ، فقد دخل الانكليز العراق بالقوة وكانوا يفرضون الاحتلال العسكرى بقوة السلاح والارهاب ولم يتسامحوا مع احد مهما كبرت منزلته ان يقف في وجههم وان يحد من سلطانهم وسطوتهم •• سواء كان هذا الفرد شيخ عشيرة او رجـل دين او ابن اسرة عريقة •• بل السلطة كانت تمعن باذلال الذين حاربوها •• ولم يكن الشيوخ ينسون هدر كرامتهم التي تعتبر جزءا من كرامة العشيرة تصونها العشيرة وتذود عنها •• فلم تكن مشيخة رئيس القبيلة اقطاعية بحتة وشيخ القبيلة يجب ان يكون من ابنائها ومن خيرة الابناء[١٩] وقد رأى رجـال الدين ما حاق بالبلد وقد استعمره الاجنبي البعيد عن الشعب في الدين واللغة ولايمت له بصـلة قريبة او بعيدة فهالهم الامر • وقد فقد الموظفون العون الاقتصادي والمكانة التـي كانوا يرفلون بها •• ولكنهم صبروا وصابروا بعد ان بذل المحتل وحلفاؤه الوعود الخلابة في سبيل تحرير هذا الوطن •• غير ان الامور لم تسوّ على الوضع الذى كان يأمله الوطنيون فكانت الثورة •• فاندفع ابناء الشعب لتأييدها متأثرين امـا بالفتاوى الدينية او بمناصرة شيخ القبيلة او مدفوعين بالخطب والقصائد ولكـن سرعان ما ذهب الحماس ••

---

(١٩) تطور الامر بعد ذلك لدى بعض رؤساء القبائل وتنافسوا في حيازة اكبر رقعة من الارض •• وقد اراد بعضهم ان يجعل له حقا في الدستور ••راجع مذكرات المجلس التأسيسي ص ٨٩٩ـ٩٠٨ والقوى المؤثرة في الدساتـير ـ للدكتور طلعة الشيباني ص ٢٠ بغداد ١٩٥٤

وقد كان العامل الاقتصادي فعالا ، فالعراق كان يمر بازمة اقتصادية فقد تعطلت الصناعة والتجارة والزراعة ، مذ جند العثمانيون القادرين على حمل السلاح ما بين عشرين سنة حتى الاربعين فأقفرت القرى والمدن من الرجال[٢٠] وقبلت البدل النقدي الذى دفع الناس للاقتراض بفائدة بلغت ٦٠٪ ثم صدرت العملة الورقية التي زادت التدهور سوءا .

وكان احتلال الانكليز سببا لانشغال الشعب بالامور السياسية عن التجارة والزراعة[٢١] ولما عاد الضباط والموظفون من سوريا والحجاز وجدوا انفسهم بلا عون مالي يساعدهم فقد شغل الهنود والانكليز من الوظائف أحسنها واكثرها[٢٢] فاتفقت مصالحهم مع مصالح الشعب وكونوا فئة ضد المحتل لاستعادة الضمان الاقتصادي وما تأخروا في مساندة الثورة . وبعودة العون المادي بعثرت بعض القوى وكان سببا في فشل الثورة انتبه اليه احد المشتركين في الثورة فقال (ولو ان جميع الساسة والمعنيين بالقضايا العامة عندنا ارتفعوا قليلا عما هم عليه من انكباب على زخرف الحياة ومتاعها وخففوا قليلا من اغراضهم عن الالحاح في المطالبة بحقوق البلاد لما رأينا الحالة السيئة التي تنحط الان ولاستطاعوا تكملة رسالة الثورة)[٢٣] وتجلى هذا الخصام في سبيل المصالح بين الاحزاب بينما كانت الثورة مستعرة الاتون .. وافقد الخصام توحيد القيادة بين الضباط ورؤوساء

---

(٢٠) كثر عدد الهاربين من الخدمة حتى اصدر انور باشا امرا باعدام نصف الهاربين المقبوض عليهم وارسال النصف الآخر الى ساحة القتال .

(٢١) تاريخ مقدرات العراق السياسية لامين العمري ج ١ ص ١٤١ بغداد سنة ٩٢٥ .

(٢٢) Bell, G. Review of The Civil Adminstration of Mesopotmia (London 1920) P. 122.

(٢٣) الوقائع الحقيقية ص ٢٣٨

القبائل[٢٤] حتى بين شيوخ العشائر أنفسهم في الجبهات المتعددة. (فأهل المشخاب كانوا لا يعلمون اي شيء عن ثورة تلعفر وهكذا بالنسبة للمحمودية وقبائل زوبع[٢٥] وكانت بعثرة القوى ـ رغم وجود الاخلاص العميق ـ عاملا في فشل الثورة ..

وقد كان العامل النفسي مؤثرا في الثورة .. فالعراقي عاطفي سريع التهيج يندفع وراء عواطفه تؤثر فيه الكلمة الطيبة والمثيرة فيندفع معها وهو فردي يحب ان يسود ولا يقر بحكم فرد .. ولست من علماء النفس لاحلل هذا وانما اسرد ما اعرفه بتجاربي المحدودة .. ومن عرف هذه النفسية يمكنه ان يستلغها خير استغلال .. وقد قامت الثورة على عامل الحماس الذى اندفع بالفتاوى والخطب والشعر ولكن هذا الحماس لم يدم اذ لم تكن جذوره عميقة ، ولما استقر بعد ذلك واصل الشعب الكفاح في سبيل حريته واستقلاله .

انا من المؤمنين بان الثورة كانت ثورة في سبيل الحرية والاستقلال وبسطت فيها رأيي فان لم اوفق فقد فاتتني امور عسى يسجلها الباحثون خاصة والعراق لايزال بكرا يجب ان يدرس اجتماعيا لتطوير مجتمعه وتقدمه ..

ان فشل الثورة كان سببا في خلاف دب بين العراقيين[٢٦] فمنهم من بقي يتفاخر بها وهم من ذوي الايمان العميق ومنهم من نسيها وما حفل بها . والاختلاف في المثل العليا موجود في جميع المجتمعات ويبرز واضحا في فشل اية ثورة والانتصار عليها ، والويل للمغلوب من الغالب .. وتعدد الآراء

---

(٢٤) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٥ ويراجع بشأن معالجة مشكلة (الافندية) الذين كانوا ضباطا وموظفين في الدولة العثمانية وسخطوا ـ كتاب هيلدن الصفحات ٢٤ و٢٥ و٢٦

(٢٥) الوقائع الحقيقية ص ٢٣٨

(٢٦) لاحظ حديث شعلان ابو الجون على سبيل المثال ص ٤١ في محاضرات عن العراق .

في امر يعكس لك جوانب المجتمع نفسه فقد بدا التناقض واضحا وطغى على الاسلوب والمعنى وغطى على اللفظ والكلمة ‥ لان الشعر عامة كان حطبا جزلا لالهاب نيران الثورة فبذل الشاعر كل قدرته في هذا النظم العجلان ليهز المشاعر ويثير الخواطر ضد المحتل الذى هيمن على مقدرات الوطن ويذكر الناس بالذل والهوان[٢٧] ‥ وبالرغم من ان كثرة شعر الثورة ذهب واندثر لكن رائحته الذكية العطرة تدفعنا دائما نحو حرب المستعمر والثورة بوجه الظلم والطغيان

(٢٧) ذكر ذلك الدكتور البصير في مقدمة ديوانه البركان الذى طبع اثناء طبعي لهذا الكتاب ٠

عـــرش العـــراق

ـ ٥ ـ

كان من نتائج الثورة التعجيل بالتفكير في انشاء دولة وطنية واستبعاد جعل العراق مستعمرا تابعا للهند • وبذلك اثبت الشعب بانه قادر على فرض رغبته على الانكليز رغم ما لديهم من عدة وعدد •• فالخسائر التي مني بها الاستعمار كان صداها يتردد في مجلس العموم البريطانى فثار على الحكومة ، ورددت ثورته الصحف وثار جدل عنيف حول موقف الانكليز في العراق حتى طالب بعض ساستهم الانسحاب من العراق كله ، وطالب بعضهم بالاحتفاظ بالبصرة ، اقتصادا في الارواح والنفقات •• وقد اضطر لويد جورج للتصريح في المجلس انالعراقيين يجب ان يحكموا انفسهم ويشكلوا حكومة عربية ، تقدم لها بريطانيا المساعدة في ادارة البلاد وحفظ الامن في ربوعها • وبذلك يرضي العراقيين ، ويرضيالمجلس ويقتصد في النفقات ، ثم يرضي فريقا من الانكليز الذين يرون من مصلحة بريطانيا تحقيق بعض وعودها للعرب • وكانت اولى هذه الخطوات ارسال برقية تتضمن الدعوة الى انشاء دولة اوكل امر تنفيذها الى السر برسي كوكس ، وطلب اليه انشاء وزارة موقتة برياسة رئيس عربي وانتخاب مجلس يمثل السكان وقد شكلت الحكومة الموقتة برياسة السيد عبدالرحمن الكيلاني فواجه العراق مشكلة لم يعهدها من قبل في حياته السياسية ، فالوزارة عراقية المظهر ولكن مع كل وزير مستشار فكان الحكم مزدوجا شاذا ، فبالرغم من ان كوكس هو الذى اختار اعضاء الوزارة وانه هو الرئيس الاعلى فقد وضع معهم المستشارين لادارة دفة الحكم وقد كانت الوزارة ممثلة تمثيلا طائفيا عشائريا ليسكن الاضطراب الذى

عم البلاد ويهدأ من حدة الثورة المشتعلة[١]

وبينما كان العراقيون والانكليز يستعرضون اسماء من يولونه السلطة في العراق حدثت معركة ميسلون وسقطت المملكة العربية في الشام فكان اخراج فيصل سببا في ترجيحه على سواه وأيد هذا الترشيح مؤتمر القاهرة برياسة ونستن جرجل[٢] وبدأت الحكومة الموقتة والانكليز في اعداد الجو لمرشح العرش فوصل الى بغداد في حزيران ١٩٢١[٢] ورشحه المندوب السامي البريطاني في بلاغ اصدره وشرح فيه السياسة البريطانية في العراق ولم ينس البلاغ ان يقول ان العراق غير مستعد لحكم جمهوري لانه متأخر[٣] فما كان من مجلس الوزراء الا الطاعة والمناداة به ملكا واشترط ان تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون[٤] .

توج فيصل وكانت النفوس قلقة من وجود جيش الاحتلال ، وافكار الشعب مضطربة حيرى ، بعد ان فشلت الثورة ، فظن بالعهد سيكون جديدا وسيتمتع العراق بالاستقلال الكامل . وخيبة الامل التي سيطرت على النفوس وآثار المرارة

---

(١) العراق الحديث ص ٤٥ ومقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر ص ٥٣ ويلاحظ كتاب آيرلند
Iraq, A Study In Politilcal Development P. P. 70, 17, 200,221.

(٢) العراق الحديث ص ٤٤-٤٦ ومقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر ص٦١
Foster, H., The Making of Modern Iraq P. P. 94,227 (London 1936).

(٣) ظهرت فكرة الجمهورية ولكن الانكليز قتلوها . راجع حياة الشرق تأليف لطفي جمعة ص ٢٨٢ ومجلة الغري ١٨و١٩/٧/١٩٤٦ والادب العصري ج ١ ص ١٧٠ وفي غمرة النضال . الصفحات ٩٦-١٤٣ و٢٦٣ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ١ ص٢٠٦ وايام فلبي في العراق الصفحات ٣٨ و٣٩و٤٥

(٤) يراجع منشور مجلس الوزراء في مجلة الفلاح العدد ٢٦ و٢٧ اغسطس١٩٢١

الظاهرة في حاضرهم المرير من معاملة سيئة الى هدم للقرى وتشريد ابنائها وجمع الاسلحة والغرامات الباهضة وابعاد الزعماء وسجنهم[٥] خيل لهم انهم سيجدون في قدومه سببا للتعبير لطول فترة اليأس والقنوط التي رانت على النفوس فهي اشبه بالغريق الذى يتشبث باعواد القش ولذلك نجد بعضهم استرسل في احلامه وكأنه عاش في امانيها فترة من الزمن • وقد نسى هؤلاء الشعراء قوة جيش الاحتلال البريطانى ومالها من تأثير على ادارة دفة العراق حتى ان الزهاوي نظم ديواناكاملا سماه (هتاف الاخلاص) ولكنه سماه بعد ذلك (القصائد المطرودة)[٦]

وكان يدفع الشعراء الى النظم حب الفخر والمباهاة التي هى طبيعة الفنان الذى يريد ان يظهر فنه وينشره بين الناس فيعجب به الناس وترتفع مكانته بينهم واشباعا للذة الابداع التي حرم منها شاعر القرن التاسع عشر ووجد ميدانا لابداء مايعانونه من وجود الاحتلال وتأخير بلادهم في مناحي حياتها السياسية والاقتصادية والعلمية[٧]

ولعل ابرز ظاهرة هي الظاهرة العربية المسلمة واختفاء النزعة الاسلامية البحتة التي كانت تغطى شعر القرن اتاسع عشر • والملاحظ ان الشعراء اسبغوا الحق الالهي للرئيس الاعلى للحاكم وانه مقدس ولا ينافس ، وان قوله هو الحق الالهي •• ولهذه النزعة جذورها في الشرق العربي فقد جاءت من اثر الحكم العثماني فأعطي هذا الحق السلطاني للحاكم الجديد •• ويجد الدارس لهذه الفترة اتكالية بعض الشعراء وخيالا واسعا في المطاليب ويفيض الشعر بنعوت وألفاظ

---

(٥) العراق الحديث • متى عقراوي ص ٤٣ بغداد ١٩٣٦ وكتاب هيلدن ٢٥٦ و٣١٤ و٣٣١

(٦) جريدة العراق العدد ١٦١٨ السنة السادسة

(٧) جريدة العراق ١٩٢١/٢/٣٢٩ والفلاح العدد ١٨ السنة الاولى والعدد العاشر الصادر ١٢ تموز ١٩٢١ •

كثيرة وضخمة[٨] . ويمكن للباحث ان يجد في شعر هذه الفترة صورة الفوضى وعدم الاستقرار وقوة الشعب المعنوية في سبيل حقوقه .

(٨) لسان العرب العددان ٧و١٦/١/١٩٢١ وجريدة العـــراق ٢٣٣و٢٣٥ ٢/١٩٢١ والفلاح الاعداد ٧ و١٣ و١٨ و٢٦ و٢٧ الســـنة الاولى ١٩٢١ ولب الالباب ، محمد صالح السهروردي ص ١٤٠ جـ١ بغداد ١٩٣٣

(٩) جريدة العراق العدد ٢٣٢٥/٨/١٩٢٧ ومجلة الفلاح العدد ١٩ سنة ١٩٢١ والعدد ٢٦ و٢٧ الصادر في اغسطس ١٩٢١ والعدد ٢٠/٤/١٩٢١

الفصل الرابع

مشكلات العراق السياسية

بين ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩

١ ـ حالة العراق العامة بعد الثورة

٢ ـ اثر الانتـــداب البريطاني

٣ ـ الشعر والمعاهدات والساسة

٤ ـ عبدالمحسن الســـــعدون

حالة العراق العامة بعد الثورة

- ١ -

بعد أن فشلت الثورة العراقية حربيا دخل العراق دورا جديدا من حياته السياسية • فقد استأنف العراقيون النضال السياسي من جديد ولم يفت فيعضدهم خسارتهم في المعارك التي شنت ضد القوات المحتلة للحصول على الاستقلال والحرية • وقد امتاز هذا الدور بانه كان دورا سلميا اذ حاول العراقيون الحصول على الاستقلال بالمفاوضات التي كانت تدور بينهم وبين الانكليز للتخلص من عبء الاحتلال البريطاني الذي لايتفق وامانيهم القومية اذ ارادوا الحصول على ما حصل عليه اخوانهم في سوريا والحجاز فقد شكلت دولة عربية في الحجاز واخرى في سوريا ، ولم يكن العراقيون بأقل رغبة ولا كفاءة من اخوانهم في هذين القطرين ، ثم انهم ناضلوا سوية وضحوا كما ضحى اخوانهم فلم استعمر العراق من الانكليز وحكم حكما مباشرا من قبل قواتهم العسكرية وضرب بعرض الحائط برغباتهم في حق تقرير مصيرهم ؟كره العراقيون انيكونوا تحت الانتداب البريطاني ، رغم الدعوة التي صاحبته من ان فترته ستكون مؤقتة حتى يقدر العراق على حكم نفسه بنفسه ، وليس الانتداب سوى تقديم النصح والارشاد للعراقيين حتى يتجاوزوا هذه المرحلة • لان العراقيين لم يكونوا واثقين من هذه الاقوال والانتداب بحد ذاته معناه الاستعمار ، وعدم تحديد فترة الانتداب ونقض عهود الحلفاء ثانية اضاع ثقة العراقيين بالانكليز وكان من جرائه انيعتمد الشعب على نفسه في المقاومة ليتحرر • ولم تجد جميع المحاولات التي بذلها السر برسي كوكس في اقناع العراقيين بقبول الانتداب حتى انه قال : ان الانتداب

والاستعمار عند العراقيين على حد سواء[1] ، لانهم قارنوا بين حكم الاتراك وحكم الانكليز . فزادت كراهيتهم للحكم البريطاني .

كان الانكليز يريدون أن يرضوا العراقيين ولكنهم لا يريدون أن يتخلوا عن العراق فحاول المندوب السامي ابدال الانتداب بمعاهدة تعقد بين الطرفين ليخدر العراقيين بانشاء حكومة وطنية مؤقتة ويبدو سوء نية الانكليز ومخادعتهم للعراقيين واضحا من الخطاب الذي ألقاه المندوب البريطاني في عصبة الامم مؤكدا بأن مبادىء الانتداب ستبقى مضمونة بالرغم من وجود هذه المعاهدة[2] .

ولما شكل السير برسى كوكس حكومة موقتة عهد اليها ادارة بعض شؤون الدولة ، وقد حدد المندوب السامي صلاحيات الوزارة التي تستمد سلطاتها منه مباشرة ووضع مع كل وزير مستشارا أوجب حضوره مع الوزير في مجلس الوزراء وأوجب موافقته على القرارات حتى تنفذ كما صنع مثل ذلك في الالوية والاقضية وأبقى بعض المناطق تحت سيطرة الحاكم البريطاني مباشرة وكان القصد الاول منها تسكين الثورة واسكات المدافع[3] لبسط النفوذ البريطاني بعد تهدئة الاحوال العامة في العراق .

أصبحت الان وزارة في العراق وأصبح للعراقيين حكومة موقتة هذا هو ظاهر الحال ولكن الحقيقة غير هذا ، فان بريطانيا أرادت حل مشكلة العراق بتخدير العراقيين فعقدت بعد ذلك معاهدة بين السير برسى كوكس وبين الوزارة التي انتخبها كوكس نفسه لا تختلف في نصوصها عن صك الانتداب بشيء سوى

---

(١) تحرر العراق من الانتداب ص ١ـ٤ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب صيدا ١٩٣٥ ص ٢٠٠ والجزء الثاني ص ٥٣٥ من كتاب مس بل المطبوع في لندن سنة ١٩٢٧

(٢) تحرر العراق من الانتداب ص ٥

(٣) جريدة العراق ١١٢ بشأن استقبال برسي كوكس والعدد ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، المقالات الافتتاحية للتمهيد للحكومة الموقتة ، و١٢١ ص ٢ وافتتاحية ١٢٢ ، ١٢٣ وما بعدها بشأن لجنة الانتخابات العراقية وغير ذلك من المقالات في نفس السنة عن الوضع العام ، والعدد ١٢٥ اسماء الوزارة الموقتة وتعتبر الجريدة خير سجل رسمي .

أنْ جعلت العراق حكومة مستقلة ومنتدبة في نفس الوقت لذلك لم يرض الوضع العراقيين لما تضمنته هذه المعاهدة من انتداب حقيقي واستقلال مزيف .

ومما زاد الطين بلة والالم في نفوس العراقيين تمديد أجل المعاهدة الى خمس وعشرين سنة بعد أن كانت أربع سنوات(٤) .

ان العراقيين لم يكونوا راضين على أي حال من أحوال الانتداب ، فلم تفتهم ألاعيب الاستعمار مطلقا ، يتجلى ذكاؤهم عندما بايعوا فيصلا على شرط الحصول على الاستقلال التام ، وقد كان فيصل يؤكد ذلك الشرط في جميع خطبه على الناس قبل انتخابه وبعده(٥) ، كما ان العراقيين كانوا يؤكدون على فيصل رغبتهم في الاستقلال التام في جميع ما ألقى من شعر ونثر ، ويؤيد ذلك زعماء القبائل الذين كانوا يلحون برفض الانتداب والمطالبة بالاستقلال التام(٦) ، وقد تشكلت بعض الاحزاب السياسية مثل « الحزب الوطني العراقي » و « حزب النهضة العراقية »(٧) فساعدت على بلورة الرأي العام ، وكانت تعقد بعض الاجتماعات السياسية التي توجه بها الرأي العام نحو الاستقلال وقد عقدت اجتماعا مشتركا أسفر عن ارسال احتجاج الى الملك فيصل ثم السير في مظاهرة سلمية تعبر عن سخطهم على الانتداب والمناداة بسقوطه وسقوط انكلترا(٨)

---

(٤) يراجع مشكلة الموصل للتفصيل .

(٥) فيصل بن الحسين في خطبه واقواله ، أصدرته مديرية الدعاية سنة ١٩٤٥ يلاحظ ص ٢٣٢ وما بعدها من الخطب .

(٦) جريدة المفيد العدد ١١٤ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٨ وما بعدها ج٢

(٧) يراجع بشأن تأسيس الاحزاب « ذكرى فيصل » تأليف محمد عبدالحسين ـ بغداد سنة ١٩٣٣ ص ٤٥

(٨) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٩ وما بعدها ج٢

ولكن محاولات الوطنيين باءت بالفشل[٩] لكنها نجحت في عرقلة المعاهدة ووضع شرطين مهمين : الاول ـ الدخول مباشرة في مفاوضات تضمن اعادة النظر في المعاهدة لضمان المطالب الوطنية ، والثاني : صيانة حقوق العراق في ولاية الموصل اذا فشلت بريطانيا في الحاق الموصل بالعراق فتعتبر المعاهدة ملغاة[١٠] • لم تكن المعاهدة لتختلف عن صك الانتداب بشيء فالمادة الرابعة حتمت على ملك العراق ان يستشير المندوب السامي في جميع الشؤون المهمة وان يستشيره استشارة تامة في كل ما يؤدي الى سياسة مالية •

وقد حاول الوطنيون عرقلة تصديق المعاهدة بوسائل متنوعة منها مقاطعة الانتخابات ، وطالبوا بسحب المستشارين الانكليز من الالوية لان وجودهم يعرقل سير الانتخابات ويمنع الموظفين العرب من العمل بحرية تامة وطالبوا باعادة المنفيين خارج العراق ، فأثر ذلك في سير الانتخابات وعطله فاتخذت الحكومة طريق الشدة ونفت جماعة الى خارج العراق[١١] فسارت الانتخابات حتى نهايتها • ثم جرت حفلة افتاح المجلس التأسيسي في ٢٧/آذار/١٩٢٤ ، ولما عرضت المعاهدة على بساط البحث قوبلت بمعارضة شديدة فاستعمل الملك فيصل نفوذه الشخصي واقام المآدب في البلاط لكي يقنع النواب بالتصديق وذكرهم بما حدث له في سوريا ثم احرجهم قائلا لاتتركوا فيصلا معلقا بين الارض والسماء ومع ذلك كله فلم يوافق المجلس على التصديق حتى هدد المندوب السامي

---

(٩) حاول الوطنيون عرقلة الانتخابات وطالبوا بسحب المستشارين منالالوية لانهم يتدخلون لصالح بريطانيا ، فما كان من الحكومة الا استعمال الشدة فنفت الشيخ الخالصي وولديه وغيرهم الى ايران وطلب فيصل من عبدالمحسن ابو طبيخ مغادرة العراق فسافر الى سوريا • مقدمة في دراسة العراق المعاصر ص ٧٢

(١٠) مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ بغداد سنة ١٩٢٤ •

(١١) على اثر نفي الخالصي وخروج ابي طبيخ ، خرج بعض العلماء من العراق احتجاجا على فعل الحكومة كالسيد ابي الحسن ومحمد حسين النائيني ـ زكي صالح ٧٠ ، والحسني ٣٠ ، ٣١ ج٢ •

بأعلان الحكم المباشر على العراق اذا لم تصدق المعاهدة[١٢] ولما انعقدت الجلسة الاخيرة تخلف النواب عن الحضور ولم يحضر من المئة سوى تسعة وستين نائبا وصادق عليها سبعة وثلاثون نائبا وبذلك ابرمت المعاهدة تحت الارهاب[١٣] ولكن المجلس التأسيسي سجل على نفسه ثقل وطأة المعاهدة على الشعب[١٤].

وبعد تصديق المعاهدة أصبح للعراق وجهان مختلفان فهو لايزال دولة منتدبة بنظر عصبة الامم ولكنها مع بريطانيا دولة حليفة مستقلة محدودة صلاتها بانكلترا بمعاهدة تحالف[١٥] وبعد المعاهدة العراقية ـ الانكليزية برزت مشكلة الحدود بين العراق وتركيا اقترح لاجلها ان يمدد أجل الانتداب الى خمس وعشرين سنة بناء على اقتراح لجنة الحدود[١٦] فحفز ذلك العراقيين الى انهاء أجل الانتداب فوضعت مادة جديدة لم يوافق عليها العراقيون سميت معاهدة ١٩٢٧[١٧] ولكن هذا الرفض لم يقطع الصلة بين العراقيين والانكليز وانما أظهر للانكليز صعوبة السير في مثل هذه العلاقات ، فرفعت تقريرا الى عصبة الامم تشرح هذه المشكلة بكل جلاء وصراحة ، فقد جاء في التقرير « للعراق سياسة وطنية ومع هذا فهو تحت الانتداب .. وان الوزراء مسئولون امام البرلمان وفي عين الوقت تحت سيطرة المستشارين الانكليز[١٨]..» ولم يكن امام الطرفين المتنازعين غير أمر واحد هو ادخال العراق في عصبة الامم لحسم النزاع اذ ان دخول العراق عصبة الامم سوف يجعله دولة مستقلة وبذلك سينتهي

---

(١٢) الحسني ٨١ جـ١ . (١٣) الحسني ٨٣ وزكي صالح ٧٢

(١٤) الحسني ١٣٨ ومذكرات المجلس التأسيسي .

(١٥) خدوري ص ٦

(١٦) League of Nations, Question of Forntier Between Turkey & Iraq, C. 400. M. 147, 1925, PP. 88 - 89

وخدوري الصفحة ٦ .

(١٧) الحسني ١٣٧ـ١٤٩ وزكي صالح ٧٥ .

(١٨) زكي صالح ٧٧ وخدوري ص ٧ والتقرير البريطاني ص ٢٧ .

الانتداب الذي كره العراقيون اسمه وحاربوه ولعنوه[١٩] ليرضوا الرأي العام ويسكتوا اصوات المعارضة المطالبة بالاستقلال[٢٠] ٠

وقد تم دخول العراق الى عصبة الامم بعد عقد المعاهدة العراقية الانكليزية الجديدة التي صودق عليها من قبل مجلس النواب في السادس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٣٠ ٠ وبالمعاهدة الجديدة ودخول العراق عصبة الامم في الثالث من تشرين الاول سنة ١٩٣٢ ، اصبح العراق مستقلا وقادرا على ان يحكم نفسه بنفسه[٢١]

بعد دخول العراق عصبة الامم اصبح له كيان عالمي معترف به رسميا وقد التفت العراقيون بصورة عامة يلتمسون الاصلاحات الداخلية وليس هناك حوادث لها أهمية كبرى اثرت في الشعر العراقي تأثيرا كبيرا غير الانقلابين العسكريين اللذين قام بهما الجيش العراقي فقد كان الاول في ٢٩/تشرين الاول/١٩٣٦ بقيادة بكر صدقي العسكري اذ ارغم وزارة الهاشمي على التخلي عن الحكم[٢٢] ٠ أما الحادث الثاني فهو انقلاب رشيد عالي الكيلاني وقد امتاز هذا الانقلاب بصبغة وطنية لانه كان ضد الانكليز فكسب عطف الوطنيين واثار في نفوسهم ما كمن من رغبة في تحقيق الاهداف الوطنية التامة واستغلال الفرصة بمناسبة الحرب العالمية الثانية ١٩٤١ ولم يدم أمد هذا الانقلاب الا حوالي الشهر وعوقب القائمون به عقوبة صارمة[٢٣] ثم لما هدأت الاحوال وعادت الامور تجري في مجاريها السابقة ، اصطلى العراق بنار الحرب العظمى الثانية ٠

---

(١٩) خدوري ص ٤ الحاشية ٠

(٢٠) كالجرائد والاحزاب والشعراء كما سنرى ٠ ومن المقالات راجع لفهمي المدرس (مقالات) جـ١ بغداد ١٩٣١ في اكثر مقالاته ٠

(٢١) خدوري ص ٣٥

(٢٢) راجع زكي صالح ص ١٠٢ فقد جاء على ذكر مصادر مهمة في حاشية البحث

(٢٣) للتفصيل راجع زكى صالح ص ١١١ والقصة الرسمية لقيادة ايران والعراق ومذكرات تشرشل عن الحرب العامة

The Second World War Vol. III Ch XIV PP 224 - 237 (London 1950) See also "Paiforce", The Officail Story of The Persia & Iraq Command 1941 - 1946, H. M. Stationery Office.

اثر الانتداب البريطاني

- ٢ -

بعد فشل الثورة العراقية وسيطرة بريطانيا على العراق سيطرة تكاد تكون تامة . كانت اول مشكلة واجهها العراقيون هي مشكلة الحكم البريطاني من احتلال وانتداب وماسمي بالاستقلال وماجاءت فترة عقد المعاهدات المختلفة الا لتبرير وجود الاستعمار البريطاني ، وتغيير مظهره لاسترضاء الشعب ، والحقيقة ان المعاهدات كانت تحويرا لصك الانتداب بذل العراقيون جهدا كبيرا في التخلص منها ونبذ النير الاجنبي . بدأت اعمالهم بالاحتجاجات السلمية وكانت تتطور احيانا الى مظاهرة يطالبون فيها الغاء الانتداب وازالة السلطة الاجنبية عن العراق واسقاط كل وزارة توقع اية معاهدة لاتتماشى ورغبات الامة[١]

ولم يكن الشعر متخلفا عن المشاركة في العمل الوطني فقد كانت اهازيجه من اعذب الاغاني ، وارق الاناشيد ، تدعو للاستقلال والحرية اللذين حرم العراق منهما طويلا . وكان اثرها على العراق كبيرا اذ عمه الالم وشمله جو الحزن والكآبة ، وغدت احاسيس الشعراء الحانا تندب ايام العراق الذهبية الوارفة الظلال ، ورأى انها لن تتحقق بغير الكفاح والنضال والثورة والعمل المتصل . واستخلاص الحق السليب من بين مخالب المستعمر . اخذ الشعراء يهيؤون أذهان

---

(١) ارسلت برقيتان الى الملك فيصل الاول موقعتان من كثير من ابناء الشعب وابرزهم السيد علوان الياسري والسيد محسن ابو طبيخ والسيد قاطع العوادي والشيخ عبدالواحد سكر والشيخ شعلان ابو الجون (العراق في دورى الاحتلال والانتداب ص ٨ و٩) عن جريدة المفيد

الشعب ويذكرونه بماضيه المجيد ليعيدوا له ثقته بالنفس ، وليعرفوه بمنزلته بين الامم الواعية ، ويظهروا المستعمر على حقيقته وانه لايقل عظمة ومقدرة عن المستعمر • فهو ابن العرب الذين شادوا الامبراطورية العادلة المتسامحة، ومن الشعراء الذين شاركوا في هذا النضال ابو المحاسن وقد كان وزيرا فاستقال بسبب المعاهدة(٢) ومن شعره الذي يفخر فيه بالعرب قوله :

بقومي اسمو راقيا شرف العلا ... واسطو بهم يوم الوغى واصول
هم القوم اما عزّهم فمشيد ... تليد واما مجدهم فأثيل

وليزيد الثقة في النفوس يعرج في القصيدة الى شمائل العرب الكريمة وسجاياهم السمحاء فيقول :

شمائل كالروض الأريض تضوعت ... بطيب شذاه شمأل وقبول
كرام يقبلون العثار وللردى ... بظل عواليهم ذرى ومقيل
لهم جبل راسي الجوانح راسخ ... وظل لمن يأوى اليه ظليل
فلا العهد منقوص ولا الوعد مخلف ... ولا الجار مخفور الذمام ذليل

ولرغبته في التأكيد على اعادة الثقة بالنفس فضل العرب على غيرهم من الامم وقد برر هذا التفضيل بعلمهم واحسانهم وعدلهم وحضارتهم فقال :

يا ناطقا بالضاد ما لفضيلة ... معنى يتم بغير حرف الضاد
أوليس عصر النور من آثارهم ... قبست لواضع نوره الوقاد
والعلم من ثمرات غرسهم الذي ... عمّ الورى بفواضل واياد
والعدل والاحسان من حسناتهم ... وهي التي جلّت عن التعداد
وعلى مبادينا الحضارة اسست ... ايام ليست غيرهن ايادى

ولا يكتفي الشاعر بالماضى المجيد والحضارة العربية الشامخة وفضائلهم الكريمة(٣) انما يلقي التبعة على الشعب العربي الذى يعيش ويقول صراحة ان

---

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ ج٢
(٣) جريدة المفيد العدد ٢١٥ السنة الثانية ١٩٢٤

ارادة الشعب هي التي تغير فساد الاوضاع وليس هناك غير ارادته الحديدية من مغير حينما قال :

سر أيها الشعب سيرا | الى العلا غير هائب
فسيف عزمك ماض | ونهج حقك لاحب
ارادة الشعب أقوى | عزا وامنع جانب
ما غولب الشعب يوما | الا وذا الشعب غالب(٤)

ولم يتخلف معروف الرصافي عن هذا المضمار فقد ألقى قصيدة في احدى حفلات المدارس هز فيها مشاعر العراقيين وذكرّهم بماضي العرب المجيد ، وما قدموه للعالم من حضارة ، عندما كانوا متحدين اقوياء ، وطلب من ابنائهم انّ يقتفوا اثر الآباء الكرام لان الحياة الكريمة الشريفة لاينالها غير المناضلين المجاهدين الاباة ، اما الخاملون الذين لايحفظون تراث الآباء ولا يسيرون في الطريق التي ساروا فيه ، فاجدر بهم الموت والاهمال الدائم ، فقال يندد بهم لانهم لم يحفظوا هذا التراث قائلا :

وقد عهدوا لنا بتراث ملك | أضعنا في رعايته العهودا
وعاشوا سادة في كل أرض | وعشنا في مواطننا عبيدا(٥)

وشتان بين والد كان سيدا اينما حل ، وولد اضحى عبدا مستضعفا مسترقا

---

(٤) المفيدالعدد٤٧ السنةالاولى١٩٢٢ وله قصيدة في العدد ٨٨من السنة نفسها وللشاعر مشاركة في جريدة المفيد يستفيد منها الباحث ليطلع على ادبه ولاحظ العدد ١٧٤ من جريدة لسان العرب السنة الاولى ١٩٢٢ فقد نشرت له قصيدة في افتتاحية الجريدة وهناك قصائد اخرى ، فله قصيدة في العدد ٤٢ من السنة الاولى من جريدة المفيد يتحدث فيها عن الشعب وعن الوحدة العربية وحوادث سوريا والعدد ٨٨ ولعبدالرحمن البناء قصيدة في العدد ٩٠ من الجريدة نفسها وله قصيدة اخرى في العدد ٩٢٤/٢/٢٥٣ وقصيدة لمهدي صالح العدد ١٩٢٨/١/١٦٥ ولاحمد حقي الحلي قصيدتان في جريدة النهضة العراقية .

(٥) جريدة العراق ٩٢١/١/٣١٢ ونشرت في الديوان ص ٣٤ ولاحظ ص ٦٣ من الديوان

في عقر داره ، يحكمه المستعمر ويذله ، فما سبب استرقاق العرب في اوطانهم ؟!

يشرح الشعراء هذه الفكرة ويعزي ضعف العراقي الى تخاذله ، والى قوة المستعمر • وقد سرت هذه الفكرة بين الادباء والصحافيين فهذه جريدة الزمان تكتب في مقال افتتاحي لها تحت عنوان (استضعفونا فاهرقوا دماءنا ـ بريطانيا مسؤولة عن هذا الضعف) ثم شرحت في المقال ما اصاب العراق من تأخر تحت نير الاستعمار البريطاني وقالت انها السبب الاول في هذا التأخر فلم تصنع شيئا في سبيل تقدمه ورقيه[٦] واخذت الجرائد عامة تندد بالانتداب الذي وقف حائلا دون اماني الشعب ولن تتطهر ارض العراق الا اذا بذل ابناؤها ارواحهم رخيصة في سبيلها وما الحياة سوى تنازع على البقاء ، فقد قال هبة الدين الشهرستاني :

ليس الحياة سوى مجال تنازع ... في العيش والاقوى هو المنصور[٧]

وقد ساعد الشعر الوطني على بث روح الحماس في النفوس ودعا الى النضال والكفاح وعدم مهادنة المحتل ومسامحته ، لان التسامح معناه الرضا بالذل الذي حاق بالبلاد واورثها الاحزان والآلام ، ولن يدفع المستعمر عن حمى الوطن غير لمّ الشمل والقوة والثبات لان ضعف الشعب اغرى المحتل وقال العبيدي مؤيدا هذا الرأي :

أترى يبلغ المرام ضعيف ؟! ... انما يبلغ القوي المراما
واتحاد القلوب افضل قوس ... حين ترمي ايدي الكماة السهاما

ويعجب للشعب كيف يحتمل الذل والهوان وهو المعروف بصلابته في سبيل حقه فقال :

---

(٦) الزمان ٢٧/١/٩٢٨ لاحظ جريدة العاصمة العدد ١٠٨ السنة الاولى ١٩٢٣ المقال الافتتاحي (اعتماد الشعوب على نفسها) وغير ذلك من اعدادها و (المفيد) وكثيرا من الجرائد التي كانت تصدر في هذه الفترة

(٧) جريدة العاصمة ١٩٩ في ٤ تموز ١٩٢٣ ولاحظ قصيدة حافظ جميل في جريدة الاستقلال العدد ١٦١/٣/٩٢٣ وقصيدة حمزة قفطان في مجلة اليقين ١٨/١/١٩٢٣ ٠

ما عهدنا العراق يحمل ذلا ويحابي نذلا ويحوى طغاما
ان ضعف النفوس اطمع فيه طالما الضعف اطمع الظلاما
واذا لنت للئيم تولى واذا ما غمزته ما استقاما(٨)

واذا اراد الشعب ان يتحرر فعليه ان يأخذ حريته بقوته ، لان المستعمر اذا ما اعطاك حريتك فسوف يمن بها عليك فعلى العراقيين ان يأخذوا الحرية اقتسارا من المستعمرين ، فقال البصير :

انا يا رفاقي لا أريد سلامتي فتذكروني ان هلكت رفاقي
ان لم تعش نفسي العزيزة حرة فلأسعين بها الى الازهاق
لاجاهرن بما تجن ضمائري وليكثرن وسائل الارهاق
هب ان رحمة آسرى ستكفني أولست احمل منة الاطلاق
فاشق من اسري علي بان ارى يد آسري يوما تحل وثاقي(٩)

والى جانب الدعوة الى محاربة المستعمر ، كانت دعوات الى المهادنة والى التسامح مع المحتل ، فوقف محمد باقر الحلي يرد على هؤلاء المهادنين ويسخر منهم في حفلة عودة بعض المنفيين السياسيين فقال :

قالوا لنا اعتدلوا في نهجكم افلا قالوا انصفوا وحقوق الشعب تغتصب
ما الاعتدال تجاه الاعتداء سوى جبن ، يحسنه للقائل الرهب(١٠)

وبعد ان صادقت الحكومة على المعاهدة في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ . تركت أمر ابرامها للمجلس التأسيسي فقد كانت تشعر بعظم المسؤولية ووطأة هذه المعاهدة على الشعب وقد أيد هذه الرغبة المعتمد السامي البريطاني فقد اراد

---

(٨) جريدة البلاد العدد الصادر في ١٣ كانون الاول ١٩٢٩
(٩) جريدة شط العرب ١٩٢٤/١/١٤ وقد ورد البيت الاخير في (حقيقة الزهاوى) بغداد ١٩٤٧ ص١٠٩
فاشق من ويلات اسرى ان ارى يد آسري يوما تفك وثاقي
ولاحظ قصيدة عبدالقادر الزهاوي في جريدة الامل العدد ٩٢٣/١/٢١
وقصيدة الجواهري في الفلاح العدد ٨/٢٣ ايلول/٩٢١
(١٠) الفلاح العدد الاول ٥/٧ تموز ٩٢١ بمناسبة عودة السيد نورالسيدعلوان

اضفاء صبغة شرعية على المعاهدة وقد نص في المعاهدة على وجوب مصادقة المجلس التأسيسي عليها .

بدأت الجهود تبذل لتحول دون تصديق هذه المعاهدة واول عمل قام به الوطنيون ، هو مقاطعة الانتخابات للمجلس التأسيسي ، ولكن الحكومة حاربت الذين سعوا في مقاطعة الانتخابات لتقضي على حركة المقاومة ، لكنها لم تفلح،فقد انضم رجال الدين الى المقاطعة وافتوا بتحريم الانتخابات(١١) حتى يحولوا دون انتخاب مجلس يلزمهم بمعاهدة حورت عن صك الانتداب ، ثم ان السلطات الاستعمارية لم تكن واضحة المقاصد ازاء العراق،ففي الوقت الذى تنادي فيه بالحرية والاستقلال ، والدعوة لتكوين حكومة وطنية دستورية ، تغلق الاحزاب وتعطل الصحف ، وتنفي ابناء الوطن لانهم يشتغلون من اجل حريتهم واستقلالهم(١٢) تفعل كل ذلك دون اي ضمان او حتى ايضاح لاعمالها ، ولو ارادت ان تعطي الضمانات والوعود ، ففي تجارب العراقيين مايمنعهم من تصديق هذه الوعود والضمانات ، لذلك تعرقلت الانتخابات وتعثرت طويلا ، وقد شعر نفر من ابناء البلاد بان الانتخابات سوف تتم ، والانتخابات فرصة لادخال بعض العناصر المناوئة للاستعمار ، ووجودهم داخل المجلس التأسيسي يؤثر اكثر من وجودهم خارج المجلس لصفتهم الشرعية ، وتأثيرهم المباشر على المعاهدة لتعديل بنودها لصالح العراق ، الذى قد يضمن استقلال العراق ويؤدي الى تفاهم مع بريطانيا ، ويضمن مصالحها في الشرق الادنى ، وقد اطمع دخول بريطانيا مع العراق في معاهدة بعض الوطنيين فظنوه اصبح ندا لها ، فخدعت بريطانيا جماعة من الوطنيين الذين

---

(١١) اصدر رجال الدين فتوى بتحريم الانتخابات قالوا فيها (قد حكمنا بحرمة الانتخابات وان الداخل فيها محارب للهورسوله وللائمةالطاهرين ـص ـ ٠٠) وقد زاد عليها الشيخ مهدي الخالصي (وان لايدفن في مقابر المسلمين٠٠) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص٢٨ ج٢

(١٢) جريدة العاصمة مقال بتوقيع (ع ٠ صميم) العدد ١٦٨ صدر في ٢٣ من ايار ١٩٢٣ ولاحظ اعمال المندوب السامي في (ذكرى فيصل الاول)لمحمد عبدالحسين ص ٥٤ (بغداد ١٩٣٣) والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ١٤ ج٢

اعتبروا المعاهدة تقدما محسوسا في العلاقات البريطانية[١٣] وفاتهم ان العـــراق لايزال مستعمرا وتعتبره عصبة الأمم تحت الانتداب البريطاني كمـــا ظن بعض المتفائلين بالانتخابات ان رفض المعاهدة من مجلس عراقي بصورة رسمية سيزيد من القوى المعنوية للشعب داخل العراق وخارج العراق فيجب ان تدخل عناصر وطنية مهمة في المجلس التأسيسي لتقف في وجه المعاهدة لتحقيق بعض مصالـــح البلاد • فكان انقساما في الرأي اعطى القوة للمستعمر فضرب المعارضين وقاومهم بعنف ، واجرى الانتخابات تحت سيطرته وارادته •• لكن الحكومة فقدت ثقة الشعب منذ اول يوم من ايام الانتخابات ••

ولم تعد له هذه الثقة بأي انتخابات جرت بعد ذلك • فشلت الخطوة الاولى من مقاطعة الانتخابات غير ان الوطنيين لم يفشلوا من محاولة اخرى هي الوقوف امام المعاهدة حتى يتم تصديقها من قبل المجلس التأسيسي لاستبدال صك الانتداب بمعاهدة جرت البلاد الى الويلات والمصائب • قالت جريدة الاستقلال في مقـال افتتاحي لها (اننا نريد ان يكون الميدان الذى ستدخلنا اياه المعاهدة ميدان ســلم دائم • لاساحة عراك تعكر ود الدولتين المتعاهدتين ، ميدان استقلال تام لاتشوبه شائبة الوصاية • وصرح حرية مطلقة لايقيدها غلّ الانتداب • وبكلمة واحـدة اننا نريد ان يكون ذلك الميدان ميدان استقلال ناجز لاسوق نخاسين ، ســوق تمضي فيه امة باسرها صك رقها وعبوديتها ••)[١٤]

وكانت الجريدة واضحة كل الوضوح فقد عبرت عن اهداف الوطنيـــين ووضعت الخطوط العريضة لاهدافهم فقالت : هذا هو الميدان الذى نـــريد ان تدخلنا اياه المعاهدة وذلك ما تريده الامة باجمعها واننا نرجو ان يضعه المتعاقدون نصب اعينهم وان يتذكروا عند بحثهم في كل مادة من مواد المعاهدة ••)

---

(١٣) لاحظ جريدة العاصمة المقالين الافتتاحيين ١٦٨و١٦٩ السنة الاولى ١٩٢٣

(١٤) جريدة الاستقلال العدد ٥٣ السنة ١٩٢٢ والعدد ٤٠٦ السنة الرابعـــة لاحظ مقالين لياسين الهاشمي وامين الزهاوي وقد كان سلمان الشـــيخ داود من المؤيدين للمعاهدة لاحظ مقاله المنشور في جريدة العراق في الخامس في نيسان ١٩٢٤

كان المستعمر يبذل جهدا كبيرا في امرار المعاهدة وقد شنّ حملة لتأييد هذا التصديق بيد ان الشعب كان يقظا ، فان رجال الفكر كانوا للمستعمر بالمرصاد. فكانوا يعقدون الاجتماعات لبحث نصوص المعاهدة ، وايضاح الاضرار التي تعود على البلاد من جرائها ، وكان المجلس التأسيسي يتأثر بالرأي العام الخارجي الطامح بالحرية والاستقلال ، وبالرغم مما بذله المستعمر من جهود تارة بالقسوة وطورا باللين لم يقدر على ان يغير وجهة نظر الشعب .

وكان من جراء هذا الوعي ان تجمهر الشعب حول بناية البرلمان واغلقت الحوانيت حتى اضطرت السلطات الى اطلاق النار لفض هذه المظاهرة .. ولئن فضت على المظاهرة وتفرق شمل الشعب فقد تركت وراءها اثرا كبيرا وفي نفوس ابناء الشعب عزما متوقدا .(١٥)

(١٥) يلاحظ في جريدة العراق ١٣٢٤/٤/١٩٢٤ بلاغ وزارة الداخلية وبيان رئيس المجلس التأسيسي وفي اعدادها لهذا الشهر ذكر لما حدث في العراق من جراء الانتخابات .

الشعر والمعاهدات والساسة

ـ ٣ ـ

جنّد الاستعمار الانكليزي كل قواه المادية والمعنوية وبذل مجهودا جبارا في سبيل تصديق المعاهدة الاولى ، والمعاهدات التي تلتها ، ليوهم الرأي العام العالمي بأن المعاهدة وقعت من هيئة منتخبة لها صفتها الشرعية ، ولكن الشعب كان يقظا وكانت طلائع النهضة الفكرية متوقدة ، تنير لهم السبيل الى الحرية والاستقلال والامن والرخاء • وقد اتخذ الزعماء طرقا شتى ليحولوا دون وضع طوق المعاهدة في عنق الشعب ، وكان الشعراء أشد الناس احساسا ، واسرعهم تلبية للواجب المقدس ، فقد شعروا شعورا صادقا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم ، وصار هذا الواجب جزءا من حياة الشاعر وتفكيره ، فكان يحذر النواب مرة من المصير المحتم الذى سيلاقونه متى غضب الشعب عليهم وسحب ثقته ورضاه منهم ، وتارة يسخر من المعاهدة التي تعطى العراق مظاهر الاستقلال الجوفاء ، وآونة يسخر من الوزراء والحكومة التى جاءت في اثر المعاهدة • والحق ان هذه الفترة كانت من اخصب فترات الشعر السياسي ، ومن الوسائل التي التجأ اليها الشاعر تهديد نائب المجلس التأسيسي متى صادق على قيود الاستعمار بغضب الشعب وعقابه وانه لن يرحم نوابا جروه الى الذل والهوان ، ولن يرأف ساعة الحساب بمن اذلوه ، فقال عبدالرحمن البناء :

يا ايها النائب المنـــدوب عن امم ... القت اليـه مقاليـــد التدابـير
احذر مناقشة الشعب الحساب غدا ... من دون عذر واشفاق وتوفـير

يوما به الشعب يبدي الغيظ من اسف هناك تقرع فيه سنّ مأســـور
ان الصدور براكين اذا انفجرت في الارض تنسف فيها كل معمور(١)

وقد كانت حملات الوطنين متواصلة ألهبت صدر الشعب عامة ، فسرت روح الحماس الى داخل المجلس التأسيسي ، بعد ان ظن الحاكمون بأن الاكثرية الساحقة من الاعضاء بجانبهم وفي جانب المعاهدة ، وفي المصادقة عليها يكسبـــون حقا شرعيا في البقاء على أرض العراق • واوهمهم بذلك تلك الجهود التي بذلت في التمهيد للانتخابات ودخول بعض العناصر الاقطاعية ورؤساء العشائر ، ومـــن الموالين لهم ، لكن الهاب الرأي العام من قبل قوى المعارضة الوطنيـــة الثـــائرة فوت عليهم ماكانوا يعتقدون ، فقد اخذت ساعة التوقيع على المعاهدة تتأخر يوما بعد يوم • حتى عيل صبر المندوب السامي السر هنري دوبس ولم تجد جميـــع المحاولات السلمية التي بذلت من وراء الستار فتيلا • فأخذ المندوب السامي يضغط بصراحة على المسؤولين ويأمر بوجوب التصديق على المعاهدة ، وبلغت به الجرأة ان عين يوم ابرامها(٢) والا فسيعلن الحكم المباشر في البلاد ، ولما اجل المجلس البت فيها الى يوم تال ، هاله الامر ، وذهب الى الملك فيصل وطلب دعوة المجلس ليلا ، لان التأجيل معناه رفض المعاهدة • وقد دعي المجلس ليلا فلم يحضـــر الاجتماع سوى ٦٨ نائبا من ١٠٠ نائب وقبيل منتصف الليل تم التصديق عـــلى المعاهدة(٣) فتحول الانتداب الى معاهدة •

وقد ظن الاستعمار بأنه سيخدع العراقيين بتحويره صك الانتـــداب الى معاهدة وسيرضي العراقيين بثوب الانتداب الجديد بيد ان الخيبة شملت حتـــى

---

(١) جريدة الاستقلال العدد ٤١٣/٤/١٩٢٤ • ولاحظ قصيدتي حمـــزة قفطان في العدد ٣٩٧ ومحمد خليل من العمارة في العدد ٤٠١ من الســـنة نفسها •

(٢) عين المندوب السامي اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٢٤ لابـــرام المعـــاهدة

(٣) وافق ٣٧ وخالف ٢٤ وامتنع عن التصويت ٨ وكان الغائبـــون ٣١ ــ مذكرات المجلس التأسيسي ص ٤٣٩ ــ ٤٣٥

الملك فيصل الذي سعى سعيا متواصلا في عقد المعاهدة فرأى بأم عينيه كيف ضاع استقلال العراق[٤] • وناء الشعب بقيود المعاهدة وزاد الالم في النفوس ظهور مشكلة الموصل التي انتهت بضمها الى العراق على شرط تمديد أجل المعاهدة الى خمس وعشرين سنة[٥] • وقد مددت المعاهدة فعلا • فلم يكن امام العراقيين غير استئناف النضال الجديد[٦] •

اعطت المعاهدة الجديدة الحكم للعراق ليؤلف حكومة وطنية لها ملك ودستور وبرلمان •• اعطته كل مظاهر الحكم الديمقراطي ولكن كانت هذه المظاهر معطلة عن العمل الفعلي لان السلطات البريطانية هي الحاكمة حسب نصوص المعاهدة الاخرى ، التي نصت على وجوب الاستشارة التامة وهذا تدخل صريح في سيادة العراق الوطنية الذي قوبل بالسخرية اللاذعة من قبل الشعراء •

كان الشعراء ينظرون الى الوضع العام العراقي والالم يهصر قلوبهم ونفوسهم فيظهر عليهم طابع الالم ظاهرا • ويبدو تارة بشكل سخرية لاذعة من الحكومة ووزرائها ونوابها ، وطورا يظهر مشوبا بالرثاء لهؤلاء الذين جعلوا من أنفسهم ممثلين على مسرح السياسة ، واصبح المستشار الانكليزي فيها المخرج والملقن ، وآونة نجد الشاعر متألما جادا يحاول معالجة الامور برزانة وتعقل ويدفع الشعب الى نبذ هذه المظاهر البراقة الكاذبة التي تعطي الاستعمار السيطرة الفعلية وقد كان الرصافي سباقا الى تسجيل مظاهر هذا النضال ورسم صورة خالدة للتاريخ في العراق فوقف ساخرا وقال :

---

(٤) تحرر العراق من الانتداب ـ مجيد خدوري ص٥ بغداد ١٩٣٥

(٥) لاحظ ماقيل من الشعر في جريدة الاستقلال الاعداد ٢٥ و٢٩١ السنة الرابعة و٥٧٦ و٥٥٧ السنة الخامسة و١٣١٠ السنة الثامنة • وقد كتب الدكتور فاضل حسين رسالة عن (مشكلة الموصل) طبعت في بغداد ١٩٥٥ تعتبر خير ماكتب عن المشكلة •

(٦) ماكانت بريطانيا تريد انهاء الانتداب عن العراق فكان من جراء ذلك الصدام الذي ادى الى رفض معاهدة ١٩٢٧ والتي وضعت بعد معاهدة ١٩٢٦ فانضمت بموجبها الموصل الى العراق •
لاحظ (مشكلة الموصل) الفصل السادس ١٧٦ و٢٣٧

هذي حكومتنا وكل شموخها كذب ، وكل صنيعها متكلف
غشت مظاهرها وموّه وجها فجميع ما فيها بهارج زيف
وجهان فيها باطن متستر للاجنبي وظاهر متكشف

ويعدد هذه المظاهر الخلابة الكاذبة التي حاول الاستعمار ان يخدع بها العراقيين فقال :

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى ألفاظها اما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم انه وفقا لصك الانتداب مصنّف
من ينظر العلم المرفرف يلفه في عز غير بني البلاد يرفرف
من يأتِ مجلسنا يصدق انه لمراد غير الناخبين مؤلف
من يأتِ مطرد الوزارة يلفها بقيود اهل الاستشارة ترسف(٧)

والقصيدة من غرر الشعر السياسي واصدق مسجل للعهد الذي نظمت فيه • ولم يكتف الرصافي برسم صوره ، وتسجيل حوادثه انما كان يحس بالواجب الملقي على عاتقه في محاربة هذا الدخيل ، وهزّ حمية المواطنين ويصف الواقع عاريا امام الوزراء ليعرفوا موقفهم وعملهم في هذه الدولة • فهم دمى يحركها المستعمر لاية وجهة يريدها ، ليست لهم سيطرة على وزاراتهم،يستمدون الصولة والسطوة كالآلات الصماء • لذلك خوفهم الرصافي من الاجنبي ومن المصير الاسود الحالك الذي ينتظرهم عندما يثور الشعب عليهم فستكون ثورته عارمة ان تبقي للمستعمرين والمتحكمين بقية ، لان الشعب هو الحاكم الوحيد الذى له السلطان الفعلي على نفسه • وان استكان هذا الشعب فله يوم آخر يأخذ فيه استقلاله لانه شعب عربي شريف ابيّ لم يرض بالاستعمار والذل ولن يرضى بالمستعمرين واذنابهم ولن يتخلف عن سوح الشرف والجهاد فقال :

---

(٧) ديوان الرصافي ص ٤٥٣

ان دام هــذا في البــلاد فانه ... بدوامه لســـيوفنا مسترعف
لابد من يوم يطول عليكـــم ... فيه الحساب ، كما يطول الموقف
فهنا لكم لم يغـــن شيئا عنكـــم ... لسن تقول ، ولا عيون تـــذرف
واذا دعــا داعي البلاد الى الوغى ... أتظـــن أن هناك من يتخــــلف
أيذل قوم ناهضـــون وعندهــم ... شرف يعزّز جانبيــــه المرهف
كم من نواصٍ للعدا سنجزهـــا ... ولحى بايدي الثـــائرين ستنتف

وتبدو سخرية العبيدي في المتناقضات الموجودة في نظـــام الحكم مـــع بعضها . فالبلد مستعمر سيطرت عليه الفوضى يئن تحت الاستعمار ، متأخـــر ، ولكنهم يدعون بانه مستقل ذو سيادة يسوده النظام والحرية والاستقلال ، ولكن هذا السيد الحر يقسر على عقد معاهدة لاستعباده . فقال :

نحن في معجم السياسة شـــعب ... رب ملكٍ وما ملكنا حطـــاما
نحن في معجم السياسة شـــعب ... ذو نظـــام وما رســـينا نظـاما
نحن في معجم السياســـة أحرا ... ر ، ولكنـــا قاصرين يتـــامى
فاذا الشعب كان غير رشـــيدٍ ... كيف يدعـــى لعقـــد عهد لزاما

وتبدو ثورة العبيدي واضحة عندما يرى القيود التي كبلت شعبه وأذلته ، فما استطاع المقاومة المسلحة ، ثم تحولت هذه الثورة الى آلام تنخر في النفوس وظهرت شعرا يطفح بالتهكم المرير على الحليفة التي تقيد حليفتها لتستديم صداقتها وحلفها لدولة صغيرة ولشعب متوثب يريد الانطلاق والحرية .. أهذه هـــي الصداقة بين ندين متحالفين ام انها سيطرة الذئب الشرس الذي يدس الســـم بالعسل !؟

خففي ايها الحليفـــة عنا ... ... من قيـــود أصبحن عارا وذامـــا
اثقلت كاهلا وادمت قلـــوبا ... وأذلت من النفـــوس كرامـــا
كلما فكـــر العـــراقي فيهـــا ... لعن الـــدار والحمـــى والمقامـــا
طلبت عسجدا ودفت صـــديدا ... وأديفت ســـما وصبت مداما[٨]

---

(٨) جريدة البلاد العدد الصادر في ١٣ كانون الاول ١٩٢٩

اضفت المشاكل السياسية على الجو الشعبي العام جوا من الحزن واليأس والكآبة ، وران على العراقي التشاؤم فطفح الادب بالالم والنقمة والثورة • فقد وجد العراقيون انفسهم تحت نظام من الحكم جديد • فقد كانوا خلال فترة الاحتلال والانتداب يحاربون الانكليز وجها لوجه ، اما اليوم فقد وجدوا الحكم الانكليزي قد تقنع بقناع عراقي • فحال بينهم وبين العدو الاصلي •

بقي الناس في حيرة وقلق واضطراب نفسي كان من جرائه الاضطراب في المثل وظهور طبقة النهازين الذين لايردعهم رادع من وطن او خلق ، همهم الاستفادة على حساب الشعب وحساب المستعمر وحساب اخوانهم الذين تركوا في ساحة الشرف والنضال • ألم يكن قسم كبير من هؤلاء يناضلون مع المناضلين ولكنهم هادنوا المستعمر راضين بالمظاهر الكاذبة والوظائف الموهومة ، وبذلك وضعوا سلاحهم وانثنوا عن الكفاح ؟ وياليتهم وقفوا عند هذا الحد بل اصبحوا شوكة في قلوب المناضلين يردونهم عن الاستقلال ويدافعونهم عن الحرية ويضعفون معنوية الشعب • ففتوا في عضد القضية المشتركة التي مات من اجلها الشهداء ، ونفي الاحرار وسجن الابطال وشرد من شرد وشنق من شنق •• ان تغليب المصلحة الفردية على مصلحة المجموع كان خداعا وخيانة ورياء ، لم يكن يتوقعه المخلصون • ولئن رضيت هذه القلة بالمجد الزائل والجاه الكاذب الموقت ونسيت مصالح شعبها فان ابناء الوطن المخلصين اكثر من هؤلاء المنشقين المارقين• فقد واصلوا الكفاح لنيل قسط من الاستقلال والحرية ، واعتبروا هؤلاء المنشقين جزءا من المستعمرين يجب أن يحاربوا مثلهم ويصب عليهم سوط العذاب فلئن غلبهم الانكليز على بعض اخوانهم بالقوة مرة ، وبالرشوة تارة ، وبالحيلة طورا ، وبضمان مصالح الاقطاعيين ورؤساء العشائر ، فان حقل الوطن واسع وميدان الجهاد حافل بالمخلصين • وكان من جراء خذل هؤلاء ازدياد الرغبة في استخلاص حقوق الشعب من الدخيل المستعمر •

وقد تجلى ذلك واضحا في الشعر العربي ، فوصف حال الشعب وصفا دقيقا صادقا بعيدا عن بهارج الكلام وزخرف القول وتجلت الصورة بعيدة عن

روح التعقيد اللفظي ، ومحاكاة القصائد القديمة ، اذ لم يجد الشعراء في نفوسهم مجالاً حيوياً يتجلوب واحاسيسهم الجديدة التي تحيط بهم وتهددهم في كرامتهم وعزتهم .. فكان الالم عميقا حارا والشعور دافقا فياضا .. بعد ان وجد الشاعر نفسه جزءا من المجموع تواجهه نفس المشاكل التي تواجه الشعب بأجمعه ،فرأى في نفسه الشعب والشعب في نفسه ، فأخذ يصرخ متحديا قوى الانتداب واذنابه من بني جلدته مطالبا بالاصلاح ثائرا على تدهور الحال محتجا على ما وصلت اليه بلاده . ومتى اتفقت مصالح الشاعر مع مصالح الشعب ومتى شعر الشاعر بشعور الشعب وعكس مصالحه فقد سار في طريقه الذى يريده الشعب وفاز بالمجد والشهرة والتمجيد والخلود . لذلك لم يكن الشعراء يريدون ابراز صورة فنية من صور الاحتلال وموالاة اخوانهم للاستعمار لتعجب الناقد فيستحسن جمال الخيال فيها ، ورقة الاسلوب ، وعذوبة البيان ، ورصانة العبارة ، انما كانوا يحاولون ابراز مشكلات الوطن السياسية والاجتماعية ، باسلوب سهل . ليرسل الشاعر اشعاعا من روحه ، وصرخة من قلبه ليوقظ الشعب الذى لايزال يعيش في الديجور . ففاضت قصائد العصر بالحماس ، واضطرمت بالثورة ، تصب في قوالب رائعة ، واهم الكلمات التي ظهرت في الشعر هي : الاستشارة،المستشار، الانتداب ، الدخيل ، الغربي ، الحرية ، الاستقلال التام ، الكفاح ، النضال ، السيادة ، الاجنبي ، كرسي الوزارة ، النواب ، المجلس وغير ذلك من الكلمات التي جاءت مع تشكيل الحكم في العراق .

وهناك ظاهرة جديرة بالتسجيل هي بروز عدد كبير من الشعراء في حقل النضال السياسي في هذه الفترة . وهذه الظاهرة تدل على رهافة الشعور العربي في العراق واعجاب العراقيين بالشعر اكثر من اعجابهم بالنثر . وقد همدت حماس هؤلاء الشعراء لما انتهت هذه الفترة . فاذا تصفحنا جرائد هذه الفترة نراها طافحة بالشعر القومي السياسي (٩) وان اختلف الشعراء في التعبير بالنسبة

(٩) لاحظ من جرائد هذه الفترة ومجلاتها : النجف ، المنبر العام ، العراق ، الاخلاق ، الزمان ، النهضة العراقية ، بغداد ، الحيرة ، النور ، بطائح العراق ، البلاد ، صدى الاستقلال ، الطرائف المصورة ، الجهاد ، نداء الشعب ، المستقبل ، وصدى الوطن .

لثقافة الشاعر ومدى استيعابه للتجربة الشعرية ، والظاهرة الثانية هي طغيان السياسة على كل شيء في حياة الشعب ، فقد اعطيت للحياة السياسية الاهمية الأولى فوق قضاياه الاقتصادية والاجتماعية والعلمية •

وظاهرة ثالثة جديرة بالتسجيل ان الحكومة الانكليزية قد منحت من الحرية ما امكن بها للعراقيين ان يعبروا عن رغباتهم تعبيرا صادقا لم نعهده وياللاسف الشديد في ادوار الحكومات العراقية المتتابعة بعد معاهدة ١٩٣٠ ، وقد كانت هذه الحرية في ظل الاحتلال والانتداب اوسع مجالا من الحرية في ظل الحكم الذى شارك فيه العراقيون الاجنبي الا اذا استثنيت فترات صغيرة تسلم فيها الحكم جماعة من ابناء الشعب وارادوه ان يعبر عن رغباته ، ولكن سرعان ما نكبت حرية الشعب ويساق الاحرار الى السجون باتهامات هو بريء منها • واروني شخصا كتب في جريدة عشر معشار ما كتب في فترة الاحتلال في حاكم من حكام العراق ولم يؤذ في رزقه وجسمه وابنائه وذويه • لذلك كانت تضحيات الادباء كبيرة ، ضحوا في سعادتهم وراحتهم وارواحهم في سبيل مثلهم العليا بكل اطمئنان دون ان يمنوا على الشعب ومن هؤلاء كان شاعرنا معروف عبدالغني الرصافي الذى قال ساخرا :

تجوز سيادة الهندي فينا ... وأما ابن البلاد فلا يسود
اذن فالهند أشرف من بلادي ... وأشرف من بني قومي الهنود
فكم عند الحكومة من رجال ... تراهم سادة وهم عبيد
كلاب للاجانب هم ولكن ... على ابناء جلدتهم أسود
وليس الانكليز بمنقذينا ... وان كتبت لنا منهم عهود(١٠)

انه القول الفصل بان الاستعمار لن يخرج من بلادنا ، وان كتب العهود اذا لم يطرده ابناء الشعب لانه متنعم بالخيرات رافل بالنعيم ، وتارك ابناء البلاد في جوع ، وعري ، وفقر ، الا اولئك الذين اتخذوا من انفسهم دمى يحركها كما يشاء • قال محمود الملاح :

---

(١٠) ديوان الرصافي ٤٥٢

بلاد غريب الـدار فيها منعـم ... ولكن على أهل البـلاد مقـابر
وتحكم فيهـا الهند والهند اعبـد ... فلو لطمت منـا الجباه حرائـر
تماثيل من طـين تقـام خديعة ... ومن لم يصخ للطين فهو مكابر(١١)

الاستشارة والوزارة :

كانت احدى بلايا البلاد في هذه الفترة ، الحكم الاجنبي ، الـذي ألبس وجها وطنيا • فالمظاهر تدل على وجود حكم وطني ولكن الواقع ان الاجنبي هـو الذي كان يحرك دفة الامور بوساطة المستشارين الذين دسهم في ارجاء هـذا الحكم • لذلك لم يكن للوزراء او النواب او جميع المواطنين من رأي انما هـم آلات في الدولة يحركها المستشارون فحيل دون الشعب وبين المستعمر بستـار وزارة عراقية لاتقدر ان تنفع البلاد مادام المستشارون لايريدون ذلك • فوجـه الشعراء اهتمامهم الى هؤلاء المستشارين ، وسخروا من الوزراء الذين تصرف لهم أمور البلاد ويحل قضاياهم الاجنبي • كانت سخرية الشعراء لاذعة وتهكمهم مريرا موجعا يطفح بالنقمة على هؤلاء الذين اصبحوا مطايا للستعمر ويمـوج بالسخط على السياسة البريطانية التى تعبث بمقدرات البلد وتزيد في تعقيد الامور فجعلت البلد عبدا تسخره كيفما تريد باسم هؤلاء الوزراء الذين صدقوا أنهـم الحاكمون فقال محمد باقر الشبيبي :

مما يزيد المشـكلات تعقـدا ... ان ليس ثمة من يحـل ويعقـد
قالوا استقلت في البلاد حكـومة ... فضحكت ان قالوا ولم يتأكـدوا
أحكومة والاستشـارة ربهـا ... وحكـومة فيها المشـاور يعبـد
الحكم حكمهم بغـير منازع ... والامـر مصـدره هـم والمورد
المستشـار هو الذي شرب الطلى ... فعلام يا هذا الـوزير تعـربد

وقد آلم وضع الوزراء واستخذاؤهم للسلطات الانكليزية معروف الرصافي والذين سكروا غرورا راضين باسم الوزارة دون ان يقدموا لهذا البلد خـيرا حتى خجلت كراسيهم من هذا الاستخذاء والغرور فقال يؤنبهم :

---

(١١) جريدة النهضة العراقية ٢٩٧/٢/٩٢٩

بالله يا وزراءنا ما بالكم ... ان نحن جادلناكم لم تنصفوا
وكأن واحدكم لفرط غروره ... ثمل تميل بجانبيه القرقف
افتقنعون من الحكومة باسمها ... ويفوتكم في الامر ان تتصرفوا
هذي كراسي الوزارة تحتكم ... كادت لفرط حيائها تتقصف
انتم عليها والاجانب فوقكم ... كل بسلطته عليكم مشرف
أيعد فخرا للوزير جلوسه ... فرحا على الكرسي وهو مكتف(١٢)

وزخر شعر الرصافي في هذه الفترة بتأنيب النواب والوزراء وجميع الذين تولوا السلطات العامة . وتأنيبه مشاب بالتهكم المرير الموجع فيصف الوزير كذيل حماره ليس له من سلطان ولا حول وانما هو صنم تشيع فيه الذلة والصغار فيقول :

ووزير ملحق كالذ ... يل في عجز الحماره
ذنب أصبح للحكم ... به اقبح شاره

ويذكر سبب تهكمه عليه لانه لاعمل له الا ان يقبض راتبه في نهاية الشهر .

فوزير القوم لا يعمل ... من غير اشاره
وهو لايملك امرا ... غير كرسي الوزاره
ياخذ الراتب إما ... بلغ الشهر سراره(١٣)

وقال الرصافي صراحة ان الوزراء جماعة من ابناء الشعب آثروا مصالح الاجنبي على مصالح ابناء الوطن ولا يستوزر الانكليز العراقي المخلص لانه سوف يعمل لصالح وطنه وبلده لذلك فان الوزراء مخلصون للمصالح البريطانية فقال :

---

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤٥٤

(١٣) ديوان الرصافي ص ٤٥٦ ، والسرار الظلام الذي لايظهر فيه القمر ويكون القمر في المحاق ، كناية عن نهاية الشهر لاحظ الديوان ص ٤٢٩ لقصيدته بمناسبة قدوم كراين سنة ١٩٢٩

ان الوزارة ـ لا ابالك ـ عندنا ثوب يفصل في معامل لندنا
لايرتديه سوى امرىء اضحى له طبعا ، وداد الانكليز مودينا[14]

ووقف محمود الملاح موقف الناصح الواعظ مبينا اثر المستشار في تعقيد أمور الشعب ، ويعزو قوة المستشار الى تخاذل ابناء الشعب باحزابهم ، ولو انهم وحدوا صفوفهم لطردوا المستعمر شر طردة . لكن النفع الذاتي وحب الكراسي اغريا بعض ابناء البلد فضحى في سبيلها بكل مصالح الشعب فقال :

الاستشارة قيد بين ارجلنا وكيف يمشي الفتى في حال تقييد
كم أمة دونها في الشرق قد نجحت ونحن معها بحال غير مودود
المستشار الذي تجلى به عقد لامن يجيء لمحلول بمعقود
وما التخاذل في الاحزاب غير يد يدسها طامع يسعى لتبديد
فوحدوا خطوكم يا قوم واعتقدوا ان النجاح محال دون توحيد
ان الكبير كبير النفس من صغرت في عينه خشب قامت بتسفيد
لاترغبوا في كراسي في نعومتها ففي النعومة شوك غير مخضود
تلك المقاعد كم غرت أخا ثقة كما تغر ثنايا الخرد الغيد
ان الكراسي انصاب مهندمة فيها تضحي بلاد باسم معبود[15]

وكثيرون الذين خانوا بلادهم في سبيل مطامعهم الفردية ، وجشعهم فاصبحوا دمى يحركها الاجنبي وهو يسخر منهم فقد تهالكوا على رضاه فارتموا تحت اقدامه معتبرين انفسهم جزءا من هذا الاجنبي الذى دخل بلادهم ولا تربطه بهم رابطة اللغة او الدين او العقيدة او التأريخ او الجنس غير الاستعمار واستغلال خيرات البلاد . فهم خدم لهذا المستعمر لايخجلون من خدمته ويتفاخرون بانهم من محاسيبه فقال

---

(١٤) ديوان الرصافي ص ٤٩٦ والطريف ان يلجأ الرصافي الى المثل العراقي المستهجن (الصيت للنورة والعمل للزرنيخ) فيطبقه على المستشار وعلى الوزير فيقول بتهكم لاذع :

الا ابلغوا عني الوزير مقالة له بينها لوكان يخجل توبيخ
اراك بحمام الوزارة نورة واما جناب المستشار فزرنيخ

(١٥) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٢٠ السنة الثانية ١٩٢٩

علي الخطيب ساخرا متهكما وسخر معه الشعب والتاريخ والامم الواعية المستقلة :

وللحليفـــة أعوان تؤازرهـــم   منا علينا وقد اضحـــوا لهم خدما
لاينكســون من النكراء هامتهم   فلا يرون بهـا بأســا ولا غمما

ومن اذل نفسه في سبيل مطامعه وغدا مطية للاجنبي يرى خيره في خيره ضمانا لمصلحته الفردية زاعما ان ذلك في سبيل الشعب ، وما هو الا دمية تؤدي ما يطلب اليها دون تفكير تنعم بالمظاهر من مال زائل وألقاب كاذبة :

والقابضون زمـام الامر اشـغلهم   عنا المطامع حتى جاوزوا النهمــا
مستسلمون ضعاف في مراكزهـــم   ماقدموا قدمـا او اخروا قـــدما
دمـــى تحركهـــا ايد مخبـــأة   فتضحك الشـعب والتاريخ والامما
ليهلك الشعب مادامت مناصبهـــم   مضمونة تقذف الالقابوالنعما[١٥ب]

وقد انفرد محمد مهدي البصير برأي بالنسبة للاكثرية الساحقة من الشعراء فهو لم يلق التبعة على الانكليز وحدهم او المستشارين من الانكليز انما القاها على كاهل الوزارة العراقية • فمن المفروض ان يكون الوزير مالكا زمام امور وزارته متصرفا بشؤونها قادرا على الهيمنة التامة وبذلك لن يكون للمستشارقيمة فيالوزارة ولن يتدخل في اموره ، والرأي خيالي لايمكن ان ينطبق على وزارة هذا العهد ، لامور منها ان الذين جاؤا الوزارة هم من ذوي المصالح المشتركة مع الانكليز او انهم بحاجة الى العون الاقتصادي او من الضعاف الذين خبرهم الانكليز وسبروا انفسهم ، اذ ليس من المعقول ان يأتي الانكليز بوزير قوي معارض لسياستهم ، ولكن البصير اراد ان يدفع الوزراء الى العمل ويخلق فيهم القوة والعزة والكرامة للمصاولة • فاذا اتفق هؤلاء الوزراء ـ وهذا خيال شاعر ـ فقد يأخذون الحكم بايديهم وسيعم الاصلاح العراق ، والبصير اخذ يرد على الذين يعترضون عليه بان المستشار سوف يضطرهم بقوته على الرضوخ الى اوامره ونواهيه ولكن لم يجد برهانا واجدا على وقوف الوزراء امام رغبات المستشار والحد من رغباته • والحقيقة ان المثل العامة قد تفسخت ، فلو اجمع ابناء البلد على مقاطعة الوظائف

(١٥ب)جريدة النهضة العراقية ٢/٣٠٤/٢/٩٢٩

وصمدوا امام التهديد والسجون والموت لما تمكن الانكليز من تطبيق خططهم الاستعمارية في استقلال العراق • ان اكثر العراقيين مسؤولون امام التاريخ في تشجيع المستعمر في التدخل في امور بلادهم وهم احرى باللوم واجدر بالتقريع ، لانهم لم يستأنفوا نضالهم وضعفت معنوياتهم ، مع نفع زائل ونعيم حائل فقد قال البصير من قصيدة القاها في يوم افتتاح الحزب الوطني ببغداد :

ما رسمنا للاستشارة حدا ... فلها العذر أن تجوز الحدودا
شغلت مركز القيادة منا ... اذ رضخنا لها فكنا جنودا
اتقولون انها اكرهتنا ... فعملنا ما لانراه سديدا
شكر الله سعيكم ـ خبروني ... كم بذلتم في كبحها مجهودا[١٦]

وقد عكست الجرائد العراقية الحيرة والوجوم اللذين هيمنا على ربوع العراق من الوضع الشاذ في هذه الدولة الجديدة المستقلة وذات السيادة والتي لها برلمان ولكن لايمكن لابنائها ان يديروا دفة الامور فيها • مع ان الوزراء مسؤولون امام البرلمان • فهم لايصدرون امرا الا بموافقة المستشارين وقد قالت جريدة الزمان بصراحة ان البلاد مستعمرة وجاءت بالدليل بقولها (•• يقولون ان البلاد مستقلة وان شؤونها انما تديرها حكومة وطنية •• والله يعلم ان البلاد مستعمرة لا مستقلة ، وكيف لاتكون كذلك وهذه جنود الانكليز فيها وهذي طياراتهم مجلقة في سماء العراق صباح مساء •• وكيف تكون مستقلة ، وكلمة الانكليز هي العليا في الصغيرة والكبيرة ••) وتفند الجريدة المزاعم الانكليزية بقولها (•• ومن الخطل في الرأي ان نستمر على التغرير بانفسنا فنزعم محالفة الانكليز لنا انما هي مستندة الى الاخلاص المتبادل ، فالمعروف الذى لايمكن تجاهله ان القوي اذا حالف ضعيفا فهو انما يسعى الى مغنم يلبسه ثوب الحق وينفي عنه تهمة الغصب والاعتداء ، وبغير ذلك لايمكن تعليل هذه ••• ولو بحثنا الحالات المتعددة التي سلمت فيها الوزارة العراقية •• لوجدنا ان اساس التسليم للانكليز في هذه البلاد انما يرتكز على الافراط في الحذر لئلا يصطدم هذا

---

(١٦)جريدة العراق العدد ٢٥٧١ السنة التاسعة ١٩٢٨ وقد اعيد نشرها في الطرائف المصورة العدد الرابع الصادر في الحادي عشر من شهر ايار سنة ١٩٣٠

الاستقلال المفلوج بسيطرة الانكليز ..)[17] .

وهاجم محمد صالح بحرالعلوم كل وزير وكل نائب واعتبره جاسوسا يخدم الاجنبي وما الراتب الا اجرة عمله هذا فقال :

تجسس البعض منكم بخبرة ومهارة
ونال منا اجورا عن جهده بجدارة
ففي النيابه اجر وآخر في الوزارة[18]

والطريف ان يجعل المستشار ابا لهؤلاء وامهم (المس بل) ويحدثنا عن نتيجة الذين لايتفقون معهم في الرأي فهي اما السجن ، او النفي او الشنق وبذلك يظهر لنا عصبية الاجانب العمياء ضد ابناء الوطن الذين لايوالونهم ولا يرضون بحكمهم البغيض .. وقد جعل اول العقوبات للوطنيين السجن والنفي والاعتقال اما اولئك الذين يصرون على موقفهم الوطني فهو الموت :

وحكم من يتوقى طرق الحماية خنق
نفي وحجز وسجن وان أصر فشنق

النواب :

غرّت مظاهر الحكم العامة بعض الشعراء لذلك اختلفوا بادىء الامر في معاملة نواب المجلس فحسبهم بعض الشعراء بانهم قادرون على انتشال البلاد من التأخر ، والسير بها نحو معارج الرقي والتقدم ، ولهم من السلطة ما يقومون بها اعوجاج امورها ، ويثقفون اودها . لان المجالس النيابية في الدولة المستقلةهي عمادها وركنها الاشد ، وساعدها الذي تعتمد عليه وقت الشدائد والملمات ، وهي ذات القول الفصل في القضايا العامة ، في شؤون الدولة . ومتى اتفقت كلمة النواب في أمر من الامور فما على الدولةالا الانصياع كرها او رضا لرغبتهم،غير ان نواب العراق ، وياللاسف ، لم يكونوا يمثلون الشعب العراقي ، فقد اخذوا يتنصلون من التبعة العظمى الملقاة على عواتقهم ، لانهم لم يشعروا بان الشعب قد

(١٧) لاحظ المقال الافتتاحي لجريدة الزمان العدد ٤٤ السنة الثانية ١٩٢٨

(١٨) من مخطوطة بقلم الشاعر في مكتبتي

جاء بهم الى المجلس ، ولم يحسبوا له حسابا في مناقشة الامور ، انما همهم كان منصبا على ارضاء الوزارة التي جاءت بهم الى المجلس • فلم يذودوا عن مصالح الوطن في احلك الظروف ، وكان اول دليل على ذلك موقفهم من معاهدة ۱۹۲۲ فقد كان عدد الموافقين ۳۷ نائبا من مجموع مئة نائب ، ولم توات الشجاعة بعضهم ليحضر الى المجلس ويعارض ويرفض المعاهدة ، وليدخل في نضال جديد ، ولو كان النواب مستندين على القوى الشعبية ما جبنوا وتولاهم الذعر ، فهم بين نارين، نار الوزارة التي ادخلتهم البرلمان ، وهي تضمن لهم مصالحهم الخاصة ، ونـــار القوى الشعبية التى ثارت على المعاهدة ، فاذا وافقوا على المعاهدة فسوف يغضب الشعب ويلصق بهم تهمة الخيانة • ولو رفضت المعاهدة لتغير مجرى السياسة في العراق وتغيرت اساليب حكم الشعب العراقي •

ومن الشعراء الذين املوا الخير من النواب وتفاءلوا من وجـــود المجلس النيابي فاضل الصيدلي وحسين كمال‌الدين وعبدالرحمن البناء وقد كان تفاؤلهم ذلك بعيدا عن الواقع وممزوجا بالشك فقد رسموا الطرق التي يجب ان تبـــذل في سبيل الشعب في دك صروح الجهل ، واصلاح الاخلاق الفاسدة المتـــردية ، والاخذ بيد العامل والفلاح نحو الخير والصلاح فقد خاطب حسين كمـــال‌الدين النواب في موشحة له :

أنوابنا هـــل لكم نهضـــــــة ؟ تقـــومون فيهـــا باصــــلاحنا
فقـــد كـــاد يهلك عمــــالنا واودى الطــــــواء بفلاحنــــا
اذا ما ت فلاحنـــا جائعـــــا فــلا فخر ان ننجو بارواحنا(١٩)

ورحب فاضل الصيدلي بهم وهاجم سوء الظن الذي يحيق بهم لانهم مقـــام الخائف الراجي ، والعائذ اللاجي ، والمستجير الناجي ، فقال :

---

(۱۹) جريدة النهضة العراقية العدد ۲۷۲ السنة الثانية ۱۹۲۸ ولاحظ قصيدة اخرى بتوقيع (شاعر نجفي) في العدد ٢٦٦ من الجريدة نفســـها ويبدو لي انها للشاعر نفسه فهي من نفس الروي

لاصبح سوء الظن فيكم او وهى ... عزم ولا زلت بكم أقـــدام
ابدوا سرائر عزمكم ورجـــاؤنا ... ان تكذب الاضغاث والاحلام[٢٠]

وقال عبدالرحمن البناء ان الشعب يفدي روحه من اجل النواب لانهم مالكوا زمام الامر في العراق ، وسوف يتحدون في سبيل مصالح الشعب ويقضون على اعداء الشعب فقال :

يا من ملكتم زمام السيف والقلـم ... رقوا العراق بنشر العلم والعلـم
ما اختاركم شـــعبكم الا لنصرته ... فأيدوا رأيه حفظـــا الى الـذمم
كونوا يدا في مجال الذب واحـدة ... تقضي على كـل أفـــاك ومنتقـم
الشـعب بالنفس فداكم وقدمكم ... الى العلا فأحذروا من زلة القدم[٢١]

ولما تجلى للعيان اعمال هؤلاء النواب خلال التجارب القاسية التي مر بهـا العراق ، ظهرت خيبة الرجاء وظهر كذب الظنون فاذا بالنواب قانعون بالراتب وبالمنصب دون العناية بمصلحة الشعب فقال خيري الهنداوي :

اين العـــدالة ايهـــا النــــواب ... كذب الرجـــاء وسدت الابــواب
قصدتكم الامال وهي ضــــوامىء ... فــاذا الذي قد غرهن ســـراب
كنا نظن بكم نـنـال حقوقنـــــــا ... فتقطعت فيكـــم بنـــا الاسـباب
ألهاكم قبض الرواتب يا تـــــرى ... ام اقنعتكم هـــذه الالقــاب؟![٢٢]

والواقع المرير ان جل النواب لم يكونوا راغبين في معارضة الحكومة ولم تكن لهم الجرأة والشجاعة على الثورة على أي قانون تسنه ، اذ لم تكن هناك احزاب قوية لها من المنعة ومن القوة ما تسند نوابها فقد مر العراق في دور كانت فيـــه احزاب ، ولكنها لم تتغلغل بين افراد الشعب ولم تكتسب يوما من الايام شعبية .

---

(٢٠) جريدة العراق العدد ٢٤٧٣ السنة التاسعة ١٩٢٨

(٢١) جريدة الاخلاق العدد ٦٧ السنة الثانية ١٩٢٨ ولاحظ العدد ٧٩ السـنة ١٩٢٨ قصيدة شاكر اسعد من الهويدر والعدد ٥٩ السـنة الاول ١٩٣٨ قصيدة بتوقيع ل.م.ج

(٢٢) مخطوطة ديوان الهنداوي في مكتبتي .

وقد كانت الانتخابات في كثير من الاحيان تجرى بدون وجود احزاب في البلد وتدير دفة الانتخابات سلطات الحكومة التي منحت نفسها صلاحيات واسعة لحمايتها من الشعب فاذا وجدت حزبا بدأ يقوى سارعت الى حله تخلصا من المشكلات التي قد تنجم منه،حتى ان ياسين الهاشمي حل الحزب الذي كان يترأسه بعد ان اصبح رئيسا للوزارة • فكان الشعب بعيدا كل البعد عن الانتخابات ، فنما الشعور العام بان المجالس اداة بيد الحكومة وان النواب يعينون فيها(٢٣) ولم تكن هذه المجالس تملك السيطرة على الوزارة اذ لم يحدث في تاريخ العراق ان استقالت وزارة لان المجلس قد سحب منها الثقة(٢٤) •

ولم تكن عيون الشعراء بعيدة عن احوال هؤلاء النواب ، لذلك انصب عليهم سيل من التهكم المرير ، كانصبابه على الوزراء ، فقد قال الجواهري يلذعهم بقاسي الكلم عندما عقدت الجلسة النيابية لتأبين عبدالمحسن السعدون :

ولقد اقول لرافعين أصابعا ... ليست تحس كأنها أحطاب
رهن الاشارة تختفي او تعتلي ... وينال منها السلب والايجاب
ماذا نويتم سادتي : هل أنتم ... بعد الرئيس ـ كعهده ـ اخشاب
هل تنهضون اذا استثيرت نخوة ... او تجمدون كأنكم انصاب
هل انتم ـ ان جد أمر ينبغي ... توحيد شملكم به ـ أحزاب(٢٥)

وقد سخر علي الشرقي من المجلس ولم ير فيه سوى المظاهر الكاذبة وترك امره للايام فهي كفيلة بتقدير قيمته ولا ارى الايام بحاجة الى ان تجيب فقد وجدت البرلمان آلة دون شك بيد الحاكمين فقال :

---

(٢٣) لما انتخب الرصافي نائبا جاءه احد اخوانه ليقدم له التهاني فقال له:اهنئك بانتخابك نائبا فضحك الرصافي وقال تقصد بتعييني نائبا •

(٢٤) تجدى احد رؤساء الوزارات النواب قائلا من أراد ان يبرهن على شعبيته فليستقيل من المجلس وانا ابرهن له بانه لن يعود الى المجلس • فسكت النواب •

(٢٥) جريدة العراق العدد ٢٩٢٧ السنة العاشرة ١٩٢٩ وذكرى السعدون ص ١٢٠

صوروا مجلسا بها انيقا   شيخه واقف ويلقي خطابه
لو سألتم منه سؤالا دقيقا   سوف تعطيكم الليالي جوابه

وكان محمد باقر الشبيبي واضحا كل الوضوح بوصف مجلس النواب بآلة يراد بها اسباغ حق شرعي على القوانين والرغبات التي يريدها المستعمر فهو دريئة لاعمالهم ومجنا يصدون به أقوال الشعب ، والحق انه طريق لاستعباد الامة فقال في الحفلة التي اقيمت على شرف مستر كراين :

فخذوا من الحكم المشوه صورة   ومثالها هذا الزمان الاسود
واقامها العهد (العتيد) حكومة   هي طبق ما اتفقوا عليه ومهدوا
وتستروا بالمجلسين فمجلس   طوع البنان ومجلس يتجلد

ولم يرض عن الضيم والذل الذي يكتنف العراق ، وقال ان هذا سكوت الابي الصابر المتفائل المستعد فقال :

اما العراق فان في تاريخه   شرفا يضيء كما يضيء الفرقد
ليس السكوت من الخضوع وانما   هذا السكوت تجمع وتحشد(٢٦)

البرلمان والمعاهدة :

تركت المعاهدة الاولى وما يتبعها من احداث آثارا سيئة في نفوس ابناء الشعب فاضطرب العصر اضطرابا واضحا وماج بين قوتين • قوة الشعب التي يساندها المثقفون والواعون ، وقوة الانتداب ومن سار في ركابه من المتنفعين والانتهازيين • وقد كان الجميع يتوقون الى استقرار الحال ، بعد أن طالت فترة الاضطراب ، فالانكليز يريدون استقرار الاحوال لتمشية مصالحهم وتحسين سمعتهم بين العالم المتمدن • ويريد الوطنيون الاستقرار ليسيروا قدما في اصلاح البلاد اصلاحا عاما يمكنهم من مواصلة الكفاح مرة اخرى •• وبين هؤلاء كانت بعض القوى تؤيد الحكومة الوطنية ، التي تحرص على استبقاء ما سمته المعاهدة بالاستقلال ، كيلا تتحطم مساعيهم واملا في الحصول على اشياء جديدة من الانكليز وقد فكر الانكليز في الخروج من هذا المأزق وتفتق ذهنهم على شيء جديد هو

---

(٢٦) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٠٤ السنة الثانية ١٩٢٩

عقد معاهدة جديدة يجددون بموجبها علاقتهم بالعراق .. ولادخاله الى عصبة الامم ، دولة مستقلة في الظاهر ، محافظين على مصالحهم الخاصة وبذلك يوهمون الشعب بانهاء الانتداب عن العراق وابتعاد الاثر الاجنبي فيه . ولما نشرت مسودة المعاهدة في الجرائد لم ير العراقيون فيها تغييرا كبيرا عن المعاهدة السابقة فقد قيدت سيادة البلاد وشنت ضدها معارضة قوية من الاحزاب . ومر العراق في فترة حالكة واحجم الساسة عن تشكيل وزارة توافق على بنود المعاهدة وتعطيل تشكيل وزارة جديدة مدة ثلاثة اشهر ولم تجد الدعاية التي شنها الموالون للاستعمار او تؤثر مساعيهم شيئا فقد اعلنت المعارضة برياسة ياسين الهاشمي ان المعاهدة قد اعلنت الاحتلال من جديد(٢٧) اذ نصت على اجراء مشاورة تامة وصريحة في جميع شؤون السياسة الخارجية مما له مساس بمصالح العراق وبريطانيا(٢٨) وان يقدم العراق جميع ما في وسعه من التسهيلات والمساعدات اللازمة من استخدام السكك والانهر والموانيء والمطارات ووسائل المواصلات في حالة الحرب او خطر الحرب(٢٩) وضمنت بريطانيا لنفسها مكانين لانشاء مطارين جويين داخل الحدود العراقية لتقيم فيهما القوات البريطانية(٣٠) واوجبت تدريب الجيش العراقي تحت الاشراف البريطاني وشراء اسلحته من بريطانيا اذا تيسرت هذه الاسلحة لديها(٣١) .

صودق على المعاهدة في ١٦ ت٢ في جلسة واحدة باغلبية ساحقة .. وبذلك اصبح العراق في وضع جديد اهّله ليكون عضوا في عصبة الامم(٣٢) وبدخول

---

(٢٧) تحرر العراق من الانتداب ص١٤ ونص المعاهدة في البلاد ٢٠٨/١/٩٣٠

(٢٨) المادة الاولى من المعاهدة

(٢٩) المادة الرابعة من المعاهدة

(٣٠) المادة الخامسة من المعاهدة

(٣١) يلاحظ تعليق خدوري : تحرر العراق من الانتداب ص ٩ـ١٤ وتعليق الدكتور زكي صالح مقدمة من تاريخ العراق المعاصر ص ٨٧ و٨٨ وخطاب المعارضة الذي ألقاه ياسين الهاشمي . العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٢٢٠ و٢ وخطاب الحكومة ص ٢١٣

(٣٢) راجع خدوري ص ١٥ـ٣٧

العراق عصبة الامم اعتبر دولة مستقلة ذات سيادة • ان الوضع الجديد الذي سيصله العراق سيجعله بصورة رسمية مستقلا ، واعترف به شكليا بانه دولة مستقلة غير ان هذا الحل لم يرض الذين لمسوا السيطرة البريطانية واضحة ، في تسيير دفة أمور الحياة العامة للعراق •• ولم تخف عنهم بنود المعاهدة من قيود قيدت العراق•• فكان رد الفعل عميقا في النفوس وبدأ الوطنيون يهاجمون الحكومة التي غدت آلة طيعة بيد المستعمرين ، كما هاجموا المعاهدة واظهروا ما حاق بالعراق من تأخر وانحطاط • لان الانكليز هم الذين يصرفون اموره حسبما تقتضيه مصالحهم •

وقد شاركت الصحافة العراقية في ابراز عيوب المعاهدة الجديدة للشعب ، واظهرت ما فيها من متناقضات غريبة فقد كتبت جريدة المستقبل في افتتاحية لها (ان الاستقلال التام لايجمع والاحتلال في صعيد واحد ونضرب مثلا بارزا للعيان هو جثوم الطائرات الانكليزية على ارض العراق ••) ثم قالت (•• السماء والارض والحوادث تشهد بان انكلترا مذ عقدت معاهدة ١٩١٥ مع شريف مكة (سجين قبرص) لم تفكر باستقلال البلاد العربية ، كما انها لم يخطر لها ان تترك العراق حرا مستقلا •• ولكن دعاة السوء وسماسرة الاخاديع يزعمون ان الوزارة الحاضرة دخلت المفاوضات مع بريطانيا على أساس الاستقلال التام ••• فما اوقح هذا الزعم وما افضح الدعوة الضعيفة اليه ••(٣٣)

ان الجهود التي بذلت للحيلولة دون المصادقة على المعاهدة ذهبت ادراج الرياح لان الملك فيصل كان راضيا عن المعاهدة خلافا لموقفه في معاهدة ١٩٢٢ فقد اعلن بكل صراحة هذا الرأي وقال (ان العراق حر طليق لاسيد عليه غير ارادته • وحليفتنا بريطانيا ليس لها في هذه البلاد سوى شيء واحد هو هذا الخط الجوي ••)

ولم يكتف فيصل بذلك انما هاجم الذين وقفوا امام المعاهدة وقال (••وان الذي يؤسف له الا يكون من بين رجال الامة من يدرك حقيقة ما بينته لكم ، ولا

---

(٣٣) تحرر العراق من الانتداب ص ١٤

يجرؤ على مصارحتكم به اضطررت ان اصارحكم بذاتي ..) غير ان هذا الـرأي لم يكن يتفق ورأي زعماء المعارضة لانهم وجدوا المعاهدة جائرة وفاسدة وانهـا قيدت استقلاله الموهوم وارادوا ان تبدل هذه المعاهدة بمعاهدة اخرى تعطي البلاد استقلالا كاملا لا تشوبه شـــــائبة وان المجلس الـــــذي عقـــد المعاهـــدة مجلس غير شرعي ولايمثل البلاد[٣٤] وان المعاهدة تتضمن الاحتلال الابدي[٣٥] لانها زادت من اغلال العراق وعزلته عن الاقطار العربية[٣٦] ووضعت العـــراق رسميا تحت حماية بريطانيا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وقضت على الوحـــــدة العربية وثبتت اقدام الصهيونية في فلسطين الشهيدة[٣٧]

ولم يختلف رأي الشعراء عن رأي رجال المعارضة من القوى الوطنية فقد هاجموا المعاهدة والبرلمان الذي صادق عليها واعتبروها معاهدة باطلة لان البرلمان الذي اقرها لايمثل الاغلبية ، وبرلمان لايمثل الشعب يجب الا يقرّ معاهـــــدة تقرر مصير البلاد ، ومستقبلها السياسي ، خاصة وان الكثرة الكاثرة قد قاطعت هذه الانتخابات ، وصفحات الجرائد تطفح باسماء الذين قاطعوها واسماء المحتجين على طريقة الانتخابات وخاصة جرائد المعارضة . فقد قال صالح الجعفري بعدم شرعية البرلمان لان انكلترا اشرفت على الانتخابات وسيرتها نحو الهدف الـــذي تريده وجاء اعضاؤه وفقا لرغباتها ، وكيف يوثق بمجلس طوع ارادة الانكليز . وقد جاء نوابه حسب رغباتهم خاصة ، وان اغلبية الشعب لم يشترك في هـــــذه الانتخابات ، قال من قصيدة :

---

(٣٤) لاحظ وثيقة التآخي بين حزبي الاخاء والحزب الوطني في جريدةالاستقلال العدد ١٧٠٣ السنة ١٣ سنة ١٩٣٣

(٣٥) جريدة الزمان الصادرة بدل البلاد ٢٨٤في ١٧ تشرين الاول ١٩٣٠ولاحظ آراء حكمة سليمان ومحمد رضا الشبيبي وحمدي الباجهجي وباقرالشبيبي ومحمود رامز ، ضد المعاهدة كما دافع عنها نوري السعيد في العدد نفسه والعدد ٢٨٥

(٣٦) الزمان العدد ٢٨٤ لاحظ رأي الكيلاني والهاشمي

(٣٧) المصدر السابق لاحظ رأي مزاحم الباجهجي

ما الانتخاب بمشروع اذا اتفقت كل البلاد على ان ليس تنتخب
أبرلمان وهذا الشعب قاطعه الا القليل ، وقد حفت به الريب
ما مثل المجلس المعقود أمته وانما عقدوه وفق ما رغبوا
خدعتم الشعب بالاشباح ماثلة جوفاء تسترها اثوابها القشب
كأن لندن مغناطيس مجلسنا فحيثما جذبته تلك ينجذب
منها القرار ومنا ان ننفذه والامر منها ومنا الطوع والادب(٣٨)

وقد نظم في هذا المعنى جواد السوداني واظهر غضب الشعب على الحاكمين وشرح طريقة تلقين هؤلاء للدفاع عن مصالح الدخيل فقال :

لم ننتخب نحن نوابا نوائبنا منهم ، اذا كانت الاعيان تعيينا
لاتعقدوا مجلسا ترضي مبادؤه الفا ، وتغضب من شعبي ملايينا
رجاله تشبه الببغاء لو نطقت تلقن الامر (منهم فيه) تلقينا(٣٩)

وقد طعن الشعراء بالانتخابات التي جرت في ظروف شاذة من التهديد والارهاب ، وبالنواب الذين رضوا ان يمثلوا البلاد في مثل هذه الظروف لانهم اصبحوا شوكة في قلب الوطن ينغرون في مصالحه وفي استقلاله وفي سمعته ... وجروه الى الشقاء والفساد : ومثل هذا الرأي جماعة منهم محمود الملاح ، قال من قصيدة القاها في الحزب الوطني المعارض :

لا أمان في مجلس قائم فو ق ضروب التهديد والارهاب
فيه تغتال للبلاد حياة وتساق البلاد نحو الخراب
أي فضل لفتية مالهم من هدف غير خدمة الانتداب
ما شقاء البلاد الا من الاذ ناب ، ويل لمعشر الاذناب !
ضربت في البلاد أطناب ذل فغدوا كالاوتاد للاطناب(٤٠)

---

(٣٨) جريدة صدى الاستقلال العدد ٢٩ السنة الاولى ١٩٣٠

(٣٩) المصدر السابق العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠

(٤٠) جريدة الجهاد العدد ٢٤٠ الصادر في ٢٥ آب سنة ١٩٣٠

وقد بذل معروف الرصافي[٤١] جهدا كبيرا داخل المجلس ضد المعاهدة لانه كان عضوا فيه ، والقى خطابا ندد فيه ببنودها قائلا (.. ان المعاهدة كمعاهدة الحمل مع الذئب وما ادري اية قيمة لمعاهدة تقع بين الحمل والذئب ...) ثم بين الظروف التي حملت العراقيين على عدم الرغبة في المعاهدة بقوله (.. نحن في عقد هذه المعاهدات لسنا على اختيار بل على اضطرار . كلنا يعلم ان العراق في قبضة بريطانيا الحديدية او النارية وان الانكليز لهم سلطة نافذة قهارة جبارة غدارة ففي هذا الوضع تعقد معاهدة مع الانكليز معاهدة بمعنى انهم يملون ونحن نكتب ..)[٤٢] ويتجلى ألم الرصافي الواضح في تتابع الصفات التي اسبغها على سلطة الانكليز وقد كان الرصافي ضد كل معاهدة عقدت مع العراق فقد قال عن معاهدة ١٩٢٢ :

والعهد بين الانكليز وبيننا ... كالعهد بين الشاة والرئبال
من ذا رأى ذئب الذئاب معاهدا ... بصداقة حملا من الاحمال[٤٣]

وقد طفحت جرائد هذه الفترة بسيل من اسماء الشعراء الذين نقموا على تصديق المعاهدة واخذوا يهاجمونها وينتقدون سياسة الحكم القائم آنذاك فمنهم ابراهيم ادهم الزهاوي[٤٤] وجواد السوداني[٤٥] ومحمد حبيب العبيدي[٤٦]

---

(٤١) بقي الرصافي يندد بالمعاهدة طوال حياته مطالبا باستقلال العراق . لاحظ
ـ آراء الرصافي ـ جمع سعيد البدري بغداد ١٩٥١ ص ٢٠و٢٥ ومابعدها
وعندي قصيدة لمحمد صالح بحرالعلوم ضمن مخطوطة شعره يقول فيها :

عهد حزيران وكم ثائر ... حولي على عهد حزيران
فحمله بالبغي من لندن ... ووضعه عندي ببغدان
نوائب الامة في جانب ... وأمها في الجانب الثاني
وحكم من تزنى ـ وان لم تكن ... محصنة ـ عطف على الزاني

(٤٢) جريدة نداء الشعب العدد ٣١٠ صدر في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٠
(٤٣) آراء الرصافي للبدري ص ٣١ وادب الرصافي لمصطفى علي ص ١٠٥وديوان الرصافي ص ٥٠٢
(٤٤) جريدة بغداد العدد ٢ السنة الاولى سنة ١٩٣١
(٤٥) جريدة صدى الاستقلال العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠
(٤٦) جريدة البلاد العدد الصادر في ٣ كانون الثاني ١٩٣٠

وعبدالحسين الملا[٤٧] وباقر الشبيبي[٤٨] والصافي[٤٩] وشفيق العاني[٥٠] وغيرهم كثيرون ممن نشروا في جرائد ومجلات اخرى . وقد اتفقوا جميعا على أمر واحد هو التنديد بالمعاهدة الجائرة وآلمهم ان تكون بلادهم لعبة تستغلها قوات الاجنبي لصالحها ، تهدر مصلحة الشعب الذي ذهب ضحية الوعود الكاذبة ، وضحية الانتهازيين من ابنائه والمنتفعين من وجود المستعمرين في بلادهم الذين اسلموا الوطن دون ان يردعهم ضمير او يؤنبهم على الخيانة وازع ، فعاثوا في مقدراته دون حسيب او رقيب[٥١] . وكان من ابناء هذا الوطن الوزراء الذين حصلوا على امتيازاتهم وألقابهم ورواتبهم من كد الشعب وعرقه ودموعه ودمه ولكنهم لم يرعوا حقوقه وانما فضلوا مصالح الاجنبي الغشوم على مصالحه وعاشوا في العراق ولكنهم يستمدون تعاليمهم من خارج العراق، فأثقلوا كاهل الشعب وأرهقوه ، ونصبوا من انفسهم قادة للشعب ، وحجبوا الوطنية عن غيرهم واحتكروها لانفسهم دون حياء او خجل فانساق بعض السذج معهم وظنوا ان قولهم الصدق وخالوا ما يدعون هو الصواب فلما تكشفت نياتهم وظهر للعيان ما بيتوا لهم من أغلال وقيود باسم التحالف وباسم المعاهدة تنبه الشعب واتجه نحو الصواب ، وتركهم وحدهم مع اسيادهم ، وقد رأى بعض الشعراء ان خير حل للقضاء على هؤلاء هو ثورة تطيح بهن وباسيادهن وتعيد للشعب حقوقه المهضومة[٥٢] والشعر العراقي في هذه الفترة كثير ولنأخذ مثلا واحدا من شعر أحمد الصافي النجفي وفيه يتجلى مقدار الخسارة الفادحة التي حلت بالعراق

---

(٤٧) جريدة صدى الاستقلال العدد ٢١ السنة الاولى ١٩٣٠

(٤٨) جريدة الجهاد العدد ٢٣٩ الصادر في ٢٤ من آب ١٩٣٠

(٤٩) جريدة الجهاد العدد ٢٣٧ الصادر في ٢٢ من آب ١٩٣٠ وجريدةالاستقلال العدد ١٥٦الصادر في١٦آذار سنة١٩٣١ وجريدةصدى الوطن العدد٣السنة الاولى ١٩٣٠

(٥٠) جريدة الاستقلال العدد ١٥٨٩ السنة ١١ ، سنة ١٩٣١

(٥١) جريدة صدى الاستقلال العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠ قصيدة جواد السوداني .

(٥٢) جريدة بغداد العدد ٢ السنة الاولى ١٩٣١ قصيدة ابراهيم ادهم الزهاوي .

من جراء المعاهدة التي عقدها الوزراء من ابناء الشعب الذين حصلوا على كل ما حصلوا من ثروة باسم هذا الشعب فقال :

سرق الطامع ابهى مجـــدنا ومضى يعـــدو فاين الحـرس
قد رقـــدنا املا في حـــرس ولقـد نمنـا ونام الحــــرس
سـهروا في اول الليل ولمـــا نهض السارق يسعى نعســـوا
قد حصدنا الشوك مما زرعـوا وجنينـــا المر مما غرســـــوا

ويصور بسخرية لاذعة اولئك الذين ثاروا باسم الشعب وقادوه ، ثم تركوه لما حصلوا على ما يريدون من مناصب وثروات ، لانهم يعتمدون على الاجنبي في جميع آرائهم فليس لهم من رأي انما هم آلات تنفذ رأي الاجنبي فقال :

باسم هـذا الشعب نالوا ثـــروة ثم باعوا الشـــعب لما أفلســـوا
كرماء لـــم يردوا طامعــــاً واجـــابوا كـــل من يلتمس

وسخر من المجلس الذي يردد الآراء المستوردة بقوله :

اخذوا رأي شـــياطين لهـــم همســـوا في اذنهم ما همســـوا
ما ارى المجلس الا حاكيـــا صوته ـ عن مجلس ـ منعكس
ضم آلات بسلك وصـــلت فاذا حـــرك يومـــا تنبس
ان دعاهـــا لدفاع شـــعبها رجفت ثم اعتراها الخـرس (٥٣)

لم تتحمل الحكومة معارضة الصحف الشديدة ، والوقوف امام الانتخـابات وعدم تصديق المعاهدة وافزعها النقد الشديد الموجه ضدها لان المعارضة كـانت تستند على الجانب الواضح الصائب جانب الشعب والاكثرية المؤيدة له . وقد كان مؤيدوا الحكومة أقلية ولكنهم ارادوا ان يحكموا البلد بالارهاب وبالقوة وبالسيطرة فقد حاولت الحكومة ان تكم الافواه واسكات كل معارض لسياستها فعطلت جريدة (الرافدين) و (الاستقلال) وانذرت جريدة (المستقبل) ونفت (فهمي المدرس)

---

(٥٣) جريدة الجهاد العدد ٢٣٧ الصادر في ٢٢ اغسطس ١٩٣٠ ونشـــرت في الامواج ص ٥٤ وله في الامواج قصائد في الصفحات ٥٠ و٥٢ و٥٣

و (رافائيل بطي) الى اربيل[٥٤] فثارت ضجة في البلاد تطالب الحكومة بالحرية الفكرية وافساح المجال للكتاب للتعبير عن افكارهم لخدمة هذا الوطن واحتجت جريدة المستقبل التي قالت (.. مابال هذه الحكومات القائمة في ظل الوضع الشاذ تضطهد الحرية في بلاد الرافدين وتلاحق الوطنيين بشتى الوسائل وانواع القسوة ؟ ماذا يبرر لتلكم الحكومات ولهذه الحكومة الحاضرة ملاحقتها لحرية الرأي وحرية النشر)[٥٥]

وسخر صالح الجعفري من هذه التصرفات فقال :

اراهــم قيدوا الـــرأي فلمْ ســموه لي حـــرا
ومـــا فائـــدة الـــرأي اذا لـم أبـده جهـــرا
هل المرء سوى ان يـــر تأى النفـــع او الضرا[٥٦]

يمتاز العرب بحب الحرية الفكرية حرية الكلام والتعبير لان حرية التعبير عن الرأي عزيزة في نفوس الاحرار وقد أكد الاسلام على هذه الحـــرية في أحاديث الرسول وفي سير الخلفاء لذلك كان كبت الحريات الفكرية يبوء بالفشل دائما ونجد المطالبة بالحرية في كثير من دواوين الشعراء ففي ديوان الرصـافي عدة قصائد[٥٧] ولعل اشهرها تلك التي نظمها سنة ١٩٢٢م والتي اخذ هـــذا العصر يرددها[٥٨] ورددها العراق في كل دور من أدوار كبت الحريات والتي غدت اغرودة بفم العراقيين ومضرب الامثال دائما :

---

(٥٤) جريدة بغداد العدد ٢٦ السنة الاولى ١٩٣٢ وقد اصبح المعتمد العام لحزب الاخاء الوطني ياسين الهاشمي ، اما التهمة التي وجهت للكاتبين فهـــي (المس بالذات الملكية وقلب نظام الحكم) راجع حاشية مقالات فهمي المدرس ص ١٢٣

(٥٥) جريدة المستقبل العدد الثامن السنة الاولى ١٩٣٠

(٥٦) جريدة النجف العدد ٧٥ السنة الثانية ١٩٢٧

(٥٧) ديوان الرصافي ص ٥٠

(٥٨) أدب الرصافي ص ٧٧

يا قـــوم لا تتكلمــــــوا ان الـكلام محــــرم
نامـوا ولا تستيقظــــــوا مـــا فــاز الا النـــوّم
وتأخـروا عن كل مــا يقضي بأن تتقدمـــــــوا
ودعــوا التفهم جانبــــا فالخـير الا تفهمـــوا[٥٩]

ولم تتطرق الى تأييد الحكومة التي عقدت المعاهدة غير قصائد محدودة[٦٠] فكانت جريدة العراق تعوض عن ذلك بمقالاتها فتهاجم المعارضة وتنشر بعض الرسائل المفتوحة او البرقيات مثل (اخاديعهم لاتنطلي على الشعب) او (ما هذه المهازل) وتحمل تواقيع متنوعة مثل (فريق من الشبيبة المعتقدة بتلاعبهـــم) او (فريق من شبيبة الحلة)[٦١] وتسلقهم بافتتاحيات عنيفة مثل (يفترون) و(هل تستمر المعارضة في طغيانها الاثيم) واذا اعتقلت الحكومة المعارضين تقول(الحكومة تقضي على الدسائس والمكائد) و (ماذا يريد المفتـــونون) و (يغالطـــــون ويموهون)[٦٢]وكانت جرائد المعارضة ترد عليهموتنشر اخبار الاجتماعاتونشر الخطب وتعنون مقالاتها بعناوين مثل (الخرس لهذه الافواه) و (يكيــدون للشعب)[٦٣]كما كانت تنشر اخبار الاضرابات التي يقوم بها الشعب وتعلق عليهافترد عليها العراق[٦٤] ومن المقالات التي نشرتها ، مقالة تهاجم فيها المعارضة وتتهمها بانهـا تعارض للحصول على كراسي الحكم وقالت (ان مناحة المعارضين يوم الجمعة الماضي لم تختلف بشيء عن مناحاتهم المعروفة فقد بكوا كثيرا على القضـــــية

---

(٥٩) ديوان الرصافي ص ٤٤١
(٦٠) مثل عبدالرحمن البناء وعبدالمجيد الملا والجواهري
(٦١) جريدة العراق الاعداد ٣٣٣١ و٣٣٣٢ و٣٣٣٣ الســـــنة الحـــادية عشرة ١٩٣١
(٦٢) جريدة العراق ٣٣٧٣ و٣٣٧٥ و٣٣٧٦/١١/١٩٣١
(٦٣) الاخاء الوطني اعداد السنة الاولى وغيرها من جرائد المعارضة الصـــادرة ١٩٣٠ و١٩٣١ كالاستقلال ، والثبات والاخبار ، والبلاد ٠
(٦٤) دراسة هذه الفترة تستحق عناية من احد الباحثين لوجود اشياء طريفـة وجديدة ٠

المضاعة ، والوطن المحروب ، والحرية المضطهدة ، والصحافة المصفدة ، والآمال الفاشلة ، وحاولوا استبكاء الجمهور على غير جدوى وكانوا في الحقيقة ينوحون على كراسي لصقت أعينهم بقوائمها وعلى مناصب ضخمة ، ومراتب جزيلة)[٦٥]

وعندما ينشر الجواهري قصيدة يؤيد بها المعارضة تثور الجريدة عليه وتعجب كيف ينظم قصيدة في تأييد المعارضة وهو الذي أيد الحكومة بالامس وضحى في سبيلها بوظيفة ، يتهافت عليها المعارضون ثم تنشر له قصيدة هاجم فيهـا المعارضة وايد فيها الحكومة من قبل قال فيها ساخرا منهم :

فقد علم الاقـوام ان ليس عندكم سوى خطف كرسي ومنضدة قصد
وهيهات هيهات الكراسي ولمسـها فمن دونها سد ومن دونكم سد[٦٦]

(٦٥) جريدة العراق ٣٤٧٧/١٢/١٩٣١ المقال الافتتاحي

(٦٦) جريدة العراق العدد ٣٤٨٧/٢/١٩٣١ ولاحظ جريدة الزمان العـدد ٢/١/١٩٢٧ ويلاحظ جريدة الاخاء الوطني العدد ٢٤/١/١٩٣١ وجريدة العراق ٣٤١٩/١٢/١٩٣١

عبدالمحسن السعدون

ـ ٤ ـ

لاحظنا الصدام العنيف الذي حدث بين القوى الوطنية والقوى الاجنبية • فلم يكن العراق هادئا مستقرا وكان الرأي العام مضطربا ينذر بالعاصفة فقد كانت البلبلة متفشية بين الصفوف والحياة الحزبية مضطربة متفككة • وكان العراق يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من الحقوق وبريطانيا تحاول جاهدة استبقاء سيطرتها بطرق شتى ، وفي مثل هذا الجو المتوتر الثائر القلق طلب الى عبدالمحسن أن يؤلف الوزارة لعقد المعاهدة ، فاشترط ان يحصل على وعد صريح بالغاء المعاهدة والاتفاقيات السابقة وأن يدخل العراق عصبة الأمم بدون قيد او شرط وان تكون المعاهدة الجديدة على أساس الاستقلال التام • وكانت بريطانيا تبحث عن مخرج تخلص به من التوتر السياسي فاظهرت استعدادها لقبول شروط السعدون ، فألفها معتقدا بان بريطانيا سوف تحقق للعراقيين امانيهم حتى قال في حفلة اجراء مراسيم تشكيل الوزارة « لقد امعنت أنا وزملائي النظر مليا في جواب الحكومة البريطانية هذا فاقتنعنا بانه محقق لشطر كبير من رغائب الامة العراقية التي لاترضى عن الاستقلال التام بديلا»[١] • واعتقد انه سوف يقدم لبلاده ما يريده لها من الاستقلال التام والكرامة • ويبدو ان رجال السياسة قد أدخلوا في

---

(١) ذكرى السعدون ـ تأليف علي الشرقي ـ بغداد ١٩٢٩ ص ٥٦ • لاحظ خطاب السعدون جميعه • وقد اكد هذا المعنى في الخطاب الذي القاه في حزب التقدم وكرر الفقرة نفسها • ذكرى السعدون ص ٦١ وفي الكتاب ترجمة وافية لحياة السعدون •

روعه انه المنقذ الوحيد للعراق من البلبلة والتوتر السياسي وكأنى بالسعدون قد وعد بتحقيق هذه الاماني لامته واذا فشل فسوف يؤازره الشعب ويأخذ استقلاله بالقوة وبالتضحية والفداء • ولعل مظاهر الحماس التي رآها على الشعب أججت في قلبه هذه الرغبة تسنده الوعود التي بذلت له بصورة سرية[٢] فاندفع وصرح بوجوب اخذ الاستقلال بالقوة • ولولا رغبته وما جال وراء الستار لما اندفع هذا الاندفاع حتى ظن ان الاستقلال اصبح ملك يمينه ولكنه اصطدم على صخرة رغبات بريطانيا • وصعب على المرء أن يرى احلامه العراض تتحطم ، ويهوي مابناه بيده فتنتابه المذلة والالم • وقد حدث ذلك للسعدون ، فلم يقدر على اقناع رجال السياسة البريطانيين الذين تقلبوا في السياسة وعاشوا فيها ، وعرفوا خباياها ولم يقف الشعب العراقي وراءه ثائرا مقاتلا[٣] لان هناك قوى اخرى غير الشعب تقف ضده ، هناك أذناب المستعمر الذين يملأون بلاده ، وهناك الملك الذي لايريد أن يفرط بالعرش ، وهناك عقبات اخرى في الشعب العراقي لم يقدرها السعدون حق قدرها وكانت خيبة الامل مريرة في نفس السعدون[٤] تجلت في الوصية التي تركها عندما انتحر قال فيها :

« اني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذة وذوقا وشرفا • الامة تنتظر الخدمة والانكليز لايوافقون ، ليس لي ظهير • العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون عن الاستقلال»[٥] فنجد السعدون واضحا كل الوضوح

---

(٢) قال علي الشرقي (لكن المقامات العالية حركت نخوته واخلاصه ، واستنبضت عرقه الكريم ، وناشدته بالعروبة والوفاء لها) ص٥٥

(٣) سأله الريحاني عن مدى استجابة اعضاء حزب التقدم لآرائه السياسية فقال : « الاعتقاد رصين والامل وطيد بأن الحزب يكوى بحرارة الاخلاص الذى أحمله ، وغالبا أجد روحي تتنوزع عليه ويندفع بقوة الحق الى مشاركتي• »

(٤) قال السعدون في معرض حديثه مع زميل له « انا مثلي معكم مثل موسى مع أصحابه اذ قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ماذا اكون وحدي وانكم ما فيكم الباسل ••• »

(٥) جريدة العراق الاعداد ٢٩٢١ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٢٣ ، من السنة العاشرة ١٩٢٩ كتب السعدون وصيته باللغة التركية وترجمت بعد ذلك •

من انه ورط في تأليف الوزارة وترك وحده في المعركة ، ولم يوفق بين رغبات الشعب العراقي الضعيف العاجز .. البعيد عن الاستقلال والحرية وبين رغبات الانكليز الذين لايوافقون على منح الاستقلال .

أعد السعدون كل شيء وفكر في كل الاحتمالات ففض المجلس النيابي وجاء بنواب اكثريتهم معه فاستند على قوتهم وصفق له حتى المعارضون عندماعاهد الله والوطن على الجهاد والتضحية وقد اعتمد الملك عليه للخروج من المأزق بل أثار نخوته ليدير دفة البلاد وقد كان السر كلبرت كلايتون المندوب السامي يؤيد المطاليب العراقية وقد رأى السعدون في جواب بريطانيا تحقيقا لشطر من رغائب الامة العراقية وقال : « ان الاستقلال اصبح وشيكا وان المعاهدة تنتهي مع الاتفاقيات برمتها وستعقد معاهدة جديدة اساسها الاستقلال التام[٦] » لكنه باء بالفشل ولم يحصل على شيء .وقد كان السعدون أبيا كريم النفس فاسودت الحياة بعينيه وسئمها بعد أن ضاع منه مايريد ان يحققه لشعبه واتهم بالخيانة وبأنه خادم الانكليز وعبدهم[٧] مع ان الرجل تحمل مالايطاق وزج بنفسه في مأزق أراد به خدمة الامة .

لم يمت السعدون دون أن يترك أثرا عميقا وراءه هو وصيته التي هزت الشعب العراقي لانها أطلعته على ضعف الشعب وتخاذله وقت الشدائد وحقيقة الصراع الذى كان ناشبا بين السعدون وبين الانكليز .

والشعب العراقي شعب مستعجل لاينظر الى الماضي ولايتعظ .. ينسى بسرعة فهو يلقي كلمات الحمد والثناء على من تملق عواطفه وينسى اساءته سريعا وهو يغضب سريعا وينسى جميع ما يقدم له ويتمسك بآخر غلطة للانسان ويريد أن يتدخل في كل الامور صغيرها وكبيرها وقد كان السعدون كتوما لاسراره فاتهم بالخيانة ، وكان رزينا فباعد بينه وبين ابناء الشعب ، فاستيقظ الشعب

(٦) لاحظ خطاب السعدون في جلسة حزب التقدم الاولى في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ ذكرى السعدون ص ٥٨ وما بعدها .
(٧) جريدة العراق لاحظ الاعداد التي ذكرت الوصية .

على صوت انتحاره وهاجت عواطفه الطيبة في ضميره ، وخاصة سبب الانتحار كان عدم موافقة الانكليز على اعطاء العراق استقلاله التام • وقد نسي الشعراء جميع حياة السعدون واتخذوا الفرصة نبراسا يهتدون بهديه في شعرهم واصبح السعدون رمزا قوميا كريما ونموذجا صادقا في الوطنية والتضحية ، فانتشرت صوره في كل مكان ورسمت على علب السيكاير وورق لف السيكاير والاواني الفخارية وعلى كثير مما يستعمله الشعب وعلقت على بضائع التجار لتروج • وقد اقيم له تمثال في خير بقاع بغداد واضخم مكان[٨] وسمي باسمه شارع كبير وحديقة • واول الشعراء الذين أصابتهم الحسرة وامضتهم اللوعة كان معروف الرصافي • فقد كان عبدالمحسن صديقا له يواليه بعطفه ورعايته وجاهه وماله[٩] وكان الرصافي يمقت الانكليز الذين استعمروا بلاده فاستحال هذا المقت الى كراهية عميقة ، فقد أجهزوا على صديق عزيز عليه وسند قوي يركن اليه فأهاجت ميتة السعدون كوامن الالم في الرصافي فصبها سيلا من الحمم والقذائف على الانكليز[١٠] فوصف عظم التضحية التي قام بها السعدون ومقدار خسارة الوطن بهذه التضحية، ثم هجا الانكليز الذين سببوا هذه الكارثة • واشهر قصائده واطولها الرائية ، وقد بوّبها الشاعر ابوابا ، ووضع لها العناوين المتنوعة فوصف اولا منظر الرافدين يوم وفاة السعدون وهما يجريان دما بعد أن أمضتهما الحزن واللوعة ووصف الحزن الذي انتاب الشعر بهذه الكارثة وذكر الميزات التي امتاز بها السعدون والسجايا الكريمة والمزايا العالية التي فضلته على سواه ، وخير هذه المزايا وأسماها التضحية الكبرى بنفسه في سبيل الوطن ثم خاطب أهل لندن ما جرته سياستهم من آلام واحزان على العراق ، وفي القسم الاخير قارن بين سعد زغلول وعبدالمحسن السعدون وما قدم كل زعيم لبلاده من تضحيات وخدمات

---

(٨) غير محله وحرك قليلا حيث وضع في مكانه الحالي بمدخل الشارع المسمى باسمه عندما افتتح الجسر الجديد في الباب الشرقي •

(٩) بشأن صداقة الرصافي والسعدون لاحظ (الرصافي) تأليف مصطفى علي مصر ١٩٤٨ ص ١٩٤

(١٠) ديوان الرصافي ص ٣١٠ و٣١٢ و٣١٦ ولاحظ ذكرى السعدون ص ١٢٧

وفضل السعدون على سعد زغلول لانه كان اكثر تضحية اذ فدى الشعب العراقي بنفسه والجود بالنفس الاخير أقصى غاية الجود ، ويدخل ضمن موضوعنا القسم السياسي الرابع الذى خاطب فيه الانكليز بقوله :

يا اهل لندن ما ارضت سياستكم   أهل العراقين لابدوا ولا حضـــرا
ان انتـــدابكم في قلب موطننــا   جرح نداويه لكن لم يزل غبرا[١١]

ويشرح اعمالهم التي ارتكبوها في العراق من تقييد لحرية الرأي ، ووقوف في طريق تقدم العراق ، ورقيه ، وتفريق لصفوفه ، ليسنى لهم الحكم ثم بثهم الكراهية والبغضاء بين ابنائه بدل الحب والوئام والعطف لان الاستعمار لايقدر ان يعيش الا في الفوضى والاضطراب والبلبلة النفسية والرعب والفزع ثم يذكرهم بمعاهدتهم مع العراق فيقول :

في كل يوم لنا معكم معاهـــدة   نزداد منهـــا على اوطاننا خطـرا
جفت بها سرحة استقلالنـا عطشا   حتى اذا ما مسسنا عودها انكسرا

ويصف قسوة قلوب الانكليز في سبيل مصالحهم وبذلهم الوعود السخيـة دون ان يفوا بها فيقول :

تقســـوا قلوبكم لما نفاوضـــكم   كأننا نحـــن منكم ننقر الحجـرا
اما مواعيدكم فهي التي انكشـفت   عن مين من مان او عن غدر من غدرا

ويقارن بين وطنه الضعيف الواهي القوى وبين قوة الانكليز الجبـــارة التي تسيطر على العراق ، ثم يتهددهم تهديد الضعيف الوهن ، فيصف الشـعب بالذبابة التي تزعج الاسد وكان الاجدر بالرصافي ان يتهدد الانكليز بان المستقبل للشعب الذي سوف يقوى ويشتد ساعده ويقضي على قوة الانكليز ولا شك بأن الرصافي كان قريبا جدا من الواقع الذي بعد عنا اليوم حينما قال :

لاتفخروا ان كسرتم غرب شوكتنا   لافخر للصقر في أن يقتل النغرا[١٢]
لاتستهينوا بنا من ضعف قوتنـــا   فـكم ذبابة غابٍ أزعجت نمــرا

(١١) الجرح الذى اندمل على فساد ثم انفجر ٠
(١٢) النغر : بضم الميم وتشديده الفرخ الصغير او البلبل ٠

وقد أبدى الرصافي تسامحا وتساهلا عندما عرض على الانكليز صداقـة الشعب بعد أن يئس من قوة الشعب وعدم قدرته على مقارعة قوة الخصم الجبارة والكفاح في سبيل الاهداف السامية ولعله كان يأمل ان يحصل باللين وبالتساهل مالم يحصل عليه بالكفاح والقتال فقال :

هذي البلاد أغرسوا فيها مودتكم ثم اقطفوا من جناهـا ودنا ثمـرا
نكن لكم حلف صدق في سياستكم نمشي الى المـوت من جرائها زمرا
لسنا بقوم اذا ما عاهدوا نكثـوا ولو جرى الدم حتى اشبه النهرا[١٣]

وقد رثاه كثير من شعراء هذه الفترة مثل محمـد هادي الدفتـر[١٤] واكـرم احمد[١٥] وعبدالرحمـن البناء[١٦] ومحمـد بهجة الاثـري[١٧] ومحمـد حبيب العبيدي[١٨] وكمال نصرة[١٩] وعبدالكريم العـلاف[٢٠] وناجـي القشطيني[٢١] وخضـر القزويني[٢٢] ومحمـود الملاح[٢٣] ومحمد مهدي الجواهري[٢٤] ومحمد علي اليعقوبي[٢٥] وأحمد حقي الحلي[٢٦] وغيرهـم •

---

(١٣) ديوان الرصافي ص٣١٤ وقد نشرت القصيدة في جريدة البلاد في العـدد الصادر في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩
(١٤) جريدة العراق العدد ٢٩٦٩ السنة العاشرة ١٩٣٠
(١٥) جريدة العراق العدد ٢٩٢٥ صدر في ٣٠ تشرين الثانى ١٩٢٩
(١٦) جريدة النور العدد ١٣٩ صدر في ١٧ تشرين الثانى ١٩٢٩
(١٧) جريدة البلاد العدد ٣٠ في كانون الاولى ١٩٢٩
(١٨) جريدة البلاد العدد ١٥ كانون الاول ١٩٢٩
(١٩) جريدة البلاد العدد الصادر في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٩
(٢٠) جريدة العراق العدد ٢٩٥٧ الصادر في ٢٧ كانون الاول ١٩٢٩
(٢١) مخطوطة شعره في مكتبتي الخاصة
(٢٢) شعراء الغري جـ٢ ص ٣٧٢
(٢٣) ذكرى السعدون ص ١٢٢
(٢٤) ذكرى السعدون ص ١١٥ ، ١١٩
(٢٥) ذكرى السعدون ص ١٢٩
(٢٦) ذكرى السعدون ص ١٣٥ واخبرني الشاعر بانه نظم قصيدة اخرى •

وقد بدا موقف الزهاوي قلقا حائرا فقد ساهم الشعراء في تأبين السعدون • أيبقى دون أن ينظم شيئا وأشد ما يخشاه أن يطعن في ولائه للوطن ولايريد أن يعيد ما قيل عنه وما يقال أم ينظم ويطعن الانكليز ولاتزال القوى بيدهم والحول ملك يمينهم أراد أن يشارك الشعراء كيلا يقال نضبت قريحة الزهاوي وهو الذى يجب أن يذكر اسمه ويمجد ويقرضه النقاد[٢٧]• نظم قصيدة واستبعد مهاجمة الانكليز ، وكان حذرا فآثر أن يسلك اسلم طريق فنظم الوصيه وحاول أن يرتسم صورة صادقة مكبرة لها وبذلك يتخلص من مهاجمة الانكليز صراحة ويرضي الوطنيين ، قال :

ماذا تفيد سلامتي من شرها	اذ كان منه موطني لايسلم
الشعب ذو حرص على استقلاله	لايرتضى أحدا سواه يحكم
الشعب يطلب أن أقوم بحقه	والانكليز على التغاضي يرغم
للشعب ابرم ما أراه صالحا	والانكليز يحل ما أنا أبرم
للانكليز في الانتداب سياسة	أما السياسة فهي ليست ترحم[٢٨]

وكان علي الشرقي من أقرب الناس اليه واشدهم حسرة على موته حتى ألف كتابا عنه وعن آل سعدون فانه لم يتهم الانكليز في قتله مع أن السعدون قال صراحة في وصيته انهم السبب في انتحاره بل لم أجد له قصيدة في تأبين السعدون اللهم الا قصيدة واحدة نظمها بمناسبة نصب تمثاله[٢٩] كانت موحدة الموضوع لم تخرج عن السعدون نفسه وان حمدنا له هذه الوحدة في المعنى نراه لم يستغل الفرصة ليؤلب الشعب على المستعمر الجاثم على صدر العراق •

اما الجواهري فقد نظم قصيدتين لام فيهما الشعب وقرعه كما لام الساسة في الاولى وفي القصيدة الثانية صب جام سخطه على

---

(٢٧) حدثني احد معاصري الزهاوي ومن المتصلين في جريدة العراق وأظنه الاستاذ رفائيل بطي ان الزهاوي كان يأتي الى الجريدة ويكتب امام اسمه الاستاذ الكبير الفيلسوف الى غير ذلك من الالقاب والنعوت

(٢٨) البلاد العدد الصادر في ٢٧ كانون الاول ١٩٢٩ وقد نشر في ديوانه (الاوشال) المطبوع في بغداد ١٩٣٤ ص ٤٤ وله قصيدة اخرى في ص٤٥

(٢٩) ديوان علي الشرقي ص ٢٠٧

النواب الذين كانوا خشبا مسندة وكان رثاء عبدالمحسن رثاءا عاما لم يأت بجديد فيه ، ووصف وجوم الشعب حول قبره وسماه (ضريح امة يعرب) الذي سيركع عليه التاريخ والجيل (والنخوة والعروبة والشهامة والصراحة) وان (ثكلــه ثكل العروبة) وخص الملك فيصل وتوجعه بابيات ومن ثم توجــه الى المعارضين بقــوله :

يتسألــون باي عــــذر تختفي ؟   من شعبنا وبأي وجه نطلــــــع
واسترجعــوا احكامهم مرفوضـــة   ناس بحكمهـــم عليـــك تسرعوا

ثم طالبهم بالانتحار ان كانوا مخلصين لبلادهم ليطمئن الشعب اليهم :

قولوا لاشــباه الــــرجال تصنعا   الا تكونوا مثلـــه فتقنعـــوا
لاتبرمونا بالتشــدق ، شعبكــــم   بسـوى انتحاركم له لايقنـــع
سلفا يقــوم بالدم اســـتقلالـــه   فاذا صدقتم بادعـــاء فادفعـــوا

وسخر من مجلس النواب وطالب ان تكون محاكمة الخصم بريئة عادلة ليفسح له المجال في الدفاع عن نفسه ولا يضغط على حريته فقال :

لتكن محاكمة الخصـــوم بريئة   في قاعكم وليحسن اســـتجواب
تأبى المروءة ان يقدس خـــائن   أو ان يطول على البريء حساب

ويضعف الجواهري ويلين حينما يريد من الشعب العراقي ان يتروى في قصده ولا يتهور مستعجلا فيقول :

اوحى الزعيم الى الجزيرة كلهـا   ان ليس يدرك بالكلام طـــلاب
يا هذه الامـم الضـعاف تـرويا   لاتنهضي صعدا وانـــت زغـاب
لاتقطعي ســببا ولا تتهـــوري   نزقا اذا لم تكمل الاســـباب
لاتدنُ من ظفر القـــوي ونـابه   ان لم يكن ظفر لديك ونـــاب

لان محاربة الخصـــوم في غير اوقاتها معناه الخسارة فيجب ان يستعـــد الشعب فقـــال :

واذا عتبت على القـــوي فلا يكن   الا باطراف الحـراب عتـاب(٣٠)

(٣٠) ذكرى السعدون ص ١١٩

وقد اغتنم محمود الملاح انتحار السعدون فجال جولة سريعة ذكر فيهـا فوادح البلاد العربية المتتالية في فلسطين وسوريا ومصر والمغرب ، اذ تئن العروبة من هذه المصائب المتوالية وكأن الشرق براكين هذه المصائب ثم ينظر نظرة الامل الباسم فيقول :

سينتبه النوام من غفـــلاتهـم قياما فلا يبقى على الارض هاجع

ثم يتطرق الى نكبة العراق وما اصابه ويهاجم الذين عارضوا السعدون في سياسته واضطروه الى الانتحار ، يقول :

اراد اناس ان يجاروه في العـلا وكيف يجاري الجون صفراء فاقع (٣١)
ضحية قوم مادروا كنـه فضلـه ولا عرفوا سر الذي هـو شـائع
ورب كريم ضاع بين معــاشر كعقـد نفيس فهو في الفحم ضائع

ويتحدى اولئك الذين انتحلوا الوطنية بالانتحار ، والملاح مسلم متـدين يعرف جيدا ان الانتحار اثم لايرضاه الشرع لذلك استرجع فقال :

فمن ينتحل من بعد ذا وطنيـة ولا ينتحر فهو الكذوب المخـادع
وليس مرامي ان تضحى خـلائق ولكن مرامي ان تضحى المنافـع
قياس صحيح لاينافيـه منطـق وان خالفتني في القياس المنـازع

ويطلب من الشعب العربي أن يتحمل كل جفوة حتى يتم له الامر ويصبح قـويا :

فياشعب قحطـان احتمل كل جفوة الى ان تماشي جانبيك المدافـع
وحتى ترى في ساحتيك فيـالق ينادون لا اسـتقلال الا المعـامع

ويريد الملاح ان يسمع رمزي مكدونلد رد فعل المصاب الذى حل بالعراق فيقـول :

دوت طلقة ليلا بآفاق دجلـة فيا (مكدونلد) هل لها انت سامع؟
تململ منهـا راكـد وتحركت شجون وهاجت بالنيام المضـاجع

---

(٣١) الجون ــ الفرس الادهم

وطلقة نار في مخارم شاهق | سيلقى صداها شاسع ثم شاسع
رأيت رخيصا كل ما الغرب قدموا | وهذا دم غال فهل انت قانع

وفي القصيدة التفاتة سريعة الى ما حل بالعراق من انتهازية فأثرى فيها الانتهازي والاجنبي ، اما ابناء البلاد الذين يتعففون عن الاثراء العاجل فقد اصابهم الطوى فقال :

تأثل ملكا فوقها كل ناكث | وصار له فيها قرى ومزارع
وأثرى باموال البلاد اجانب | ومات مدينا ربهن المدافع(٣٢)

ولم يكن انتحار السعدون عائقا عن انجاز ما صممت عليه الحكومةالبريطانية ووافق عليه الساسة في العراق اذ سارت المعاهدة في طريقها وعقدت في ١٦ من تشرين الاول سنة ١٩٣٠م وبعدها ادخل العراق في عصبة الامم عضوا مستقلا •

وقداقامت الحكومة العراقية مهرجانات رسمية خرجت فيها المدارس تنشد ان العراق أصبح مستقلا وأذكر ونحن طلاب في المدرسة الابتدائية ان خرجنا وطفنا في المدينة ننشد نشيدا منه :

بمثل اليوم يا عرب | دعاة المجد قد وثبوا
خيولا فوقها وثبوا | فنالوا منه ما رغبوا

غير ان النبأ لم يهز شعور الشعراء في العراق اذ لم اعثر على شاعر نظمفيهذه المناسبة غير حسين بستانه قال فيها :

بغداد وافتك البشائر فابسمي | وترنحي مسرورة وترنمي
ولتلبسي للمهرجان مطارفا | ولتخلعي ثوبالحداد الاسحم(٣٣)

وبعد دخول العراق عصبة الامم ساد العراق هدوء سياسي نسبي فقد حل محل النظام القديم نظام جديد حاول السيطرة على العراق سيطرة تامة بكل الوسائل لكي يخلق له وحدة اقليمية جديدة • وحدثت بعض الثورات الداخلية والرجات مثل ثورات العشائر فيالشمال والجنوب وثورةالآثوريين غير انالحكومات

---

(٣٢) ذكرى السعدون ص ١٢٢
(٣٣) جريدة العراق العدد ٣٨١٠ السنة الثالثة عشرة ١٩٣٢م

كانت تمنع تسرب الاخبار عنها الا النزر اليسير وكانت تقابلها بالشدة والقسوة لذلك خلت هذ الفترة من شعر منشور يمثل هذه الثورات الا النزر القليل الذي لايمكننا اعتباره ظاهرة جديرة بالدرس •

غير ان الاحداث العربية كان لها صدى عميق الاثر في اتجاهات الشعر العراقي جديرة بالدراسة فهي تمثل جانب الاحساس القومي بهذه الاقطار وقد كانت الاستجابة لمشكلات العرب اعمق من الاستجابة لغيرها من الاحداث فنحن نجد آثارا ظاهرة واضحة لفلسطين وتونس والجزائر ومصر وسوريا والاردن وعدن اكثر من غيرها • ومع ذلك فلم يخل الشعر العراقي من روح انسانية عالية فقد كانت حوادث الاستقلال والثورات على المستعمرين تجد لها صدى فقد استجاب للمشكلات الاسلامية والمشكلات الشرقية والمشكلات العالمية كاليونان والهند والصين •

والاستقرار النسبي العام كان سببا واضحا في اتجاه بعض الشعراء الى الوجهة الاجتماعية • وبذلك نجد الشعر التزم جانبا في صميم حياته الداخلية الاحداث الاجتماعية •

الفصل الخامس

اثر الحيـــاة الاجتماعية في الشعر

١ ـ مشــــكلات الحياة الاجتماعيـــة

التعليم ، الطب ، بوادر الاصلاح في العهـــد العثماني ، ســــبب التأخر الاجتمـــاعي في رأي الشــــعراء

٢ ـ مشكلة المرأة

الســــفور ، الحجاب ، التعليم ، حقــوق المــرأة ،

٣ ـ الفلاح والاقطاع

الفقــر ، والمرض ، والجهل ، الدخل ، السكن ، الاقطاع التعليم معالجة مشـــــكلاته

٤ ـ مشكلة الجهل

في ادوار الحكم ، نسبة التعليم معالجـــة الشــــعراء

٥ ـ مشكلة الفقر

اثـــرها في المدن ، اثر الدين الاسلامي في معالجتهـــا

مشكلات الحياة الاجتماعية

(١)

لاحظنا من الفصول المتقدمة اثر الحياة السياسية في الشعر ، وكيف استحوذت مشكلاتها على جزء كبير من تفكير الناس ، وشغلتهم عن معالجة المشكلات الاجتماعية . ومع هذا فقد كان هناك من يحس بضرورة اصلاح الحياة الاجتماعية وينعى على الناس هذا الاستغراق في السياسة والانصراف عن المجتمع ، فقد كتب الشيخ علي الشرقي ، يصف هذه الحالة بمقال منه (.. فلا نرى في الامة الا سياسيا وسياسة حتى كأن الجمهور العراقي كله طائفة سياسية ، فالسياسة في الجوامع والمخادع والمقاهي والاسواق والطرقات والمدارس وغرف المحاماة والثكنات العسكرية . فالبقال والفلاح ورجال العلم ورجال الدين والمحامون والضباط ورجال المال والحوذية وسواق السيارات كلهم ، سياسيون ، وكل العراق موجات سياسية وقد عمّ الطوفان السياسي حتى حانوت الخباز ..[١])
لان مشكلات الحياة السياسية كانت أشد بروزا للعيان ، واكثر تماسا بحياة الشعب بعد الاحتلال الانكليزي ، فقد أثرت تأثيرا كبيرا في حياته اليومية في رزقه وعواطفه ومشاعره . وهدد الطمأنينة في نفسه فقد شعر ان كرامته قد هدرت ، وامانيه العزيزة قد جرحت ، فهو عرضة للسجن والنفي والتشريد ، والتعذيب ، دون ان يعرف سببا لما ينزل به . فالمحتل بعيد عنه في الدين واللغة والتاريخ والتقاليد ، وكان هذا المحتل قويا ضاريا تؤثر قواه المادية والمعنوية في حياته ، وتسيطر عليها ، فيجب ان يكرس جزءا كبيرا من نضاله ليعيد الهدوء

---

(١) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٠ السنة الاولى ١٩٢٧

الى قلبه ، والامان والحرية والدعة لوطنه ، ويتخلص من الجنـــود الـــذين يسرحون على ارضه ، والطيارات التي تئز في سمائه ، ومن موظفيه الـــذين يتحكمون في مصيره وحياته ، فاتجاه الشعب نحو السياسة كان ضرورة حتميــة للتخلص من المستعمر ، الذي يقف حائلا دون اي اصلاح جذري .. فلا غرو ان عُزي كل تأخر للمستعمر .. ومشكلات العراق الاجتماعية لاتختلف عــن مشكلات البلدان المتأخرة الاخرى فهي الفقر ، والمرض ، والجهل ، ومشــكلة الاقطاع والفلاح ، والمرأة ، ولاتزال هذه المشكلات قائمة حتى الان ، برغم مــا بذل في اصلاح بعضها ، ولكنها لم تصل الى ما يهدف اليه العالم الاجتماعي بعد ، وقد كان لتوالي الغزوات على العراق اثر كبير عميـــق الاثر في تأخـــر العراق الاجتماعي . فالمستعمر تركيا كان ام فارسيا ام انكليزيا لم يكـــن يهمه غـــير استمرار حكمه فلم يعن بمشكلات البلد الداخلية ففي القرن التاسع عشر لم يكن في العراق غير مستشفى واحد ، ومن الطريف ان تكون مؤهلات مدير المستشفى البراعة في لعب الشطرنج ، فهو لاعب شطرنج ماهر لم يكن الوالي بقادر عـــلى الاستغناء عنه فأعطاه هذا العمل ليكون الى جانبه . وقد بقيت حالة العراق متأخرة حتى بعد الحرب العظمى الاولى فقد بدىء بانشاء اول مستشفى ، عام ١٩٢٨[٢] وبقيت اكثرية الشعب فترة طويلة تحت سيطرة المشعوذين والدجالين من محترفي الطب ، وغالبا ما تؤدي معالجتهم الى عمى العيون ، وجلد الابدان وموت المريض يضاف الى ذلك كله ما يصفه بعض الشيوخ من ذوي الطرق الـــذين يداوون المريض بالادعية والطلاسم والبصق في الماء[٣] ولما انتشر الوعي الطبي اخـــذت المستشفيات تنتشر في ربوع العراق حتى بلغت ٨٩ مستشفى[٤] . وقد بقيت حالة التعليم متأخرة في العهد التركي ولم تؤثر دعوات الاصلاح لانها كانت محدودة

---

(٢) مجلة عالم الغد العدد ٧ السنة الاولى مقال للدكتور معمر خالد الشابندر

(٣) لاتزال هذه المداواة لدى كثير من ابناء الشعب في القرى والارياف وهناك من يثق بالطب القديم حتى في المدن وبين المثقفين . وقد قتل أحد الشيوخ في لواء ديالى قبل سنوات احد المرضى بالاعصاب لاستخراج الروح الشريرة من بدنه فأدى ذلك الى سجنه .

(٤) نشرة الاحصاء الصحي والحياتي سنة ١٩٥٢ بغداد ١٩٥٥ ص ٣٦

الاثر ويساير اصلاح الفساد الاداري والخلقي ، وتحت ستار الدين الاسلامي خوفا من أذى الوالي الذي يعد النصيحة انتقاصا لكرامته حتى جاء دستور ١٩٠٨ فارتفعت اصوات الناس عالية تطالب بالاصلاح ، وتجرأت بعض الجرائد على السخرية من المرتشين والمستغلين[٥] • واخذت بعض الجرائد تنشر بعض الرسائل المفتوحة تشكو ماحل بالبلاد من تأخر شمل جميع نواحيها[٦] • وقد كان لتدفق جرائد سورية ومصر وتركية ، وما تحمل في طياتها من انباء التقدم والازدهار أثر في يقظة الفكر وازدهاره •

وعندما فتح الانكليز بغداد نشطت سياسة التعليم بتأسيس دائرة المعارف فقد وصل عدد المدارس في نيسان عام ١٩٢٠ الى تسعين مدرسة[٧] • وازداد نشاط فتح المدارس عندما تولى العراقيون الاشراف على سياسة المعارف حتى بلغ عدد المدارس التابعة لوزارة المعارف عام (١٩٥٣-١٩٥٤) مايلي :

نوع الدراسة	العدد
المدارس الابتدائية على اختلاف انواعها	١٤٥١
المدارس الثانوية والمهنية	١٤٣[٨]

واذا قورن هذا العدد بمساحة العراق ، وبعدد نفوسه ، فهو عدد ضئيل • ثم ان اكثرية هذا المدارس مركزة في المدن ، اما القرى والارياف فهي محرومة من التعليم ، ففي العراق ١٦٠٨ مدرسة تابعة لوزارة المعارف من مختلف درجاتها ولايوجد في القرى التي تحوي اكثرية السكان غير ٥٧٤ مدرسة[٩] ولم ترتفع نسبة التعليم في العراق عن ٨٪ (سنة ١٩٤٩) وكانت اعلى نسبة للتعليم

(٥) يلاحظ الفصل الاول
(٦) جريدة الرقيب العدد ١١٤ السنة الاولى
(٧)
Henry A. Foster, The Making of Modern Iraq (London 1936) P. P. 15,20.

ولكن تقرير وزارة المعارف ينص على وجود ٨٨ مدرسة
(٨) التقرير السنوي ص ٧
(٩) المصدر السابق

في لواء بغداد قد وصلت الى ١٨٪ وهو اللواء الوحيد الذى حصل على هذه النسبة المئوية • وقد تدنت في بعض الالوية الى ٣٪ والاحصاء التالي يعطينا فكرة عامة عن التعليم في العراق عام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ :

نوع الدراسة	عدد المدارس الذكور	الاناث	المختلط	المجموع	عدد الطلاب
الدراسة الابتدائية الرسمية	١٠٩٤	٢٥٦	١٠١	١٤٥١	٢٥٨٣٣٣
الدراسة الابتدائية الاهلية	٠٠٣٥	٠٠٣	٠٩٣		٠٢٠٢٦١
الدراسة الابتدائية الاجنبية	٠٠٠٠٥	٠٠٠	٠٠٥		٠٠١٧٨٤
المجموع	١١٣٤	٦٢٩	١٤٦	١٥٤٩	٢٨٠٣٧٨
الثانوية على اختلاف انواعها	٠١٤٧	٥٠	—	١٩٧	٠٤٦٤٦٣
المدارس المهنية على اختلاف انواعها	٠٠٠٨	٠٢	١	٠١١	١٨٧٤
دور المعلمين	٢	١	—	٣	٨٦٣
المعاهد العالية	٣	١	٨	١٢	٥٢٥٥
المجموع العام لجميع المدارس والدورات	١٢٩٧	٣٢٥	١٥٨	١٧٨٠	٣٣٥٧١٤ (١٠)

وقد أيقظ فتح الانكليز بمظاهره المادية الفكر العراقي برؤيته مستوى عاليا من الحياة لم يره عند جنود الدولة العثمانية كالنظافة والاناقة وكفاية في المال • وكانت مجالا واسعا للمقارنة بين الجيشين وتمنى المثقفون ان ترتفع حالة الشعب المادية وان ينتبه على صوت سنابك خيل المحتل ووطء احذيته على ارض الوطن ••

اما الادب فقد تغير مجراه العام ورافده الذي كان يتسرب فيه ، فابتعد عن خدمة السلطان والوالي والحكومة واتجه للشعب وخدمته ، واصبحت للشعب منزلة محترمة وبدأ الشعراء وقادة الرأي في معالجة مشكلاته الاجتماعية

(١٠) التقرير السنوي عن سير المعارف ١٩٥٣ – ١٩٥٤ بغداد ١٩٥٥ ص٦

والسياسية لرفع شأنه وخلق شعب قوي صحيح غني مثقف . وقد كانت هذه المشكلات الاجتماعية متشابكة مع المشكلات السياسية . وكان الشعب جاهلا مريضا فقيرا . والشعب الضعيف المتأخر ، المتخاذل لايقدر على اصلاح نفسه لان قوة الشعب تأتي من قوة افراده ومتى قدر الضعيف الواهن على المقاومة والنضال لاستخلاص حقه .. والمؤلم ان هذا الشعب يملك ارضا تفيض بالخيرات خصبة تتدفق فيها الانهار وتضييع خيراته ويذهب ماؤه عبثا .. لان المستعمر الدخيل حال دون استغلال هذه الثروات . قال الصافي النجفي مستنكرا ذلك بقوله :

مااللفرات يسيل عذبا سائغا — عجبا ، وورد بنى الفرات أجاج
الفقر احدق في بنيه وانما — ماء الفرات العسجد الوهاج
جاءته (حوت البحر) ظامئة له — أو ماكفاها بحرها العجاج
قد شب فيها نفطنا نارا فهل — يطفي لظاها ماؤها الثجاج
والنفط يجري في العراق ومالنا — ليلا سوى ضوء النجوم سراج

ويتهكم على الاستعمار الذى كبل الشعب ويقول انه مطلق السراح يفعل مايشاء بحرية تامة بينما هيمنت رقابته على كل صغيرة وكبيرة ليسيره حسب ما يريد ويهوى :

قد اثقلوه من القيود بمرهق — واحاط فيه من العداة سياج
زعموه مختارا وقد وضعت له — تحت الصوارم والمدى اوداج
ايكون ذا رشد بعقد عقودهم — وبغير ذاك لقيمّ يحتاج ؟
نمّ الخداع بما تكن صدورهم — ان الخداع لدى اللبيب زجاج
اسروا العراق وكم فدينا انفسا — عنه ، فهل لأسيرنا افراج ؟

ويبعث الامل في نفس الشعب ، ويدله على الطريق السوي في سبيل حقه بالمطالبة الملحفة وبالشجاعة والاقدام ويضرب له الامثلة من عبر الايام التي حطمت العروش وسحقت التيجان لان الشعب لم يكن ركيزتها فقال :

لا تيأسن من اللجاج فانما — سبل الحياة شجاعة ولجاج
لاتيأسوا فالحادثات بمرصد — ولكم هوى عرش وحُطمّ تاج

(١١) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٥٦ السنة الثانية ١٩٢٨ والامواج ص٥٠

وكان التأخر والانحطاط مهيمنين على ربوع العراق وليس هناك من يصلحه لان المتحكمين في مصير الشعب هم الدخلاء والانتهازيون وخشي الشعراء ان يصرحوا بذلك خوف اذى السلطان ومكره ، وبطش القوة وقساوتها فانصرفوا الى تقريع الشعب الذي تحمل الذل صابرا ، وما ثار ، واسترد حقه ، واصلح امره بقوته .
فعندما جاء امين الريحاني الى بغداد عام ١٩٢٢ ، كان الامل يملأ قلبه من ذكريات بغداد في عهدها الذهبي الزاهر ايام كانت مشرق الامل للعالم في الحضارة والرقي والتقدم وقد صدمه واقعها المرير الحاضر فنظم الرصافي قصيدة يرحب به ويعتذر اليه عما حاق بوطنه فقال :

أأمين جئت الى العراق لكي ترى ... ما فيه من غرر العلى وحجوله
عفوا .. فذاك النجم اصبح آفلا ... والقوم محتربون بعد افوله
اما الحيا فذياك الحيا ... لكل مسيل الماء غير مسيله
وربيعه ذاك الربيع وان شكا ... من جهل ساكنه اشتداد محوله

وكانت نفس الرصافي تفيض حسرة وهو يعدد مصائب العراق التي تدمي القلوب اسى وتملأ القلوب لوعة فقد اصبح القطر الذى كان يدوي صيته ويزهو برقيه وحضارته وعمارته في مباءة للاختلاف والتنازع ووكرا للتنابذ والتناحر والبغضاء والشقاق . فالجار يخشى من جاره ، والصديق يشك في اعز اصدقائه واهليه ، فقد اختلف ابناء الوطن الواحد واصبحوا كتلا وجماعات فالنصراني يشك في سلامة نية المسلم ، والمسلم لا يطمئن للنصراني ، وقد بلغت الفوضى حدا لم يبلغه قطر من اقطار المعمورة فقد انتهكت حرمة العلماء والاساتذة ولم تبق لهم كرامة او قيمة وخشي العلماء الافذاذ واصحاب الرأي فيه ابداء آرائهم لفساد الاحوال وتدنيها كيلا يتهموهم بالمروق والكفر وبالخروج عن تعاليم الدين .. انه لوضع مؤلم وآلم منه الاعتراف به .. لكن مما يخفف عن النفس احزانها وعن النفس شجونها وشجوها ومن القلب لوعته واساه أن يسجل الشاعر ما يحتبس في صدره ويجد تعليلا لهذا الامر كله يقدمه للريحاني ، هو ان العراق لا يتصرف حسب اهواء ابنائه ورغباتهم ، انما هي توصيات العميل المستوردة وشعب هيمن

عليه المستعمر لن ينال الخير والرفاهية فقال :

من اين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لاخير في وطن يكون السيف عند جبانه ، والمال عند بخيله
والرأي عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيره ظلما ، وذل كثيره لقليله[١٢]

وقد كانت آراء الرصافي سائدة بين شعراء هذه الفترة مثل عبدالحسين الملا[١٣] وعلي الشرقي[١٤] وصالح الجعفري[١٥] وعبدالحسين الازري[١٦] ومهدي الجواهري[١٧] فكلهم يرجع سبب تأخر العراق الى المستعمر الذى رتع بخيرات الوطن ، وتصرف بجميع مقدراته دون ان يحس بمايعانيه ابناؤه من الشقاء ، فقال كمال نصرة بصراحة تامة يصف فوز الاجنبي وتنعمه بالعراق :

بلادي بها فاز الغريب بقصده فما خانه جد ولا عز مطلب
له راتب ضخم وعيش مرفه وامر مطاع واحتكام ومنصب
وان له عند الحكومة حرمة وقدرا تسامى وهو منها مقرب
أفي الحق ان نشقى ويسعد غيرنا ويغصب منها الحق والرزق يسلب[١٨]

وصور علي الخطيب آلام الشعب العميقة تحت وطأة الدخلاء والمستعمرين الذين اكتسحوا ارضه ونعموا بخيراته دون ان يصلحوا من امره ويرفعوا من مستواه عندما اختلطوا به ، وهز قلبه انينه وبلواه فقال :

---

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤١٥_٤١٧ . سمعت ان الملك فيصل لما سمع (والحكم عند دخيله) ترك محل الاحتفال احتجاجا

(١٣) جريدة النهضة العراقية العدد ١١٦ و١٢٦ السنة الاولى والعدد ٢٨٢ السنة الثانية من سنة ١٩٢٨

(١٤) المصدر السابق العدد ١٤ السنة الاولى ١٩٢٧

(١٥) النجف العدد ٤ و٥ السنة الثانية سنة ١٩٢٧

(١٦) جريدة النهضة العراقية ١٩٢٨/١/٩٧ والزمان ٩٢٨/١/٣٩

(١٧) المصدر السابق العدد ٩٢٨/١/٢٦٠ وجريدة المفيد العدد ١٩٢٤/٢/٢٥٧

(١٨) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٨٢ السنة الثانية ١٩٢٨

فخالط الشعب واسمع ما يئن به   وافسح مجالك للمظلوم بالكلم[19]

والقى بعض الشعراء تبعة تأخر العراق على ابناء الشعب ، الذين شاركوا المستعمر في حكمه فقال (ميمون بن قيس) - ولعله خيري الهنداوي - يخاطب الوطـــن :

حتى بنوك مع الدخيل عليك متحـــدي الايادي

ويصم ابناء الوطن بالخور والضعف ، لانهم لم يقاوموا المستعمر واذنـاب المستعمر الذين عميت قلوبهم عن مصالح وطنهم ، ونفذوا رغبات الدخيل دون تفكير ، فهم المسؤولون عن كل ما حل بالبلاد من فساد وفوضى ، فقال :

هـــم علة الوطن العزيز وهم جراثيم الفساد[20]

وقد أكد هذا المعنى محمود الملاح في شعره ، ومن طريف شـــعره بيت قـال فيه :

الخير في هذي البـــلاد مقســم   بين المساتر من (سمث) و(كوك)

ويرجوك الشاعر ان تتلمس الواقع بنفسك في الاسواق بالاحتكاك بابناء الشعب وتسقط حالته الاقتصادية والعلمية .. وماوصلت اليه من التدني والتأخر فيقول:

انزل الى الاسواق تلق متاجـرا   اربابها في رثـــة الصعلـــــوك
العامـل المســكين يبذل جهـــده   ويعيش عيش البائس المنهـــوك
والعلم في اوطـــــاننا متقهقـــر   مغمورة ارجـاؤه بالنـــــوك[21]

اما مصطفى جواد فقد حار في امره واندهش من تصرفات الدخيل الـذي

---

(١٩) جريدة الزمان العدد ٤٤ السنة الثانية ١٩٢٨

(٢٠) مجلة المعرض العدد المزدوج ٩ و١٠ السنة الثانية ١٩٢٧

(٢١) جريدة البلاد العدد ١١٠/السنة الاولى/١٩٣٠ وجريدة النهضة العراقية العدد ٢٩٧ السنة الثانية ١٩٢٩ له قصيدة اخرى

(٢٢) جريدة النهضة العراقية العدد ١٣١ السنة الاولى ١٩٢٨ وله قصيدة في العدد ٦٨ من السنة نفسها .

ظن نفسه صاحب الدار ولم يرع لرب البيت حرمة • فقد تنعم بالخيرات وترك الفضلات لاصحاب النعم الذين هم احق بها منه ولم ير سبيلا الى التخلص منه بغير الطرد والضرب والصفق فقال :

فاعجب بضيف صار للدار صاحبا وتعسا لهقد باءبالطرد والصفق[٢٢]

وقد وجه الصافي النجفي لومه للشعب لانه هو الذى خلق الحكومات ولو كان الشعب عادلا لما جاءت الا حكومة عادلة ترحمه وترأف به • ولكن متى كان الشعب ظالما كانت الحكومات التي تحكمه ظالمة مثله فقال :

دافع الشـعب بالحكومة ان يظـ لمك وادفع بالشعب ظلم الحكومة
واحذر الكل فالحكومة بنت الشـ عب خلقا والشعب ام ظلومة

ثم يعزو تكوين الحكومات الظالمة الى ظلم الشعب وعدم نضجه فيقول :

ان ظلم الشعوب سوى الحكومات وانشى لنا الطقوس القديمة
فنرى الشعب للحكومة لايحـ تاج لو كان ذا قلوب رحيمة
فالحكومات مثل اشواك سم انبتتها ارض الشعوب الوخيمة

ونصح الشعب باصلاح خلقه حتى يمكن ان تلغى الحكومات فقال :

اصلحوا خلقكم لتلغى الحكوما توعيشوا ذوي قلوب سليمة[٢٣]

وهذه القاعدة صحيحة متى كان الشعب قادرا على ان ينتخب حكومته من صميم ابنائه اما الحكومات العراقية فلم تكن تختار الا بارشاد من حكومة بريطانيا وليس للشعب اى رأي في اختيارها •• ولكن يأسه من اصلاح الحالة العامة دفعه لالقاء اللوم على الشعب •• بعد ان رأى عدم عناية الحكومة الحاكمة باموره وعدم ثورة الشعب على الحكومة الظالمة الاجنبية •

---

(٢٣) الامواج ص٦٤

مشـــكلة المـرأة

(٢)

من الفترات الحالكة التي مرت بها المرأة في العراق هي فترة القرن التاسع عشر[١] واوائل القرن العشرين فقد كانت محجبة لايسمح لها بالخروج من الدار الا في النهار وتحت مراقبة شديدة ، وقلما كنا نرى امرأة مسلمة تمر في السوق بل ان مجرد سماع العراقيين ذلك يهز اعصابهم ويخيفهم[٢] واذا ارادت الخروج كانت تسدل عليها العباءة السوداء او العباءتين وتتبرقع ببرقع اسود لايرى منه شيء وعليها ان تمر في الدروب الضيقة والازقة المتعرجة وتتجنب المحلات العامة والمقاهي واذا لم يكن غير طريق واحد كانت امهاتنا يطلبن الينا ان نسبقهن الى المحل الـــذي سنزوره كيلا يعرف الرجال من مصاحبتنا لهن هويتهن وقد يبلغ التعصب بالرجل ان يمنع زوجه الخروج من البيت لاي سبب وقد سمعت احد الشـيوخ قبـــل سنوات يتحدث مفاخرا بان زوجته لم تر عتبة الباب وخير وصف لحالتهن قول محمد بسيم الذويب :

ظلموك ، سجنوك زوجـــوك　　　شـــر زوج في الوجــــود
قائلا زوجي لا تخــــرج الا　　　يوم تدعــوها اللحـــود[٣]

ولايزال بعض الرجال يخجل من ذكر اسم الام او الزوجة او الاخت

---

(١) الشعر العراقي في القرن التاسع ص٢٤

(٢) Foster, H., The Making of Modern Iraq (London 1938) P. 217.

(٣) مجموعة خطية بقلم الشاعر في مكتبتي الخاصـــــة ويلاحظ ديـــوان الزهاوي ص٢١٦

امام الغرباء ، ولما انبثق القرن العشرون ودوى صوت قاسم امين في مصر تردد صدى صوته في العراق ، فقد طالب بوجوب تعليم الفتاة وتخفيف الحجاب او رفعه عنها واعطاءها حقوقها الاجتماعية ، وحريتها الطبيعية مستندا الى تعاليم الـــدين الاسلامي التي تمنح المرأة مثل هذه الحقوق[٤] وقد ساعد على نشر هذه الآراء عناية الجرائد المصرية بها والرد عليها ونشر اخبار المؤيدين لها • وكانت هذه الجرائد تصل العراق[٥] وتؤثر في القراء فكان منهم المستحسن والمهاجم وقدانقسم الرأي كانقسامه في مصر ، فنادى بعض القوم بوجوب تعليم المرأة واعطاءهـــا حريتها ، واعتبارها انسانا لها ما للرجل من حقوق وواجبات ، وافساح المجـال لها لتكون عضوا عاملا لبناء المجتمع في العراق واتخذ الدين الاسلامي وتعاليمـه سندا لهذه الآراء وضرب الامثلة الحية من تاريخ العرب • فقد حاربت النســاء مع الرسول وظهرن سافرات معه وذقن آلام الاسر والتعذيب كالرجال •

اما الذين كانوا يقفون امام التيار فاكثرهم من رجال الدين الذين يرون في سفور المرأة واختلاطها بالرجال خطرا سيكلف المجتمع مشكلات خطـــيرة وعدّوا السفور مخالفا لتعاليم الدين الاسلامي ، وقالوا بان السفور يقود الناس الى المجون وان اباحة النظر للمرأة سيهدم القيم الاجتماعية ، وقد اتهم دعاةالسفور بأنهم دعاة فساد يريدون التمتع بالمرأة دون قيد او شرط وهذه امور لاتقرهـــا التقاليد العربية ، ودعاة السفور كفار ، وذكروا في دفاعهم فوائد الحجاب فهـو يصون المرأة من الفجور ويكسر حدة الشهوة الجنسية[٦] وغير ذلك من الحجج

كانت دعوة السفور دعوة جديدة هاجمت معايير المجتمع العراقي التياصطلح

(٤) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر للدكتور محمد حسين (القاهرة ١٩٥٤) جـ١ ص ٢٧٧ خير من كتب في هذا الموضوع ولاحظ الاتجاهات الادبيــة تأليف انيس المقدسي جـ٢ ص٤٨

(٥) كان عدد ما يرد الى العراق اسبوعيا نحو خمسة آلاف نسخة بضمنهـــا الجرائد غير العربية يلاحظ مقال عن الصحافة في جريدة البلاد الصادر في٧ شباط ١٩٣٥ ومقال عن (اثر الصحافة المصرية) في (دار السلام) العدد ١٩١٨/١/٨

(٦) تنوير الافكار العدد ٣ السنة الاولى ١٣٢٨هـ

عليها وارتضاها لذلك كان من الصعب عليه ان يتخلى عنها بسرعة لانها دعوة لم يألفها من قبل ، واهتز لها واضطرب وعاش في دوامة من الحيرة والقلق لانه كان بين نارين : العقل ومتطلبات الواقع من تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، وبين التقاليد والتربية الاجتماعية التي ألفها الفرد • ومشكلة المرأة مشكلة حساسة في المجتمع العراقي الذى يرى أي خدش في كرامتها خدشا لكرامته ولكرامة الاسرة كلها • والاسرة العراقية متماسكة كل التماسك فأي عار يصيب امرأة من الاسرة فهو يصيب الاسرة كلها ، ويمنع المجتمع العراقي المرأة التحدث مع الرجل الغريب فكيف بالخروج معه ومخالطته والعمل معه • لذلك فقد وجدنا حتى الداعين الى السفور أرادوه بشروط كيلا يؤذوا مشاعرهم الاجتماعية التي نشأوا عيها فقد طالبوا بتعليم المرأة ومراقبتها وان يكون سفورها محددا بالوجه متعللين بالخوف من نكسة تصيب المرأة وطالب قسم بتعليم المرأة اولا ثم سفورها حتى تتمكن من المحافظة على نفسها من الرجال •

وقد كان على رأس المناصرين لحركة تحرير المرأة الرصافي والزهاوى فقد نظم الرصافي قصيدته التائية عام ١٩٠٩ وقد آزرته جريدة الرقيب ومما قالته (ان حالة المرأةفي مدينة بغداد حالة يستحي القلم من تحريرها لانه لايوجد بينهن واحدة من عشرة آلاف من تحسن القراءة ، والسبب الاعظم هو تعصب سادتنا علماء الدين ضد تعليمهن ••)(٧) وقد كان لهذه القصيدة اثر كبير في الحياة الاجتماعية العربية فقد تناقلتها الجرائد السورية وبادر بعض الشعراء يرد عليها مفندا آراءها محرما تعليم المرأة لعدم قدرتها على التعلم ولانها من

---

(٧) جريدة الرقيب العدد ٧٤ السنة الاولى ١٩٠٩ العدد الصادر في ٦ (ذي الحجة ١٣٢٧هـ)

(٨) المصدر السابق

(٩) حدثني المرحوم الاستاذ خيري الهنداوى ان المرحوم يوسف العطار ـ من ابرز رجال الدين آنذاك ـ استغل قصيدة الدفاع عن السفور عندما هجاه الرصافي فذهب الى الملك علي وكان يؤثر رجال الدين واقنعه بكفر الرصافي وطلب اليه معاقبته بقطع راتب قدره ٥٠٠ روبية كان يتقاضاه بتأثير اخيه الملك فيصل بعد ان اقسم عليه بقطعه

سقط المتاع[8] وقد استمرت هذه الدعوة طويلا ولم تنته • مع ان المرأة قد حصلت على كثير من حقوقها ، وقد جرت بعض المتاعب على الرصافي ، وديوان الرصافي يطفح بمؤازرة المرأة حتى انه افرد لها بابا اسماه (النسائيات) اضافة الى وجود بعض قصائد فيه[11] وقد بحث الرصافي جميع مشكلات المرأة الاجتماعية فكان اجتماعيا وخبيرا بهذه المشكلات ، ولم يكتف بمشكلة المرأة في العراق ، انما ساهم في البحث عن مشكلتها في الشرق ، فذكر غمط الرجل لحقوقها واحتقاره لها وجهلها الذى جر الى ذل الشرقيين وشقائهم[12] ولما ارسل قصيدته الى صاحبة مجلة (الخدور) شكا لها سوء حالة المرأة في العراق كثيرا وشبه المرأة كالنخلة اذا لم تكن قوية فلن يكون ثمرها يانعا طيبا[13] وبحث في مشكلة حرية الزواج التي اشترطها الدين الاسلامى والتقاليد العربية الاصيلة ولم يمنحها المجتمع لها منذ حجبها عن الرجل ، فمنعها من اختيار شريك حياتها فلايراها الا ليلة البناء وقد يكون عجوزا اشيب اغرى اسرتها بالمال او بالجاه او كان للاسرة مصالح في هذا الزواج فقال :

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم   اذ أكرهوك على الزواج بأشيبا[14]

والطامة الكبرى ان تمنع حتى من ابداء رأيها بهذا الزواج لان رفض المرأة يعد عارا عليها وعلى أسرتها • وقد تحدثت مع احد ابناء الجيل الذى سبقني بهذا الامر فقال بصلف وكبرياء ، لم تأتنا البنت التي تجرؤ على رفض رغبة اهلها • لذلك هاجم الرصافي هؤلاء وتساءل كيف تحب الزوجة زوجها اذا زفت اليه غصبا ولن يسود الوئام والسعادة بين الاسر الا بافساح المجال امام تعليمها وسفورها حتى تختار من تريد فتملأ بيت الشرقي بالسعادة فقال :

---

(١٠) ديوان الرصافي ص ٣٣٢ـ٣٤٥

(١١) ديوان الرصافي ص ٥٤ و١٥٦

(١٢) ديوان الرصافي ص ٣٣٢

(١٣) المصدر السابق ص ٣٣٤

(١٤) المصدر نفسه ص ٣٣٦

هل يعلم الشرقي ان حياته تعلو اذا ربى البنات وهذبا
وقضى لها بالحق دون تحكم فيها وعلمها العلوم وأدبا[١٥]

ويتخذ من ظهور كتاب (السفور والحجاب) للآنسة نظيرة زين الدين سببا يتحدى به الرجال ـ الذين يناوئون السفور ـ ان كان بينهم رجل يحاكي المؤلفة ذكاءا وعلما وادبا[١٦] وهي نموذج رائع على قدرة المرأة المسلمة على التعلم وعلى الحرية[١٧] وقد افرد للمرأة المسلمة قصيدة وصف فيها جهلها وبؤسها مع ان الاسلام يفرض تعليمها . ولعل الثانية هي الجامعة لكل رأي في سفور المرأة فقد حشد فيها الادلة والبراهين والشواهد لتأييد رأيه في سفور المرأة واعتبرها المدرسة الاولى التى يجب ان يعنى بها لينشأ الطفل مهذبا مثقفا ويحزنه انحطاط المرأة المسلمة فيخاطب ام المؤمنين عائشة زوج النبي ويشكو اليها ماحاق بالمرأة ، ويرد على المدعين بان الدين الاسلامي منع تعليم المرأة فقال :

وقالوا شرعة الاسلام تقضي بتفضيل الذين على اللواتي
لقد كذبوا على الاسلام كذبا تزول الشم منه مزلزلات

ويقرع المسلمين الذين لم يلتزموا بتعاليم الدين الاسلامى لانصرافهم عنه فظنوا ان منع المرأة من حريتها من صلب الدين ولم يقتدوا برسول الله ولابنسائه وعناية السيدة عائشة بالعلم فقال :

---

(١٥) القصيدة نفسها
(١٦) ديوان الرصافي ص ٣٣٤
(١٧) السفور والحجاب محاضرات ومناظرات تأليف الانسة نظيرة زين الدين بيروت ١٩٢٨ لاحظ الصفحات ١٤٨ و٢٧٥ و٢٨٠ بشأن شعراء العراق وكتابه . وقد اثنت الكاتبة على الرصافي وعلقت على شعره واستحسنته ص ١٤٨ وقد جاء في الكتاب على حرية السفور وحرية العمل في الاسلام وناقشت آراء مستحسني الحجاب واستندت الى القرآن والحديث واخبار العرب وشعر شوقي واسماعيل صبرى والرصافي والزهاوى وحافظ واعلام الاصلاح الديني مثل الافغاني ومحمد عبده وبرهنت على القابلية الكبيرة في تعاليم الدين الاسلامى على السفور وحرية المرأة وحقوقها .

اليس العلم في الاسلام فرضـا على أبنـائه وعلى البنـات
وكانت أمنـا في العلم بحـرا تحل لسائليها المشـكلات[١٨]

وقال ان تعاليم الدين قد نصت على تعليم المرأة واعطائها حقوقها وفي التاريخ العربي خير برهان ويشير الى حياة المرأة البدوية الحاضرة ولا يكتفي بذلك بل يلقي قصيدة يدعو فيها الى رأيه في احد الاحتفالات يندد فيهـا بجماعة الحجاب ويهاجم المحافظين والمتعصبين فيقول :

الاما لاهل الشرق في برحـاء يعيشون في ذل بـه وشـقاء
لقد حكموا العادات حتى غدت لهم بمنزلـة الاقيـاد للاسـراء

وفي القصيدة يقول :

الم ترهم امسوا عبيدا لانهـم على الذل شبوا في جحور امـاء
اقول لاهل الشرق قـول مؤنب وان كان قـولي مسخط السفهـاء
الا ان داء الشرق مـن كبرائه فبعداً لهم في الشرق من كبراء[١٩]

ويلاقي الرصافي حملة عنيفة من الحجابيين ويسمونه المارق والتافه الذى خرق العادات وغير ذلك من النعوت مثل قول ابراهيم الرحيمي :

تجاهلت في كل الامور سفاهـة وما انت الا تافه الـرأي جاهـل
خرقت بنظـم الشعر عادتنا التي بها تحمد العقبى وترضى الاوائل[٢٠]

ومن الشعراء المشهورين الذين هاجموا الرصافي ، محمد السماوي ولـم أطلع على قصيدته غير انني وجدت قصيدة لخيري الهنداوي يرد بها على السماوي الذى قال بان المرأة ناقصة عقل ودين ولايجوز ان تمنح الحرية لانها لاتحسن استعمالها (بنفس البحر والروي) :

---

(١٨) ديوان الرصافي ص ٣٣٩ـ٣٤١ وقد القى هذه القصيدة عام ١٩٢٢
(١٩) ديوان الرصافي ص ٣٤٤
(٢٠) الناشئة الجديدة العدد ١٧ السنة الاولى ١٩٢٣

تقـــــول بنقصـهن اذاً فلم لا تكـمل بالعلـــوم الناقصـــــات
وهــل عدت سكينة حين تبــدو وتنتقد الكلام من الســـراة[٢١]
وهل عدت صفية يوم قـــامت لقتـل العلج كالمتبرجـــات[٢٢]

ورد على قصيدته الهمزية عبدالحسين الازري فخاطب فيها بنت بغـــداد (كريمة الزوراء) وحذرها من شاعر خيالي بعيد عن واقع الحياة هو الرصافي ، ووقف موقفا وسطا فهو ما اراد ان تسفر الفتاة فقال :

أولم يروا ان الفتاة بطبعهـــــا كالمـــاء لم يحفظ بغـير انــــاء
من يكفل الفتيات بعـد ظهورهـا مما يجيش بخاطر الســــفهاء
ومن الذي ينهى الفتى بشـــبابه عن خدع كل خريدة حســـناء

ولكنه ارادها ان تتعلم وتتثقف على شريطة الاحتفاظ بالنقـــــاب حتى لاتختلط بالرجال فقــال :

ليس الحجاب بمانع تهذيبهـــــا فالعلم لم يرفـــع عـلى الأزيـاء
اولم يســغ تعليمهـــن بدون أن يملأن بالاعطـاف عين الــرائي

لان السفور يملأ قلوب الرجال عشقا وفتنة ، وعلى ابناء الوطن الحذر من دعاة السفور لانهم كاللصوص يريدون ان يعيثوا بالوطن فسادا فقال متسائلا :ـ

ماذا يريبك من حجاب ســـاتر جيد المهاة وطلعـــة الذلفـــاء
ماذا يريبك من ازار مـــــانع وزر الفـؤاد وضلة الاهـــواء

ويقول صراحة ان اجتماع الفتاة بالفتى مجلبة للهوى :

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى لو اصدقتك ضمائر الجلساء[٢٣]

---

(١١) السراة المتبرجة
(٢٢) ديوان خيري الهنداوي(المخطوط)
(٢٣) الادب العصري جـ٢ ص ٥٥ و٥٦ وقد جمع مصطفى عبدالجبار القـــاضي (مختارات في الحجاب والسفور) وطبعها في بغداد سنة ١٩٢٤ واعاد نشر هذه القصيدة وقال في مقدمة لها (وحري بكل اديب او اديبة يحبان العفة والفضيلة ان يجعلا هذه المنظومة دستورا لتعاليم الفتاة الشرقية) ص ١٣٠

ولعل أعنف رد على الرصافي هو رد صديقه محمد بهجة الاثري فقد هاجمه عندما نظم قصيدته العينية[٢٥] فقال ان الرصافي طالب خلاعة وانه جاهل ثم رماه بالكفر والضلال والمروق ومن الطريف ان ينشر الرد في جريدة الرصافي (الامل) ويرد عليه الرصافي ردا لطيفا هادئا ويعذره فيما ذهب اليه ، لانه حماس الشباب دفعه الى ماقال وختم مقاله بالرجاء له بالخير[٢٥] وقد صدق جانب كبير من رجاء الرصافي فقد وجدت في مجموعة شعر الاثري الخطية قصيدتين احداهما نشرت في مجلة الرسالة العدد ١٣٣ وصف ماتعانيه المرأة من مشاق وعذاب ووصف في الثانية الرجل الذي اذا بشر بالانثى (ظل وجهه مسودا وهو كظيم). وان لم يكن الاثري فيهما من دعاة السفور فان فيهما دعوة الى انصاف المرأة قال :

عجبت للمرء وكم داعية للعجب
ان بشروه بابنة يبت صريع الغضب

وكان الزهاوي مندفعا في تأييد حقوق المرأة وسفورها فقد قال عنه رفائيل بطي انه نشر مقالا في جريدة المؤيد الاسبوعية المصرية في عددها ٦١٣٨ بعنوان (المرأة والدفاع عنها) ولم يكن المسلمون على استعداد لتقبل هذه الآراء فقامت ضجة هاج لها المسلمون واشاعوا بان الشاعر تحامل على الدين الاسلامي في مقاله وذهبوا متجمهرين الى والي بغداد العثماني وطالب احد المبعوثين[٢٦] والي بغداد عزل الشاعر من وظيفته فاجيب الى ماطلب ولزم الزهاوى داره خوفا من اذى الناس[٢٨] ولنعد نتلمس بعض الحقائق ونر الجو الذي احاط بالزهاوي فنقرأ مقاله في جريدة الرقيب والذى وجهه الى « ناظم الحكومة في بغداد » فقد قال فيه « ..اسمع ان أحد المشايخ المتلبسين بالتقوى في بغداد ـ هذا البلد الذى يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقي ـ اخذ يدير رحى فتنة ، فقام يحرض الجاهلين على

---

(٢٤) ديوان الرصافي ص٣٣٤
(٢٥) جريدة الامل العدد ٦٣ السنة الاولى ١٩٢٣
(٢٦) السيد مصطفى الواعظ
(٢٨) الادب العصرى ج١ ص٩ ويلاحظ المقال في عدد (المؤيد) المرقم ٦١٣٨ الصادر في السابع من اغسطس ١٩١٠

الايقاع بي باسم الدين البريء من الظلم جزاء مقالة اجتماعية نشرت بامضائي في المؤيد الاسبوعي ـ كما في تنوير الافكار ـ دفاعا عن المرأة .. » ثم اخذ يشكك بكاتب المقال وشخصيته فقال « ... وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها لم يتعين بعد أكاتبها أنا ؟ أم هي مزورة علي لساني من عدو لي في العراق ؟ والذى ارجو من الحكومة الدستورية ان لاتقتص من الصابغين اكفهم بدمي اذا كان مايريده المحرضون ـ اظنهم اكثر من واحد ـ بل تعني بتعليمهم وانقاذهم من الجهل لئلا تمتد ايديهم في المستقبل الى منكد آخر مثلي يتمنى في كتاباته اصلاحا للامة اجتماعيا ..»[٢٩] وقد نظم الزهاوي قصة ذكر فيها ان الناس تجمهروا ثم جاءوه غضابا صاخبين وكان منظرهم مضحكا كما وصفه الزهاوى فهذا سائر على مهل وذاك يحبو وذاك يعدو وذاك يقفز[٣٠] وكأنهم ذاهبون الى دعوة فرح لا الى الانتقام من شخص كافر ملحد ، وقد كرر الزهاوى هذا المعنى في قصيدة اخرى وعزا تجمهر الناس الى احد رجال الدين الذى اوغر صدورهم بانه زنديق ومن يفتك به يدخل الجنة[٣١] .

هذه ثلاثة مراجع ذكرت تألب الناس على الزهاوي وتظاهرهم ضده للفتك به وقتله وهدر دمه ولنناقش هذه المصادر وقضية المظاهرة ضد الزهاوي :

المصدر الاول رفائيل بطي وقد اخذ معلوماته من الزهاوى مباشرة وقد صاغ الزهاوى ما اراد واسبغ على نفسه ما اشتهى وهو لايخرج عما نظمه الزهاوي

المصدر الثاني ما كتبه الزهاوي في جريدة الرقيب وفيه يعبر عما حدث له من آلام شاكيا للوالي طالبا حمايته متبرئا من اقواله وليس في النص شيء عن تجمهر الناس وقيام مظاهرة وانما هناك من يحرض الناس للايقاع به .. وهذا كثيرا ما يحدث .. فالمصدر الاول والاخير عن قيام مظاهرة ضد الزهاوى هو الزهاوى في شعره ونثره .. وليس من المعقول ان تحدث مظاهرة ضد الزهاوى ولاتقف بجانبه جريدة الرقيب وتسنده كما ساندت الرصافي . لذلك فانا في شك

---

(٢٩) جريدة الرقيب العدد ١٧٢ السنة الاولى ٧ شوال ١٣٢٨هـ
(٣٠) ديوان الزهاوي (مصر ١٩٢٤) ص ٣٠٧ الى ٣٠٩
(٣١) نفس المصدر ص٩٠ الى ١٩٣

مريب من حدوث مثل هذا الامر وكل ما حدث للزهاوى ارسال كلمة تهديد مغفلة التوقيع[٣٢] فصور خياله حدوث مظاهرة تريد الفتك به فنظم قصيدة رسم ما تخيله فيها واستحلى الامر وكرره واعتقد هو بصحته وقد يرد قائل لم يعزله ناظم باشا من منصبه والجواب عنه بان الزهاوي كتب المقال ولم يتفق مع رأي ناظم باشا وربما استرضى بعض رجال الدين وقد كان ضد الزهاوي لانه كان يكره الاتحاديين الذين كان الزهاوي منهـــــم ولــكن لم تحدث مظاهرة ضد الزهاوي .. ولو كان الرأي الى نشر شعره ثم ان الرقيب آزرته بمقال نشر في ٦ ذى الحجة ١٣٢٧ ونشــــر الزهاوي قصيدته ثم كلمته الموجهة الى ناظم باشا في ٧ شوال ١٣٢٨ وهناك فــرق زمني بين نشر القصيدتين ولعل ما اثار رجال الدين على الزهاوي هو تطرفه في الدعوة الذي لم تؤد الى مظاهرة .

الزهاوي بطبعه خائف شكاء بكاء يهول الامر لابراز نفسه بصورة البطـــل لكي يغطى على خوفه وهو مريض سقيم اذا اصيب بألم صرخ وجأر وبكى واشتكى فيقــــول :

اشكو الى اي هذي الناس مظلمتي وقد درى باضطهادي الترك والعرب[٣٣]

وفي قصيدة اخرى يصف جزعه وكأنه طفل يبكي فيقول :

لي تحت استار الدجنــــة رنـــة مشــــفوعة بتنهـــدي وزفـيري
مرفوعــة لخفيّ ســـمع راحـــم مدفـوعة من قلبي المكســـور[٣٤]

بل يتصاغر في هذه القصيدة حتى يصف نفسه بالعصفور الذى تهاجمــــه الغربان والنسور فيهرب متواريا خائفا في جحر جدار ومن كانت هذه صفاتـــه لاشك بانه يحاول ان يجعل من نفسه بطلا بعد فوات الاوان ويسبغ على نفسـه صفات الزعامة والاصلاح ولو كان وجود المظاهرة حقيقة وان الوالي عزله بسبب مطالبته في الاصلاح فلمَ لمْ يذكر ذلك في قصيدته التي سب بها ناظم باشــا بعد

---

(٣٢) حقيقة الزهاوى للعبيدى ص ٦٠
(٣٣) ديوان الزهاوى ٣٠٦-٣٠٧
(٣٤) المصدر السابق ١٠٩

عزله وكان سبب نكبته[٣٥].. وتظهر اخلاق الزهاوي جلية في شعره فقد وجدناه يئن ويبكي ويزفر طول الليل ويذرف الدمع السخين خوفا وهلعا ، اما الرصافي فقد كان معتزا بنفسه وبكرامته ويفخر بما يصيبه من الالم ويتحمله ولا اشك في ان الرصافي كان يتألم ويبكي ويهلع شأن كل انسان ولكن الرصافي لم يحاول ان يرسم في شعره شخصيته قلقة خائفة .

ولست انكر فضل الزهاوي على تحرير المرأة وصدق دعوته ونضاله في سبيلها ، فشعره يطفح بالامثلة الحسنة ولكن لم يكن مركز الآراء موحد الموضوع عميق الفكرة فهو يطالب بحرية المرأة وسفورها واعطائها المركز اللائق بها ولكنه يعالج بنفس القصيدة مشكلات اخرى ولاينسى ان يحشر نفسه ، فمن شعره في مهاجمة الحجاب يخاطب فيه الفتاة :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا ... واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريـ ... ـث فقد كان حارسا كذابا
مزقيه وبعد ذلك ايضا ... مزقيه حتى يكون هبابا
وانزعيه بقوة وطئيه ... واجعلي في فم الحنيق ترابا

ويهاجم دعاة الحجاب ويرد عليهم فيقول :

زعموا ان في السفور سقوطا ... في المهاوي وان فيه ضرابا
واذا ما طالبتهم بدليل ... يثبت الدعوى اوسعوك سبابا
كذبوا فالسفور عنوان طهر ... ليس يلقي معرة وارتيابا[٣٦]

ويتلخص رأي الزهاوي في السفور بقوله :

قال هل بالسفور نفع يرجى ... قلت خير من الحجاب السفور
انما في الحجاب شل لشعب ... وخفاء وفي السفور ظهور
كيف يسمو الى الحضارة شعب ... منه نصف عن نصفه مستور[٣٧]

---

(٣٥) المصدر السابق ص ٧٣ وقد فرقها في الديوان حسب موضوعاتها في الصفحات ١٩٠ و١٩٣ و٢٧٦ و٣٠٧

(٣٦) اللباب ص ٣٣٥–٣٣٩

(٣٧) الاوشال ص ٣٣٥–٣٣٩

وقد عالج الزهاوي في شعره مكانة المرأة وبحث ماتعانيه من سوء المعاملة وتطرق الى تعليمها وعكس لنا احاسيسه الشخصية اكثر مما عكس لنا مجتمعه فقد كان الزهاوى مريضا مصابا بالاوجاع والاسقام ولايحنو عليه ويرأف به سوى زوجه وكان صدى هذه العناية عميقا في نفسه فاراد ان تعامل المرأة معاملة مثلى ولم يكن له من شفيع اليها غير لسانه فاطال فيها القول واشاد في شعره في الدفاع عنها وطالب بمعاملتها برقة وحنان ولم يكتف بذلك بل هاجم الرجال وقال انهم قساة غلاظ القلوب مع ان الرجل في كل زمان ومكان يذوب رقة مع المرأة ويعاملها معاملة تختلف عن معاملة الرجال وخاصة في المجتمع العراقي ، ولم يكتف بذلك بل بالغ في اوصاف المرأة فوصفها بالربيع والازاهير ، وان صوتها الموسيقى الرائعة وهي التي ترعى زوجها بقلب محب عميق الحب ولولا وجودها لما طابت الحياة وانه عبد مطيع لها ، ثم يجمل سعادته النفسية بان تطيعه زوجه وان يطيعها فقال :

سعادة المرأة زوج   يطيعها وتطيع [٣٨]

فسعادته هو ان يطيع زوجه ثم استدرك واضاف ان تطيعه لاستكمال البيت . وقد كان الزهاوي يعطي زوجه كل الاهمية في شعره وكأني به كان ينظم وامامه زوجته وقد نسي فضل الام التي لاتقل قيمة في اهميتها عن الزوجة ولعل حرصه على رضا زوجه هو الذي دعاه الى ذلك . وقد كرر هذه المعاني كثيرا في شعره واكد على ضراوة الرجل وصبر المرأة كما بحث مشكلات المجتمع كالطلاق وزواج الفتاة بعجوز[٣٩] وبانسان تكرهه او برجل سيىء الخلق شرس الطباع[٤٠] وقد طالب الزهاوي بمساواة المرأة بالرجل واتخذ من الغرب نموذجا لهذه المساواة فقال :

للمرأة اليوم في مجلس القضاء محل
للمرأة اليوم في البرلمان عقد وحل

---

(٣٨) ديوان الزهاوى ص ٣١٠-٣١١
(٣٩) المصدر السابق الصفحات ٣٨ و٣١٧ و٣١٨ و٦٨-٧٣ والاوشال ص٧١
(٤٠) ديوان الزهاوى ص ٣١٠ و٣١٤

للمرأة اليوم في استكشاف الحقائق شغل[٤١]

ورأى صورة الاسرة السعيدة الناجحة هي في اوربا ، والبيت يقطر سعادة وهناء حين يمرح فيه الاطفال ، فقال :

بيت نظيف واولاد قد ازدهروا كأنهم زهر في الروض ينتقل
والبيت فيه نظام حين تبصره وانه لنظام مابه خلل
تبقى المودة حتى الموت بينما فما هنالك شنآن ولا ملل[٤٢]

وكما هوجم الرصافي فقد هوجم الزهاوي واتهم بالالحاد والكفر والزندقة[٤٣] وكان مركز دعاة السفور بغداد لانها اكثر تأثرا بالحضارة والحركة ومركز الثقافة[٤٤]

اما دعاة الحجاب فقد قاوموا الدعوة الى السفور منذ ظهورها في يومها الاول وبقى هؤلاء صامدون يحاربون الدعوة للسفور وحرية المرأة وتعليمها ومن ثم بدأوا يتساهلون ويعلمون المرأة فقد تغيرت الاحوال العامة ودخلت الحضارة في الشرق وتطورت المجتمعات الشرقية بصورة عامة واخذت تنخر في القوى المحافظة يوما بعد يوم وقد كان من اشد المعارضين للسفور رجال الدين ومن اقواهم اسلوبا الشيخ جواد الشبيبي فقد وضع مشكلة السفور في مصاف مشكلات الوطن وخطوبه الجسام التي اقلقت باله وأرقته فهي مشكلة لاتقل قيمة في نظره عن الاستعمار وفساد الحكم وفقر العمال وقد وصف السافرات بانهن داعيات الى الخلاعة وان السفور منعه الرسول والقرآن ، وسفور الوجه يكشف حمرة الخدود وزهو الوجوه وقد تشدد الشيخ جواد في رسمه للطريق الامثل الذى يجب ان تحتذيه في الكلام واللبس ولو عدنا باذهاننا الى العصر الذى عاش فيه الشبيبي لوجدنا مقدار اهمية هذه القصيدة فقد كانت الهوة سحيقة بين حياةالرجل

---

(٤١) المصدر السابق ص ٣١١

(٤٢) الاوشال ص ٧٠

(٤٣) لاحظ قصيدة محمد رشيد الشيخ داود مدرس جامع الحيدرخانة في (النجف) العدد ٥٤ السنة الثانية الصادر في ٥ ايلول ١٩٢٦

(٤٤) توجد اشارة للسفور في شعر الصافي النجفي في ديوانه الامواج ص ٧٩

وحياة المرأة ولكل من حياته مايختلف عن غيره ولعل وجـــود (الحـــرم) و (الديوهخانه) يعطينا فكرة واضحةعن هذين العالمين اللذين ابتعدبعضهما عن بعض ولم يكن يطلب دعاة السفور الا كشف الوجه والاحتفاظ بالعباءة او العباءتين .. فلا نعجب ان قاوم المحافظون السفوريين ، وفي قصيدة (الجواد) نموذج رائـــع لما كان يفكر به آباؤنا ، قال :

منـع السفـور كتابنا ونبينـــا ... فاستنطقي الاثـــار والايـــات
تلك الوجوه هي الرياض بها ازدهت ... للناظـــرين شقائق الوجنـــات
كانت تكتم في البراقـــع خفيـــة ... من ان تمس حصانة الخفـــرات
واليوم فتحهـــا الصبا فتساقطت ... بعواطف الالحـــاظ والقبـــلات
صوني جمالك بالبراقع انهـــا ... ستر الحسان ومظهر الحسنـــات

ويمنع الفتاة من ان ترفع صوتها لان الجهر بالصوت ليس للفتاة انما للفتى المحاج او الخطيب ويوصي الفتاة في ملبسها فيقول :

وضعي الصدار على الترائب انـــه ... حـق عليك فحق نهـــدك ناتي
وتماثلي في البيت صورة دميـــة ... مكنونة الاعضاء في الحجـــرات(٤٥)

وقد كانت إكثر الصحف تؤيد الدعوة الى الحجاب فاذا قرأنا الجرائد التي صدرت بعد عام **١٩٢٢** نراها تحمل علم الثورة على السفور ومن هذه الجـــرائد والمجلات : تنوير الافكار والرشاد والمفيد والبدائع . اما الجرائد التي كانت تؤازر حركة السفور فكانت اولها جريدة العراق والصحيفة والعالم العربي وليلى . وقد كان انصار الحجاب توفيق الفكيكي وجميل المدرس وخليل اسماعيل ومصطفى عزة عبدالسلام ومحمد بهجة الاثري والملا عبود الكرخي وعبدالرحمن البنـــاء وحسين الظريفي وغيرهم . وكان من دعاة السفور حسين الرحال ورزوق غنـــام ومصطفى علي وعوني بكر صدقي ورفائيل بطي ومصطفى عبدالجبار القاضـــي

(٤٥) ديوان الشاعر المخطوط في مكتبة الشاعر محمود الحبوبي

وغيرهم[٤٦] وقد كان كل مطبوع ينشر مايراه ملائما لخطته فكانت مجلة تنوير الأفكار تقول ان الحجاب مشروع وتذكر منافع الحجاب للفتاة والمجتمـــع[٤٧] وتهاجم مجلة الرشاد رزوق غنام لانه طالب بارسال الفتاة الى اوربا لكي تتعلـــم اسوة بالرجل فترد المجلة قائلة ان ارسال البنات الى اوربا معناه ارسالهن للتمرين على الخلاعة والفساد[٤٨] وتنشر قصيدة للبناء يهاجم بها السفوريين بقصـيدتين ويعتبر كشف الوجه امرا لاتقره الشريعة الاسلامية ، وخشى على نفسه من الفتنة والغواية والانصياع لداعي الهوى ولم يخف على المرأة من الفساد والتهتك واعتبر دعوة السفور شرك لاصطياد الضعاف للتمتع بالمرأة ، لذلك خاطب المرأة بقوله :

وجـــوه الغانيات بلا نقــــاب تصـــيد الصيد في شرك العيـون
اذا برزت فتــاة الخدر حسرى تقود ذوي العقول الى الجنون[٤٩]

ثم يحذر الفتاة من الفخاخ المنصوبة لها وفي القصيدة الثانية يظهر ألمه واضحا واعتبر السفور فتنة وشرا وشبه المرأة بالزهر في كمها فـــاذا تفتحت قطفت او كالجوزة يراد كسر قشرها لتأكل ويبدو تمسكه بالحجاب قوله عن لسان الفتاة :

برقعي وسط محيطي شـــــرفي لـــم احُد عنه ولو ذقت العـذابا

ولم يكتف بهذا انما خاطب العراقيين بقوله :

ايهــا القوم اصلحوا انفســــكم خاب من رام سفور الوجه خابا[٥٠]

---

(٤٦) لاحظ (مختارات في الحجاب والسفور) جمعها مصطفى عبدالجبار ففيها نماذج فريدة مما نشر وقيل عن السفور والحجاب حتى ١٩٢٤ (بغــداد ١٩٢٤) وقد كتب الصديق الاستاذ خيري العمرى مقالات ممتعة عن هــذه المشكلة نشرت في ملحق جريدة الشعب الذى كان يصدر باسم (عددالاسبوع) في الاعداد ٣٥ ، ٣٦ ، ٨٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ صدرت عام ١٩٥٨

(٤٧) تنوير الافكار العدد ٣ السنة الاولى الصادر في ١٩٢٨

(٤٨) مجلة الرشاد العدد ٨١ السنة الثانية الصادر في ٣١ تموز ١٩٢٨

(٤٩) مجلة تنوير الافكار العدد ١٠ السنة الاولى ١٩٢٩

(٥٠) المفيد العدد ٢٧٠ السنة الثانية ١٩٢٤ ونشرت في الديوان ص ١٦٥ جـ٢ ونشرت في مختارات من الحجاب والسفور ص ١٢٠

وقد كانت جرائد دعاة السفور تناضل في الذود عن كيان السفور وتستحسنه وتنشر اخبار نساء العالم وتذكر تقدمهن في حركة الاصلاح في تركيا وما تحوزه في امريكا واوربا من المناصب بعناوين ضخمة لتدلل على مكانة المرأة وقدرتها وتصف حالة المرأة الاجتماعية وتبحث في انجع الطرق لاصلاحها والدعوة الى السفور لانه التجديد والبناء غير ان اكثر هذه الجرائد لم يكتب لها الاستمرار ولعل اختصاصها الزائد بالمرأة وعدم وجود المناصرين لها هما اللذان قضيا عليها لان الشعب العراقي آنذاك شعب جاهل تؤثر فيه الخرافات ويسير دون تفكير مع الذين يراهم زعماءه •

ومن الطريف أن يشارك الشعر العامي في هذه الدعوة ، فقد هاجم الملا عبود الكرخي دعاة السفور بقصيدتين عنوان الاولى (بعدا ثم بعدا ياسفوريين) والثانية عنوانها (حرية النسوان وفتاة غسان)[٥١] وكانت الدعوة الى تعليم المرأة تسير جنبا الى جنب مع الدعوة الى السفور ، فقد اتفق اكثر العراقيين بعد تشكيل الحكم الوطني على ضرورة تعليمها سواء منهم من يدعو الى السفور ومن يدعو الى الحجاب فقد كان الانسان لايجرؤ على الدعوة الى تعليمها خوف ان تؤدي معرفتها بالكتابة الى فساد اخلاقها • ولما احتل الانكليز العراق فكروا في انشاء مدارس للبنات اسوة بمدارس البنين ولكنها لم تفاجىء الناس بفتحها وانما اعلنت نظارة المعارف في ١٩١٩ اعلانا في الجرائد قدمت له بمقدمة قالت فيها (ان الهيئة الاجتماعية لكل أمة تتقدم برجالها ونسائها معا فلا يصلح الرجل وحده اذا لم يستعن بالمرأة التي هي اساس العائلة وسعادة الامة فالمرأة الجاهلة لاتعرف شيئا من مطاليب هذا العصر ، عصر الحضارة والعلم ولقد اسهب علماء التربية والاجتماع في ابحاثهم عن ضرورة تربية المرأة تربية صحيحة لانها محور سعادة العائلة ••)[٥٢] ثم ذكرت الدروس التي ستدرس وقد سار تعليم المرأة سيرا بطيئا فلم تؤسس في سنة ١٩٢٠ـ١٩٢١ غير ثلاث مدارس بينما كان عدد مدارس البنين ٨٥ مدرسة

---

(٥١) مختارات في الحجاب والسفور ص ١٢٣ـ١٢٨

(٥٢) جريدة العرب العدد ٧٠١ السنة الثالثة ١٩١٩

ووصل في السنة الثانية الى ٢٧ مدرسة حتى وصل العدد عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ الى ٢٥٦ مدرسة ابتدائية وتأخرت مدارس البنات الثانوية حتى عام ١٩٥٣-١٩٥٤[٥٣] وقد كان لدعوة الجرائد الى نشر التعليم بصورة عامة ودعوة السفور عامل حسن الاثر وقد آزر الدعوة كثير من الشعراء ولم يقدر المعارضون على وقف عجلة الزمن والتقدم وقد اكتسحهم سيل المدنية ، فانتشرت المدارس وشاركت المرأة الرجل في الحياة العامة وفي كل الكليات عدا (الشرطة والجيش والشريعة) وقد برزت في الحياة الاجتماعية برغم حملات الصحف التي كانت تثيرها النسوة ليسمعن صوتهن ويثبتن وجودهن •

(٥٣) في (التقرير السنوي لوزارة المعارف) التفصيل في الصفحات ١٠،٤٠،٥٠

الفلاح والاقطاع

ـ ٣ ـ

حالة الفلاح العراقي تدعو الى الالم والحسرة الموجعة فلم يصبه أي تطور اجتماعي ملموس طوال هذه الفترة لان اكثرية مالكي الارض او المهيمنين عليها هم من رؤساء العشائر الذين يستخدمون ابناء العشيرة لمنافعهم الخاصة وقد فقد الفلاح الضمان الذى يحميه من الرئيس الذى كان يعطيه ايام الدولة العثمانية[(١)] بعض الدخل ليعيش عليه لانه كان يعتبره فردا من افراد العشيرة وعليه ان يضمن له شيئا من المورد . غير ان هؤلاء الشيوخ اخذوا يستولون على الارض ويسجلونها بأسمائهم بعد ان كانت تسجل باسم العشيرة وتبقى باسم الدولة وقد ساعد قانون تسوية الاراضي الشيوخ على استملاك الاراضي وسجلها باسمائهم وحوّل ابناء العشيرة الى فلاحين ليس لهم غير جزء من الانتاج ، فتحول ابن العشيرة الذى كان له ارض يملكها الى اجير يتقاضى اجرته كمية محدودة من الانتاج . مع انه يقوم بكل ماتحتاجه الارض من حرث وبذر وعناية طول الموسم الزراعي،ثم يحصد الانتاج فيأتي شيخ القبيلة ويأخذ اكثره.ولم تجده[(٢)]

---

(١) كانت الارض في العهد العثماني ملك السلطان ولما خسرت تركيا الحرب ودخل العراق تحت سيطرة الاستعمار الانكليزي ثم الحكم الوطني اصبحت الارض ملكا للدولة وكانت تؤجرها لشيوخ العشائر وقد كان يدخل في الاستئجار عدة عوامل كنفوذ الشيخ وعدد افراد العشيرة ومقدار خطره .

(٢) Land Reform & Development in the Middl East P. P. 135, 136, 137.

عوامل الرفاه المتيسرة في العراق من وفرة المياه وخصوبة الارض وتدفق النفط في رفع مستواه واسعاده[٣] فمايزال الجوع القاتل ، والمرض الفتاك والجهل المطبق تعبث به فيعيش في فقر لم ير الغرب مثله[٤] وكثيرا ما اضطر الى ترك الارض التي بذل جهدا في شق ترعها لانه عاجز عن شراء البذور اللازمة[٥] لها لتحكم رجال الاقطاع والمرابين في مورده[٦]

وقد ساعد ضعف الحكومات المركزية المتوالية في العراق على توسيع نفوذ الاقطاع اذ اخذ كل اقطاعي يوسع اراضيه دون حسيب او رقيب[٧] بطرق شتى مرة باغراق الفلاح بالديون واخرى يأخذ الاراضي بنفوذه وقوته حتى غدا الفلاح اجيرا مستمرا يشتغل عند الملاك والشيوخ لاستحالة تسديد ديونه من الحصة الضئيلة التي يتسلمها من الحاصل ، فهو لايأخذ الا حصصا تتراوح بين ٥٠٪ـ٤٠٪ وقد لايتجاوز حقه من الانتاج ٢٥٪[٨] وقد قدرت الباحثة الانكليزية دورين وارنر دخل الفلاح العراقي بين خمسة باونات وخمسين باونا[٩] ومن هذا المبلغ يصرف لطعامه ولشرابه وكسوته له ولاسرته ٠فلانعجب ادا سادت الامراض بين الفلاحين وتفشى سوء التغذية بينهم اذ قلما يأكل الفلاح طعاما يسمن من جوع او يغذي حاجة الجسم المجهد الضرورية ،

---

(٣) المصدر السابق
(٤) مقدمة كتاب وارنر Land & Povtrty in the Middle East.
ونظرات في اصلاح الريف ـ عبدالرزاق الحسني ص ٢٦ و٢٨ (بيروت ١٩٥٤) ومجلة عالم الغد مقال باقر الدجيلي
(٥) راجع الاسباب الموجبة لسن قانون استثمار اراضي الدجيلة
(٦) الملكية الصغيرة في العراق ـ بغداد ١٩٥٣ الصفحات ١ و٢ و٧٥
(٧) لبحث مشكلة الاقطاع في العراق يراجع الاقطاع والديوان في العراق لعبدالرزاق الظاهر ٠ ونظرات في اصلاح الريف لعبدالرزاق الهلالي ٠ والاقطاع في العراق لابراهيم كبه ٠
(٨) نظرات في اصلاح الريف (بيروت ١٩٥٤) ص ٢٦ و٢٨ وعالم الغد العدد ١/٢٣ مقال لباقر الدجيلي

ويتبلغ بالخبز وحده في اكثر الاحيان اما اللحم فلا يفكر فيه يوما من الايام لانه لن يجده الا على موائد الشيخ الاقطاعي الذي يقيم الحفلات لذوي السلطة ويعطي الفضلات للفلاحين الذين ينتظرون فروغهم من الأكل بصبر زائد .

وليس للفلاح قانون يحميه من الاقطاعي فهو يطرده متى اراد ويلاحقه بالديون التي اخذها ليأكل بها وليعيش وقد حكمت بعض القوانين عليه بالبقاء في خدمة الاقطاعي حتى يسدد ديونه ولا يجوز لمالك آخر ان يستخدمه مادام مدينا بمبلغ لمالك غيره[١٠] ومن هجر القرية تخلصا من هذا السرق فالسلطات تلاحقه وتحجز اجرته اليومية لتسديد ديون الاقطاعي[١١] اما الماء النقي فهو من الكماليات التي لم يفكر فيها الفلاح فقد اعتاد على الماء يشربه من الانهار مباشرة يحمله في جرار وحباب لخزنه لا لتصفيته ويسكن في بيوت مبنية من الطين وسقوفها من الجريد ومن جذوع النخل ويعيش مع حيواناته في حجرة واحدة لانوافذ لها لانه يخشى البرد القارس اذا فتح نافذة ، وفي بعض المناطق من جنوبي العراق يسكن الفلاح في صرائف معمولة من الحصر والباريات وقد يفترش الارض او يبني له دكة من الطين مرتفعة عن الارض قليلا[١٢] وقد انتشرت هذه الصرائف حوالي بغداد هربا من جحيم الاقطاع واملا في الكسب من العاصمة بما يقوم به الفلاح من اعمال في مختلف مناحي الحياة ، وقد حاولت بعض الحكومات العراقية اصلاح حال الفلاح العراقي بتشييد بعض القرى الحديثة لرفع مستوى حياة الفلاح وتشجيع الملكية الصغيرة في مشروع الدجيلة[١٣] غير ان الاقطاعيين وكبار الملاكين كانوا يقاومون هذه الاصلاحات بقوة خوفا من ان ينتبه الفلاح ويحد من سلطانهم ، وقد ساعد على مؤازرتهم ، تشابك مصالح رجال الحكم مع مصالح الاقطاع[١٤] لذلك

---

(٩) الارض والفقر لاحظ المقدمة .

(١٠) قانون حقوق ووجبات الزراع رقم ٨ لسنة ١٩٣٣

(١١) المادة ١٦ب من القانون المار الذكر

(١٢) الملكية الصغيرة في العراق ص ٢٦ و٧٨ ومقدمة الارض والفقر

(١٣) قانون تشييد القرى الحديثة رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٦

(١٤) الارض والفقر ص ١١٩ ونظرات في اصلاح الريف ص ٤٢ و٤٦

لم ينفذ قانون تشييد القرى بالرغم من مرور عشرين سنة على تشريعه[١٥] لعدم وجود قوة تضطر الحكومة الى العمل به والحد من شهوات هؤلاء ولن تحد من اطماعهم وسلطانهم غير صدق النية والقوة[١٦]

اما التعليم بين الفلاحين فمتأخر جدا وشيوخ القبائل يكافحونه مكافحة جبارة فهم يرتعبون من تعليم الفلاح خوفا من ان يشعر بالغبن الواقع عليه من قبلهم • ومما يؤسف له ان يساعد الاقطاع وشيوخ القبائل موظفو الدولة ليحصلوا على رضا الشيوخ وهداياهم وكثيرا ما هددت ارواح المعلمين وسرقت امتعتهم حتى جزعوا وتركوا العمل من بين ظهرانينهم ، ولاننس معاملة المعلم بالاحتقار والازدراء وعدم حمايته من موظفي الادارة ورد الاذى عنه وكثيرا مايتعامون عما يصيبه ويلقون اللوم على المعلم نفسه[١٧] •

هذه حال الفلاح العراقي العامة انعكست في الشعر العربي في العراق وقد حاول الشعراء اسعاده لانه جزء من هذا الشعب الكبير • والملاحظ ان شعراء الفرات ولاسيما النجف هم اكثر عناية بمشكلات الفلاح لاحتكاكهم المباشر به ولان اكثرية الشعراء هم من طبقة فقيرة لهم صلات وثيقة به ويقابل هذا الامر شعراء المدن الذين عنوا عناية خاصة بالفقر والفقراء ومشكلاتهم • ولعل ابرز شاعر عالج مشكلة الفلاح بعمق وبأخلاص هو محمد صالح بحرالعلوم فقد اهدى ديوانه العواطف الى الفلاح قائلا :

تقبل أيها الفلاح مني ... عواطف يستبان بها شعوري
ولا تحزن اذا لم تلق ثوبا ... يقيك ، وثوب غيرك من حرير
فشأن الدهر لم يعرف ضعيفا ... ولم يألف مجاراة الفقير

وقد فاض الديوان بوصف حالة الفلاح عامة وما اصابه من بؤس وشقاء

---

(١٥) وقت كتابة هذا البحث كان اغسطس ١٩٥٦
(١٦) حدت ثورة ١٤ تموز الخالدة من هذه الشهوات وحدت سلطاتهم
(١٧) قضى الكاتب بعض سني حياته معلما في قرى ديالى وتلمس مشكلات الفلاح بنفسه •

وجهل واستغلال ومرض وتأخر وانحطاط في حياته ففي احدى قصائده سمى الفلاح (الحي المقبور)[١٨] وصف بها مايعانيه الفلاح من آلام وكيف استغله اصحاب القصور ولم يعطوه ما يقابل اجره وكده انما كان جزاءه الحرمان والجوع فهو يأكل اردأ الاطعمة ويتحمل برد الشتاء وزمهريره ، وحر الصيف ورمضاءه صابرا على عيشه مع الحيوانات وبعد ان أتم وصفه حفّز الفلاح واثاره على اولئك الذين تآمروا على قتله البطيء لان قلوبهم خالية من الشعور ونفوسهم مجردة من الاحاسيس والعواطف ، مبتعدة عن الانسانية والرحمة . وفي قصيدة اخرى يحيي الثورة ويسمي الثورة العراقية ثورة الفلاح[١٩] اعترافا بما بذله من جهد فقد ضحى بروحه وبماله وحارب المحتلين لكي يجليهم عن ارضه بعزيمة لم تعرف الكلل وقوة لم تعرف التواني والملل ، وناضل بصبر ماعرف المهادنة حتى انتصر على الدخيل واذله . لكن عاد الى الكوخ المتهدم، يعيش مع السوائم فقد اذله السادة وهدر كرامته الحاكمون فقد غنموا الهناء وعاد هو يجرر رجليه للشقاء . وفي قصيدة ثالثة سماها (الفلاح) استعرض مشكلات الفلاح العامة وقارن بين حياته وحياة اولى الترف والنعيم الذين سرقوا كده وتعبه وقد القى هذه القصيدة في النجف وكان من جرائها ان حكم المجلس العرفي العسكرى عليه بالسجن المؤبد سنة ١٩٣٥ ، خاطب الفلاح بها قائلا :

انت يا فلاح عانيت البلاء   واجتنى غيرك اثمار التعب
تسهر الليل لجعل الاغنياء   بارتياح وهناء وطرب

وفيها يقارن بين النعيم الذى يرفل فيه اصحاب القصور وبؤس الفلاح الذى يرزح تحت وطأته مع ان هذا النعيم هو من عمل الفلاح ومن كده وهو اجدر به واحرى بالانتفاع منه فقال :

كم نعيم احرزته فئة   هو من دونك بؤس فاتك
وقصور سلبتها سلطة   منك بالجور وانت المالك

---

(١٨) العواطف (النجف ١٩٣٧) ص ٢٠ـ٣٢
(١٩) نفس المصدر ٨٩ـ٩٥

ومصابيح علتها بهجة هي لولاك ظلام حالك
أبهذا الوضع تحيا أمة وبها الظلم وباء هالك

غير ان هؤلاء المتنعمين لايعرفون له حقا فيجب ان يفرضه عليهم ويأخذه منهم ، فقد سرقوا هذا الحق منه فيجب ان يترك المنجل جانبا ويفرض قوته عليهم لانهم قوم لايعرفون غير القوة قال :

حلقت آهات شكواك على جاحدي فضلك ليلا في السما
فأستحالت شهبا ترعى الملا وترى من لايراعي الذمما
فاترك الزرع ونح المنجلا عنك حينا واملأ الارض دما
وبحد السيف حاسب دولا بينها حقك اضحى مغنما[٢٠]

وليس في الديوان حلول لمشكلات الفلاح ، او تركيز على فكرة محدودة للاصلاح انها عواطف ثائرة اتقدت عندما رأى حالة الفلاح المتردية فأراد ان يصلحها .. باسعاد الفلاح ورفع مستوى حياته وليس من عمل الشاعر ان يقدم مشاريع اصلاحية انما عليه ابراز الحالة السيئة لينبه الشعور وقد كان محمد صالح بحر العلوم عميق الشعور صادق الاحساس فاندفع بشعوره واحساسه بالمطالبة بالاصلاح وتغيير الاوضاع السيئة التي يئن منها العراق . والشاعر عنيف في المطالبة صريح في الدعوة الى الثورة وتحطيم كل ما يقف امام رغبات الشعب لذلك لم تكن دعوته في يوم من الايام تلاقى بالقبول من الحاكمين فقد قضى جل حياته سجينا معذبا منكلا به اشد التنكيل حتى ابتلى بأمراض وأسقام واصيبت اعصابه بالامراض ، ولكنه لايزال يناضل بصبر وجلد وعزيمة ومضاء ولايزال مودعا في السجن من جراء المطالبة المستمرة في سبيل الاصلاح التي تبلورت آراؤه اخيرا (١٩٥٦) ولعل مايرعب قلوب الحاكمين منه الثورة العارمةالتي تكتنف شعره ، فهو يقول :

يا ابنة الريف اجمعي لي حطبا وخذي من زفراتي ضرما

(٢٠) العواطف ص ١١٩

واحرقي كل ظلـــوم غاشـــم   يجـــد اللـــذة في ان يظلمـــا
واتركي الرحمـــة فالناس هنـــا   همـــج يحتقرون الرحمـــا[٢١]

والشاعر النجفي الثاني الذى عالج مشكلة الفلاح هو محمد مهـــدي الجواهري ، فقد عالجها بهدوء وسكون ووصف المشكلات وحذر مما تؤول اليه مثل هذه المشكلات فالترف العاطر والبطر المترف والهناء المغرور الى جـــانب الجوع الكافر والعري المخزي والمرض الفتاك والفاقة المهلكة امور ســـتؤدي بالبلاد الى اسوأ النتائج وافظع العواقب ، فسيأتي اليوم الذى يستفيق فيه هؤلاء الفلاحون الفقراء الجياع المعذبون بسياط الجشع ، ويقف متسائلا كيف ترضى دولة تحترم نفسها ان يكون شعبها متأخرا الى درجة الفلاح العراقى فقال :

الا قوة تسطيـــع دفـــع المظـــالم   وانعاش مخلوق عـــلى الذل نـــائم
الا اعين تلقي على الشعب هاويـــا   الى حمـــأة الادقـــاع نظرة راحم
وهل ما يرجى المصلحون يرونه   مواجهة ام تلك اضـــغاث حـــالم
تعالت يد الاقطـــاع حتى تعطلت   عن البتّ في احكامهـــا يد حاكـــم

ويتحدث عن الارض التي هي ملك الجميع فيقول :

هي الارض لم يخصص لها الله مالكا   يصرفهـــا مستهتـــرا بالجرائـــم

ويصف حالة الفلاح وكوخه المظلم وجوعه ويستثير همم ذوي النخـــوة والضمير بقوله :

حنـــايا من الاكواخ تلقي ظلالها   على مثـــل جب باهت النـــور قاتم
تلوّت سياط فـــوق ظهـــر مكرم   من اللؤم مأخوذ بســـوط الألائم
وباتت بطـــون ساغبات على طوى   واتخمت الاخرى بطيـــب المطاعم
اهذى رعايا أمـــة قـــد تهيـــأت   لتستقبل الدنيا بعزم المهـــاجم ؟

وحاول اقناع الحاكمين بالمنطق والحجة بوجوب مساعدتهم ورفع مستوى

---

(٢١) العواطف ١٤٦

حياتهم ليكون شعبهم قويا يدافع عنهم يوم الكريهة ، اذ كيف يحمي الضعيف وطنه وهو الهزيل الخاوي وهل يرضى اولو الامر ان تكون الرعايا جياعا عراة متهدمين ، فقال :

أمن ساعد رخو هزيل وكاهـــل عجوز نريد الملك ثبت الدعائم(٢٢)

ويضرب الامثلة على تردي الحالة العامة والى اين وصلت من التـــدهور والانحطاط فقال :

ومروا بانحاء العـراق مضـــاعة وزوروا قـــرى موبوءة وبقـــاعا
تروا مـــا يثير الصـــابرين اقلـه عـــراة حفـــاة صاغرين جياعـــا
وان شبابا يرقب الموت جائعـــا متى اسطاع عن حوض البلاد دفاعا(٢٣)

وقد ادرك الجواهري اثر الاقطاع في تأخير الفلاح ، وأثر الاقطاع في الدولة ، عندما اصبح بمقتضاه شيخ القبيلة صاحب الملك والاقطاعي الكبـــير واصبح ابناء القبائل والفلاحون لايملكون المأوى ، فوصف الحالة التي شـملت الفلاحين بعد الازمة الاقتصادية(٣٢) التي اجتاحت العراق وصفا رائعا فـريدا ، قـــال :

جل معي جولة تريك احتقار الشعب والجهل والشـــقاء جماعـــا
تجد الكوخ خاليا من حطـام الدهر والبيت خـــاويا يتـــداعى
واستمع لاتجد سوى نبضات القلب دقت خوف الحســـاب ارتياعا
فلقـــد اقبلت جبـاة تســـوم الحي عنفا ومهنـــة واتضـــاعا
ان هذا الفلاح لم يبق الا العرض منـــه يجله ان يباعـــا(٢٤)

وقد عالج علي الشرقي مشكلة الفلاح واهتم بها اهتماما كبيرا واعتبرهـا من المشكلات الجديرة بالاهتمام فهي ليست مشكلة الفلاح انما هي مشـــكلة

---

(٢٢) ديوان الجواهري ص١٩ جـ١ بغداد ١٩٤٩

(٢٣) لاحظ قصيدته عقابيل ص ١٤٥ جـ١ بغداد ١٩٤٩

(٢٤) نفس المصدر ص ١٦٢ جـ١ ٠ وقد نشرت في جريدة الاخاء الوطني العدد ١٩٣١/١/١٨

الشعب جميعه والفلاح عنوان رقي الامة ومظهر من ابرز مظاهر حضارتهـا وركيزة من ركائز التقدم اذ ليست المدنية الحقيقية هي المتركزة في المدن الكبرى انما يقاس تقدم الشعب بقراه واريافه ، فقال :

ان تفتش عن ارتياح بلاد　　فتفقد شؤونها والنواحي
واذا ارتاحت البلاد تبدت　　في قراها علائم الارتياح

ووصف مايعانيه الفلاح العراقى من حرمان من خبراته التي يكد في سبيلها ولكنه لايفوز الا بما يسد الرمق فهو يعيش في جنة ولكن حياته العذاب والآلام وقد وصف قرى الفلاحين بقرى النمل ، وهو وصف جميل فقال :

ما لهذا الفلاح في الارض روح　　أهو من معشر بلا أرواح ؟
هو في جنة ينال عذابا　　وهو تحت الأشجار اجرد ضاح
وقرى النمل لهف نفسى أثرى　　من قراه الا من الاتراح

ويثير مشكلة من المشكلات التي كان يئن منها الفلاح العراقي طويلا هي فرض الضرائب الثقيلة التي ارهقته حتى اضطر الى الدين فزادت ديونه عبئا جديدا على اعبائه واخذ يضمحل شيئا فشيئا ويقتل بغير سلاح ، وهل هناك انفذ من الفقر سلاحا لذا فقد غدا قلبه الجريح يتنزى الما ويفيض حسرة ولوعة وكيف لايطفح هذا القلب بالحسرة والحيوانات والبهائم راضية سعيدة فقد أكلت وشبعت . اما الفلاح وهو الانسان ذو المواهب الفذة والقيمة الغالبة ، فقد حرم حتى من ضروريات الحياة ولم يظفر بالعناية اللازمة ، فقال :

يا ضعيفا ارى الولاة عليه　　اعرضت من نصائح النصاح
لم يفده سلاحه فهو ليث　　قتلوه صبرا بغير سلاح
لو نفذنا لقلب ذاك المعنى　　لوجدناه مثخنا بالجراح
خص من نهره ومن شاطئيه　　بخسيس المرعى وبالضحضاح
في مروج من حولها قد تناغت　　كل صداخة الى صداح

يا ربوعا حيوانهـــا يتغنـــى بسرور واهلها في نيـــاح[٢٥]

وقد وصف اثاث كوخ الفلاح عندما فاض نهر الفرات ، فقال :

طافت حنايا الكوخ فوق خصاصه الـ غرقى وعام البيت بالاخشـــاب
ولقد نظـرت اثاثه الطـــافي فلم ابصر سوى حصر وجرد ثياب[٢٦]

والشعر النجفي في الفلاح كثير وكله عالج مشكلات الفلاح ومن الشعراء حسين كمال الدين[٢٧] ومحمود الحبـــوبي[٢٨] ومحمـــد رضـــا المظفري[٢٩] ومحمد جواد السوداني[٣٠] كمـــا عالجه من العمـــارة حســـين الحاج وهج[٣١] ومن كربلاء عباس حلمي[٣٢] ولعل قصيدة احمد الصـــافي هي القصيدة التي حوت جميع المعاني التي تطرق لها الشعراء وهي رائعة الفلاح بحق ، فقد افتتح بها ديوانه (الامواج) وخاطب فيها الفلاح طالبا منه ان يترفق بنفسه ولا يحملها كل هذا التعب لان جميع سعيه ذاهب الى غيره ولايعود عليه الا بالفقر المدقع والعيش الحقير والبيت المظلم الداكن الذى يطير اذا هبت الرياح

---

(٢٥) جريدة العراق العدد ١٨٩٨/٧/٢٦ ونشرت في ديوان علي الشرقي ص١٦٣ ولاحظ من السنة نفسها العددين ١٩٦٨ والعـــدد ١٩٨١ ومن الـــديوان ص ١٠٢ و١٠٩

(٢٦) ديوان علي الشرقي ٢٠٣ ولاحظ ص ١٢٨

(٢٧) النهضة العراقية العـــدد ١٩٢٨/٢/٢٧٢ ولاحظ قصيدة هادي الشماع العراق ٣٤/١٣/٣٨٣٧

(٢٨) ديوان الحبوبي ص ٢٨ جـ١ النجف ١٩٤٨

(٢٩) الادب الجديد ص١٣٠ النجف ؟

(٣٠) النهضة العراقية العدد ١٩٢٩/٢/٣٢٥ ويلاحظ العدد ١٩٢٨/٢/٢٨١

(٣١) النهضة العراقية ١٩٢٨/٢/٢٥٤ وقصيدة ابن الفرات العدد ٩٢٩/٢/٤٠٣ ومن طريف قول حسين الحاج وهج :

تخـــذنا من نبات الارض قوتا ولم نشبع بمكسبنا البطونا
جهـــدنا زارعـــين بكـــل آن فلسنا في المزارع ناجحينا
بذلنـــا النفس في جد وجهـــد وعند الحاصلات (مفـلّسينا)

(٣٢) العراق ١٩٢٦/٧/١٨٦١

عليه ، فقال :

رفقا بنفسك ايها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك في الصباح على عنائك غدوة وعلى الطوى لك في المساء رواح
هذي الجراح براحتيك عميقة ونظيرها لك في الفؤاد جراح
في الليل بيتك مثل دهرك مظلم ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفك ان همت عين السما ويطير كوخك ان تهب رياح

وبالرغم من هذا العناء والعيش الذليل في الكوخ الحقير فان الاقطاعيين لم يتركوا له حتى حريته فقد اثقلوه بالديون بعد أن أخذوا حصة الاسد من الانتاج الذى اذاب لاجله قلبه ودمه ، وعرقه فجاءه الطامعون يستغلون هذا الربح دون رحمة :

هذي ديونك لم يسدد بعضها عجزا فكيف تسدد الارباح
بغضون وجهك للمشقة اسطر وعلى جبينك للشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لألئا فيزان منها للغنى وشاح
أتصدّ جيش الطامعين ولم يكن لك في الدفاع سوى الصياح سلاح؟

ومتى سمع القوي الطامع الصياح والبكاء فهو في شغل شاغل عنه في لذاته وشهواته ، يستبق الكأس المترعة والحان المغرية في قصر يفيض بالنور المشرق ويتلألأ بالسعادة الهانية ويطفح بجمال الرياش وغالي الاثاث وبديع الثياب والستائر • ومتى استمع مستغل جشع الى صوت ضعيف معذب احدق به البؤس واضناه المرض واقعده الفقر وان كان هذا الضعف هو الحق الصريح لذلك وجدنا النجفي يثور ثورة عارمة بعد ان استحال الاصلاح في ظل السلم والمنطق وطلب من الفلاح ان يترك العمل الذى لايعود نفعه عليه ويعبث بالزرع فسادا لانه لاينتفع بحاصله ويهلك الضرع الذى يدر على المالكين الخير ، فقال الشاعر والالم المرير واليأس الحزين في شعره :

يا غارس التمر المؤمل نفعه دعه فان ثماره الاتراح
أقلعه فالثمر اللذيذ محرم للغارسين وللقويّ مباح

وستبقى مشكلة الفلاح الذى لم يطرأ على مستوى حياته الاجتماعية اي تقدم محسوس ان بقيت سلطة كبار الملاك مسيطرة على دفة امور الـــدولة في العراق(٣٣) .

(٣٣) اصدرت حكومة الثورة في العراق قانون الاصلاح الزراعي لتوزيع الاراضى على الفلاحين للقضاء على الاقطاع

مشكلة الفقر

– ٤ –

ان مشكلة الفقر من المشاكل المتمركزة في مدن العراق فهي مثل مشكلة الفلاح في الريف • يعيش اغلبية الشعب العراقي في فاقة لامثيل لها في العالم المتمدن فهم محتاجون الى الطعام الضروري بل المسكن والملبس • وبيوت الفقراء قذرة ، يعيش الفقراء جماعات متكتلة في غرف غير صحية مظلمة فاذا أمطرت السماء امتلأت الدور بالاوحال والاطيان • وقد لايغير الفقراء ملابسهم حتى تبلى واكثرهم يستعمل ما يرد من اوربا من الثياب المستعملة ، ولولا النوم في الهواء الطلق وحرارة الصيف التي تستمر حوالي ستة اشهر فتقتل كثيرا من الامراض وتغذي الجسم بالشمس ، لبلغت نسبة الوفيات عددا هائلا • وغالبا ما يموت المريض دون ان يرى الطبيب ، اما للضعف المادي او لعدم العناية فيترك المريض للقضاء والقدر ، ولايزال هؤلاء يطببون مرضاهم بالتعاويذ والطلاسم والادعية • ونسبة وفيات الاطفال مرتفعة جدا[١] واكثر الاطفال يموتون من سوء التغذية واكثر الوالدين مصابون بامراض معدية ويرزحون تحت وطأة الملاريا والبلهارزيا والانكلستوما ، واذا استثنينا المدن الكبيرة فلاتزال بعض اقضية العراق لاتعرف المياه المعقمة ولا الكهرباء فهم يشربون الماء بعد تصفيته في الحباب ويستعينون في المدن بالاضاءة البدائية اقتصادا في نفقات ايصال النور الكهربائي الى بيوتهم •

---

(١) نشرة الاحصاء الصحي والحياتي ١٩٥٢ اصدرته وزارة الصحة العراقية (بغداد ١٩٥٥) الصفحات ١٥ و١٢٧ و١٢٩

وجل الشعراء كانوا من الطبقة المتوسطة او الفقيرة ، فقد كان شعورهم عميقا واحساسهم صادقا • وعلى رأس الشعراء الذين عالجوا مشكلة الفقر كان الرصافي ، الذي عاش في محيط فقير ، فالقرەغول محلته الاولى هي النبع العذب الذي تدفقت فيه اشعاره واصفة عذاب الانسانية وأنينها • فقد عكس لنا صورة حية صادقة من حياة هؤلاء الفقراء •• وديوان الرصافي فياض بوصف الفقر والفقراء تارة في صورة اليتيم في ايام العيد الذى لايملك مايملكه ابناء الاغنياء من غالي الثياب ونفيسها ، وهو يرى اترابه يرفلون بالملابس الزاهية الجديدة فيعود الى أمه حزين القلب كسير الفؤاد هضيم الآمال[٢] • ومرة يصوّر الفقير الذي يموت جوعا ومرضا ، لانه لايملك اجر الطبيب[٣] وآونة يصف أرملة تريد الغذاء لولدها[٤] وقد عالج الرصافي هذه المشكلات معالجة دقيقة ونظمها على شكل قصص مبرزا كل العواطف والاحاسيس ، والقصة اشد اثـرا في النفوس ثم يمزج القصة بالدعوة الى الاصلاح ويرسم سبل الاصلاح شـأن الاجتماعي الماهر الخبير • وقد كانت اكثر قصص الرصافي واقعية مستمدة من الحياة • فقد سئل مرة لماذا نظم (اليتيم في العيد) فقال خرجت لصديق لـي بائع تبغ امام جامع الحيدرخانه ليلة عيد الاضحى وبينما كنت جالسا في حانوته إشارت اليه امرأة متحجبة بدا فقرها من عباءتها ان ينزل فتهامسا وانصرفت فسألت صديقي عن خطبها فقال انها أرملة تعيل يتيمين وجاءت بصحن لترهنـه لقاء أربعة قروش لانهما جائعان فلحقتها مسرعا وسلمت لها اثنى عشر قرشـا وهي جميع ما املكه فاخذت المبلغ بتردد وخوف ثم ناولتني الصحن قائلة:اللّه يرضى عنك ، خذ الصحن • فرفضت ذلك وعدت الى بيتي والدمع ينهمر من عينـي راسما للبشرية المعذبة صورة حقيقية من صور (اليتيم في العيد) • وسرد قصص الرصافي كثيرة وسآخذ صورتين من الصور التي رسمها الرصافي • فمن هذه الصور صورة فقير جائع ليس له من يساعده في مرضه غير اخت يعيلها غير ان

---

(٢) الـديوان ٥٨
(٣) ديوان الرصافي ٩٤
(٤) « « ٢٠٤

المرض حال دون ذلك فاشتد به الجوع والمرض ، وعندما طلب الخبز للاكل قدمت له الماء لعدم وجود كسرة خبز في البيت :

رام خبزا والجوع اذكى الاورا في حشاه فعللته اصطبارا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفيء اورا
يطفيء الجوع ذاكيا في التهاب

انها صورة رائعة للفقر في أجسم مظاهره ، عندما يدهم الانسان الجوع والمرض والعوز ، فما كان من اخته المسكينة الا الاستعانة بالجيران ، ولكن هل يساعدها الجيران ويحسنون اليها كل يوم واذا أمدوها بالطعام فمن اين الطبيب المداوي • ويصور الرصافي المريض وهو يشرف على الموت بعد ان اتحد المرض والجوع عليه وجلست اخته القاصرة عن عمل اي شيء وهي ترى معيلها يزحف الموت نحوه وتصاب ببلية اخرى بعد موته هو بقاؤه بدون كفن او دفن حتى يحسن احد الاغنياء الى الميت بالكفن • فيؤنب الرصافي الاغنياء فيقول :

ايها الاغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما قد رحمتم
سهر البائسون جوعا ونمتم بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوع وشراب
كم بذلتم اموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه
وبخلتم منها بحق الآله ايها الموسرون بعض انتباه
افتدرون انكم في تباب[٥]

ويعالج الرصافي مشاكل العراق الاجتماعية متأثرا بالدين وان صلحت معالجته في العصر الاسلامي فلا تصلح لعصره فالناس غدوا لايخافون الحساب ولا يرهبون سوء المصير ، فالقليل منهم يبذل في سبيل الله ومرضاته ، وجلهم منصرف الى نفسه اذ لم يبق مرّ القرون المثل الفاضلة فيعتمد على احساس الناس واحسانهم وانصافهم للفقراء وشعورهم بآلام الفقير املا برحمتهم للارامل[٦] لان الاحسان

---

(٥) ديوان الرصافي ١٠٢
(٦) » ٢٠٦

الى الفقراء خلو جميل يقيد النفوس بالحب ويطلق الالسنة بالثناء والحمد ويكون الفوز المبين للرجل المحسن[7] ولم يكن الرصافي ثائرا في شعره الاجتماعي كثورته في شعره السياسي ولعل نظرية القضاء والقدر هي التي أثرت في تفكيره فهو يطالب بالاصلاح ولكنه يطالب الاغنياء بمساعدة الفقراء وهذا شيء غير واقعي لان الاغنياء اذا لم تكن هناك قوة تجبرهم لايحسنون ولن يجودوا ٠

اما الزهاوي فعلى كثرة ما نظم من الشعر وما طبع من الدواوين فلم يعن العناية الكافية بالفقر وكأني به لايحس ولا يشعر بآلامه ٠ وله بعض قصائد نظمها قبل الاحتلال الانكليزي عالج فيها مشكلة ارملة جندي مات زوجها وخلف لها راتبا تقاعديا لايفي بحاجتها وكانت قد اصيبت بالسل وذهبت وهي مريضة تطلب من المسؤولين استعجال دفع الراتب التقاعدي ، بعد ان تخلى عنها الاهل والاصدقاء لفقرها ٠ ويصف في القصيدة قسوة موظفي الحكومة العثمانية وشتمهم المراجعين لقضاياهم[8] ولم يعالج الزهاوى مشكلة الفقر كأنها مشكلة اجتماعية انما كأنها مشكلة فردية قد تكون له صلة بها وآلمه ان تكون زوجة ضابط فقيرة بعد غنى وذليلة بعد عز ويبعد في قصته هذه عن المشكلة الاجتماعية ويبحث في اشياء بعيدة عن الموضوع ويضرب الحكم والامثال في غير حاجة لها ٠ وفي القصة موضوع من ارق المواضيع الانسانية وهو موضوع الامومة وجوع الطفل وقد تطرق لها الزهاوي ولكنه لم ينجح في ابرازها باطار عاطفي رقيق فيصور اختلاج العواطف الرقيقة مع انه وصل الى كبد الموضوع وتلمسه فافلت من يده ، واخيرا تضطر امرأة الضابط الى الاستجداء وطلب الرحمة من الناس لكي تغذي ولدها الجائع في البيت ، وهذه نقطة انسانية اخرى تعالج بارق العواطف واسماها وهى نقطة حساسة في الشعور الانساني غير انها افلتت منه مرة اخرى ٠ واجدر نقطة التفت اليها الزهاوى وبحثها بحثا وافيا هى القاء اللوم على كاهل الحكومة التي لم ترع حقوق الجنود ٠ ولو كان الزهاوى يملك الشعور الاجتماعي العام لالقى جميع تبعات الفقر على الحكومة ، ورسم بعض

---

(٧) ديوان الرصافي ٢٢١

(٨) ديوان الزهاوي ٢٤٧

طرق الاصلاح التي يراها كما فعل الرصافي واخيرا ختم القصة واصفا آلام الاستجداء والاستجداء وحده مشكلة اجتماعية نتيجة للفقر ، قال :

عليها ثياب رثة وملاءة ... كأحشائها في كل حين تبزل
تكفكف دمعا بالبنان وكلما ... مشت خطوة او خطوتين تمهل
تمدّ يمينا للسؤال ضعيفة ... وتخجل منهم حينما هي تسأل
أأرملة الجندي لا تخجلي فمن ... حقوق العلى ان الحكومة تخجل(٩)

ولابد لي أن اشير الى محاضرات الزميل الكريم الدكتور ناصر الحاني التي القاها عن (جميل صدقي الزهاوي عام ١٩٥٤) والتي افرد جانبا منها في اثر الفقر والمرض والفلاح في شعره واعتبره ذا قيمة اجتماعية اذ لم يكن الزهاوي يكترث كثيرا بالطبقة الفقيرة وينصرف الى مشكلاتهم كما انصرف اليها الرصافي والبناء وغيرهما ، فقد كان في سعة من العيش • اما الاشارات العابرة التي تمر في شعره فليست لها القدرة على جعله من الشعراء الاجتماعيين •

ولعل البناء اكثر احتكاكا من غيره من الشعراء بالطبقة الفقيرة ، فقد كان بناءً ولابد انه اشتغل كثيرا اجيرا يحمل الطين (طيانا) وذاق صنوف العذاب والارهاق الذى يقاسيه العمال الصغار في العراق من جور البنائين ومساعديهم وتحكم اصحاب المال • وطبقة البنائين دائما في العراق من افقر الطبقات • ويبدأ البناء حياته طيانا وكلما طالت به الايام وابدى براعة وذكاء ووجد استاذا يرعاه ويقدمه تقدم في الصنعة حتى يتقنها فيكون بناءً مستقلا بذاته • وقد ظهرت آثار هذه البيئة في شعر البناء واضحة المعالم صادقة الصور ولو اتيح للبناء الوقت الكافي لدراسة اساليب اللغة العربية وتمكن من السيطرة عليها لاصبح من خيرة شعراء العراق فهو شاعر بالفطرة ، ذو ملكة متأججة ، وعاطفة دافقة ، ولكن العاطفة والفطرة جانب من جوانب الاداء واذا لم يملك الشاعر لغة سليمة واتساعا في مفردات اللغة وعلما باساليب الشعراء فالاداة تكون ضعيفة وهذا ماحدث للبناء • فقد كان عليه ان يكد ويكدح ليكسب قوته ويعيش ولكن العاطفة المتدفقة كانت

---

(٩) ديوان الزهاوي ص ٨٦

تسيطر عليه والملكة كانت تدفعه لان ينظم شعره خلال مراقبة العمال فقد رآه الاستاذ الاثري يوما واقفا يدير امور العمل والعمال وبيده صفيحة من الطابوق الاصفر يدوّن فيها شعره(١٠) وبالرغم من ان شعره لم يكن متين الاسلوب رائع الديباجة الا انه رسم لنا خير الصور الواقعية واصدقها عن حياة الفقير في العراق ، فقد وصف امرأة فقيرة انهك جسمها الذل تعيش في كوخ مهدم وابنها الطاوي الجائع يطلب الطعام وهي تعلله ولكن لاتقدر على اطعامه فقد نضب الحليب في ثدييها لانها جائعة مثله وقد عالج مشكلة الطفل الجائع الرصافي في الارملة المرضعة فوفق وعالجها الزهاوي في قصيدة أرملة الجندي فأخفق وعالجها البناء فخانه التعبير وبقيت صورة بدائية تتدفق منها الحياة ، قال البناء :

رأيت فتاة انهك الذل جسمها ... يحيط بها كوخ هناك مهدم

ووصف الطفل الجائع وكيف تعلله امة الجائعة :

تعالج طفلا يشتكي شدة الطوى ... وتحنو عليه والمدامع تسجم
وتعطيه ثديا اذهب الجوع دره ... فينظرها تبكي عليه فيبغم
تعلله واليأس ملء جفونها ... يكلم عنها وهي لاتتكلم(١١)

انها أم جائعة معها ولدها جائع وهي موزعة الاحاسيس بين نفسها وولدها . ويتطرق البناء الى مشكلة مؤلمة في العراق هى مشكلة معاملة الموظفين للفقراء واحتقارهم وكأن الموظفين من عالم غير عالم الشعب وكثير من هؤلاء كانوا من نفس الطبقة .

وقد لاحظنا ان اكثرية الذين عالجوا مشكلة الفقر كانوا يحملون عواطف كريمة ، يريدون ان يحصل الفقير على حظ وافر من الغذاء والكساء والا يستغل ولا يُستثمر ، غير ان هذه العواطف كانت عواطف ذاتية تمثل حالة

---

(١٠) لاحظ مقدمة ديوانه الثاني

(١١) ديوان البناء الثاني

مرّ الشاعر بها فشعر بشعور الآخرين ، فكان من ذلك ان شعر بالرحمة والحنان فجاء بشعره مطالبا الاغنياء بالاحسان الى الفقراء والرحمة بهم مع ان حق الحياة الكريمة حق طبيعي لكل انسان في كل بلد متقدم وكان الاولى ان يطـــالب الشعراء بتغيير نظام الشعب الاجتماعي ليشمل العدل الاجتماعي الجميع ، غير ان الظروف التي نظم فيها الشعراء بها شعرهم كان شعرهم متأثرا بمثل محدودة الفكرة لعدم تبلور الفكرة الاشتراكية وظهور المطالبة بحقوق الشعب واخذ العالم هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية ، فمن امثلة العطف على الفقراء قول محمــد الهاشـمي :

سـأُلقي نظرة ملأت حنـــانا ... على البؤســاء من طرف خشوع
يعيش الاغنيـاء على رخـــاء ... ونحن نعيش في بؤس وجـــوع

والقصيدة وصف لحالة الفقير ومسكنه القذر واطفاله العراة النائمين على الارض الجائعين بالليل يقضون ليلهم بالدموع والحسرات[١٢] . وكما اوصى الازري الناس بالاحسان الى الفقراء او اليتامى لان الله أوصى بهم فقال :

لو تنطق الاموات عن حال الاولى ... ذهبــوا ضحايا ذلــة وخمـول
لبكيت من ألـم المصيبــة رحمـة ... وكفاك مجملهـــا على التفصيل
اني لاشـعر في اليتيم اذا بكـــى ... خـــوف الاسير وذلة المعلـــول
والله اوصـــى في اليتيم عبـــاده ... في محكم القرآن والتنـزيل[١٣]

وتردي حالة العراق وانتشار الفقر بين ابناء الشعب اثار الشعراء فسرت في شعرهم روح النقمة والثورة على سوء الوضع الاجتماعي فأخذوا يشـــنون حملة شعواء على الترف الذى يرفل فيه الاغنياء ، بينما الفقـــر المدقـــع يصل بالفقراء الى الجوع المهلك واخذوا يقارنون بين حياة المترف والفقـــير التعس ولم يكن يخلو شعر شاعر من العطف على الفقراء . قال الجواهري :

ألم تر ان الشعب جـل حقوقه ... هـي اليوم للافراد ممتلكـــات

---

(١٢) الادب العصري ٢٠ و٢١ جـ٢
(١٣) الادب العصري ص ٦٦ و٦٧ جـ٢

وطالب بالعدل بين الفقراء والاغنياء فقال :

ولو كان حكم عادل لتهــــدمت على أهلهـــا هاتيكم الشـــرفات

فيصف بيوت الفقراء فيقول :

بيوت على أبوابهـا البؤس طافـح وداخلهن الانس والشهوات[١٤]

وفي قصيدة اخرى يفضل الفقير على الغني ويدعو الى احترامه وتقديره[١٥] وبحث مشكلات المجتمع العراقي بحاجة الى دراسة وحدها ولكننا نوجز فنقول بأن الشعراء عالجوها بروح مخلصة ومنهم : محمد بهجة الاثري[١٦] ومحمود الحبوبي[١٧] وابراهيم الباجـــــهجي[١٨] وجـــواد الشبيبي[١٩] وكـــاظم الـــدجيلي[٢٠] وعلي الشـــرقي[٢١] والشـــبيبي[٢٢] والزهـــاوي[٢٣] ومحمد صالح بحرالعلوم الذي وصف حال الفقير وما يقاسيه ووصف ربالقصر وما يرفل فيه من النعيم والقى تبعة ذلك بصراحة على الحكومة والبرلمان الـذى لايجدي الفقراء نفعا ، فعليهم ان يخرجوا الاخشاب المسندة ، فقال :

فالظلم منتشـــر والعـدل مندرس والـزيغ متبـع والحق مهتضـــم
حكومة صوت من يشكو ظلامتـه لهـا يبّعده عن سمعهـا الصمم
ومجلس فيــه اخشــاب مســندة بلاحراك فاين النفط والضرم[٢٤]

---

(١٤) الديوان الثاني بغداد ٩٥٠ ص ١٦١ـ١٦٥ العراق العدد ٢٥٨٥/١٠/٢٩
(١٥) العراق العدد ٨١٢ السنة الثامنة ١٩٢٣
(١٦) مجموعته الخطية
(١٧) الغري العدد المزدوج ٢٩ و٢٠/٩/٩٤٨
(١٨) العراق العدد ١٢٣٦/٥/٢٤
(١٩) ديوان الشيخ جواد المخطوط
(٢٠) دار السلام الاعداد ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٩١٩/٢/٢٠
(٢١) ديوان الشرقي ص ١٨٨
(٢٢) ديوان الشبيبي ص ١٠٩
(٢٣) اللباب ص ١٢١
(٢٤) العواطف ص ١١٨

وبعد الحرب العظمى الثانية تبلورت مثل الرحمة بالفقير والعطف والاحسان الى الفقراء ، فقد اخذ المفكرون يطالبون بالمساواة واتاحة العيش الشريف للشعب اجمع لان الشعب هو صاحب الحق وان الظروف الشاذة التي مرت بالعراق هي التي خلقت طبقة من الاغنياء استغلت الاكثرية بطرق متنوعة ويجب ان يعود الحق الى اهله وان ينال هؤلاء قسطا وافرا من الرفاه والسعادة وكان من طليعة هؤلاء المفكرين جماعة عادت من اوروبا واخذوا يقارنون بين حالة الشعب السيئة وحالة اوربا وما حصلت عليه الشعوب من هناء وسعادة ورفاه وقد تبعهم جل الشعراء الشباب والطبقة الواعية المثقفة في البلد .

وختاما يا قارئي العزيز

هذه جولة سريعة قدمتها لك عن الشعر العربي في العراق في تياراته السياسية والاجتماعية وقد ذكرت لك أهم هذه التيارات التي هيمنت على الشعر العربي ، وأثرت تأثيرها العميق في توجيهه .. وهو بحاجة الى دراسة أكثر تفصيلا واتساعا من كتابي هذا فقد كنت مضطرا الى العناية بالاتجاهات أكثر من عنايتي بالشعراء أنفسهم وقد سرت والتاريخ في دراستي هذه لتكون على بينة من أمر وطنك ولتعلم مقدار تأثير التاريخ في حياتك وشعبك وأثر الادب في تاريخك .. وقيمة أحاسيس الشعراء الغالية واخلاصهم العميق لتربة هذا الوطن .

ومعذرة مما وقعت فيه من أخطاء ولكل عالم كبوة فكيف بي وأنا طالب بحث مستجد فخذ بيدي وعاوني على الصواب .. ولك من الله العلي الكبير والتاريخ القاسي في عدله المنصف في حكمه ومني أجزل الثواب .

يوسف عزالدين السيد أحمد

المصـــادر (*)

١ ـ المخطوطات

١ ـ امثال بغداد والموصل	**انستاس ماري الكرملي**
٢ ـ الاصابة في منع النســاء من الكتابة	**نعمان خيرالدين الآلوسي**
٣ ـ حديقة الورود	**عبدالفتاح الشواف**
٤ ـ مجموعة الاشعاروالخطب	**محمد الباقر الحلي**
٦ ـ ديوان الهنداوي	**خيري الهنداوي**
٧ ـ ديوان التفتاف	**انستاس الكرملي**
٨ ـ الشعور المنسجم	**مصطفى جواد**
٩ ـ مجموعة شعر	**محمد بسيم الذويب**
١٠ـ » »	**محمد صالح بحرالعلوم**
١١ـ » »	**حسن الجواهري**
١٢ـ » »	**ناجي القشطيني**
١٣ـ » »	**خضر القزويني**
١٤ـ ديوان الاثري	**محمد بهجة الاثري**
١٥ـ مذكرات الرصافي	**معروف عبدالغني الرصافي**
١٦ ـنيل المراد	**عباس البغدادي**
١٧ـ العراق في القرن التاسع عشر	**يوسف عزالدين**
١٨ـغاية المرام	**ياســين العمري**
١٩ـ قصائد من شعر	**عيسى عبدالقادر**

(*) هذه المصادر التي امكن الاستفادة منها مباشرة وهناك مصادر اخرى لــم أذكرها لان فائدتها لم تكن مباشرة ٠

٢ ـ الكتب المطبوعة

ادب الرصافي	مصطفى علي		القاهرة	١٩٤٠م
اعلام العراق	محمد بهجة الاثري		القاهرة	١٣٤٥ هـ
الادب العصري	رفائيل بطي	جزءان	القاهرة	١٩٢٣
الاخبار في سير الرجال	خالص حمادي		بغداد	
الادب الجديد	محمد جمال الهاشمي		النجف	
الاتجاهات الوطنية	الدكتور محمد محمد حسين	جزءان	القاهرة	٥٤ و٩٥٦
الاتجاهات الادبية	انيس المقدسي	ج١	بيروت	
التيارات الادبية الحديثة في العراق	جميل سعيد		مصر	١٩٥٤
الاتجاهات الجديدة	« «	ج٢	«	١٩٥٢
الامواج	احمد الصافي النجفي		دمشق	١٩٣٢
الاوشال	جميل صدقي الزهاوي		بغداد	١٩٣٤
آراء الرصافي	سعيد البدري		بغداد	١٩٥١
اربعة قرون من تاريخ العراق	ترجمة جعفر الخياط		بيروت	١٩٤٩
امثال واقوال بغدادية	ظافر الآلوسي		بغداد	١٩٥٦
ادب العصر	سعد ميخائيل		مصر	١٩٢٢
الاقطاع في العراق	ابراهيم كبه		بغداد	١٩٥٧
تاريخ الصحافة العراقية	عبدالرزاق الحسني		النجف	١٩٣٥
تجارة العراق	يوسف غنيمة		بغداد	١٩٢٢
تحرر العراق من الانتداب	مجيد خدوري		بغداد	١٩٣٥
تذكرة الشعراء	عبدالقادر الخطيبي الشهرباني		«	١٩٣٥
تاريخ الشعر السياسي	احمد الشايب		القاهرة	١٩٤٥
الترياق الفاروقي	عبدالباقي العمري		«	١٣١٦هـ
تاريخ القضية العراقية	محمد مهدي البصير		بغداد	
تاريخ مقدرات العراق السياسية	امين العمري(١)	جزاءن	بغداد	٩٢٥ و٩٢٤
تكوين العراق الحديث	(فوستر) ترجمة عبدالمسيح جويدة		بغداد	١٩٤٦
تقرير حول العراق	احمد فهمي		«	١٩٢٦
الثورة العراقية	عبدالرزاق الحسني		صيدا	١٩٣٦
« العربية الكبرى	امين سعيد	ثلاثة اجزاء	القاهرة	١٩٣٤

---

(١) كتب المؤلف عليه اسم اخيه محمد طاهر العمري لانه كان موظفا عندما الف الكتاب .

ثورة العرب مقدماتها اسبابها نتائجها
احد اعضاء الجمعيات العربية مصر ١٩١٦
جنايات الانكليز على البشر
وعلى المسلمين خاصة محمد حبيب العبيدي بيروت ١٩١٦
الحقائق الناصعة في الثورة العراقية
فريق مزهر الفرعون مجلدان بغداد ١٩٥٣
حرب العراق طه الهاشمي بغداد ١٩٣٦
حبل الاعتصام ووجوب
الخلافة في دين الاسلام محمد حبيب العبيدي بيروت ١٩١٦
حقيقة الزهاوي مهدي العبيدي بغداد ١٩٤٧
حالة العراق الصحية في ربع قرن موسيس ديرهاكوبيان » ١٩٤٨
دراسات في الشعر العربي المعاصر شوقي ضيف مصر ١٩٥٣
ديوان كاظم آل نوح ثلاثة اجزاء بغداد ١٩٤٩
ديوان الكاظمي عبدالمحسن الكاظمي المجموعة الاولى دمشق
» » » » » الثانية القاهرة ٩٤٨
» الرصافي معروف الرصافي القاهرة ١٩٤٧
» الشبيبي محمد رضا الشبيبي » ١٩٤٠
» التميمي صالح التميمي النجف ١٩٤٨
» الجواهري محمد مهدي بغداد ١٩٢٨
» » » » ثلاثة اجزاء بغداد ٤٨و٥٠و٥٣
ديوان البناء عبدالرحمن البناء بغداد ١٩٣٢
الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده سليمان البستاني مطبعة الاخبار ١٩٠٨
ذكرى فيصل الاول محمد عبدالحسين بغداد ١٩٣٣
ذكرى الخالصي عبدالرزاق أمين » ١٩٣٣
» استقلال العراق عبدالرحمن البناء » ١٩٢٥
» السعدون علي الشرقي » ١٩٢٩
» يوسف السويدي طه الراوي » ١٩٣٠
الرصافي مصطفى علي القاهرة ١٩٤٨
الرصافي في اعوامه الاخيرة نعمان ماهر وسعيد البدوي بغداد ١٩٥٠
الروض الازهر مصطفى الواعظ الموصل ١٩٤٨
زنابق الحقل ابراهيم منيب الباجه جي بغداد ١٩٣٩

زعيم الثورة العراقية	**عباس علي**	بغداد	١٩٥٠
سحر الشعر	**رفائيل بطي**	القاهرة	١٩٢٩
سياسة العراق التحررية	**مظفر حسين الجميل**	»	١٩٤٩
سعد صالح	**محمدعلي كمال الدين**	بغداد	١٩٤٩
الصحافة في العراق	**رفائيل بطي**	القاهرة	١٩٥٥
الشذرات	**محمد مهدي البصير**	**بغداد**	**١٣٤٠هـ**
شعراء الغري	**علي الخاقاني**	١٢ جـ النجف	١٩٥٦_٥٤
» الحلة	» »	٥ جـ النجف	٩٥٣_٥١
الشعر العراقي في القرن التاسع عشر	**يوسف عزالدين**	بغداد	١٩٥٨
شرح ديوان زهير بن ابي سلمى	**ثعلب**	مصر	١٩٤٤
الطراز الانفس	**عبدالغفار الاخرس**	**الاستانة**	**١٣٠٤هـ**
العراق الحديث	**متى عقراوي**	بغداد	١٩٣٦
العواطف	**محمد صالح بحرالعلوم**	النجف	١٩٣٧
على هامش الثورة العراقية	**فراتي**	بغداد	
العراق في دوري الاحتلال والانتداب			
	عبدالرزاق الحسني	صيدا	١٩٣٥
على طريق الهند	**عبدالفتاح ابراهيم**	بغداد	١٩٣٥
عواطف وعواصف	**علي الشرقي**	بغداد	١٩٣٥
غرائب الاثر	**ياسين العمري**	الموصل	١٣٥٩ هـ
» الاغتراب	**ابوالثناء الآلوسي**	**بغداد**	**١٣٢٧هـ**
في غمرة النضال	**سليمان فيضي**	بغداد	١٩٥٢
الفجر الصادق	**جميل صدقي الزهاوي**	القاهرة	١٩٠٥
فيصل بن الحسين في خطبه واقواله	**مديرية الدعاية العامة**	بغداد	١٩٤٥
القوى المؤثرة في الدساتير	**طلعة الشيباني**	بغداد	١٩٥٤
اللباب	**جميل صدقي الزهاوي**	»	١٩٢٨
لب الالباب	**محمد صالح السهروردي** جزءان	»	**١٩٣٣**
الكلم المنظوم	**جميل صدقي الزهاوي**	**بيروت**	**١٣٢٨هـ**
محاضرات عن جميل الزهاوي	**ناصر الحاني**	**بغداد**	**١٩٥٤**
المعدان او سكان الاهوار	(ثسكر) ترجمة **باقر الدجيلي**	بغداد	١٩٥٦
مشروع اصلاح القرى في العراق	**محمود نديم اسماعيل**	»	١٩٥٤
مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى	**تحسين العسكري**	»	١٩٣٦

مقدمة في كيان العراق الاقتصادي هاشم جواد بغداد ١٩٤٦

مقالات فهمي المدرس جـ١ « ١٩٣١

مذكراتي في نصف قرن احمد شفيق باشا جـ١ القاهرة ١٩٣٤

مقدمة في دراسة العراق المعاصر زكي صالح بغداد ١٩٥٣

مجموعة امثال الموصل القس الفونس شوريز

معروف الرصافي احمد بدوي طبانة القاهرة ١٩٤٧

المعلوم والمجهول ولي الدين يكن مصر ١٩٠٩

محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال عبدالرحمن البزاز مصر معهد الدراسات العربية العالية

مشكلة الموصل فاضل حسين بغداد ١٩٥٥

مختارات في السفور والحجاب مصطفى عبدالجبار القاضي بغداد ١٩٢٤

النظام السياسي في العراق محمد عزيز بغداد ١٩٤٠

« النقدي في العراق عبدالرحمن الجليلي « ١٩٣٦

نظرات في اصلاح الريف عبدالرزاق الهلالي لبنان ١٩٥٤

الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية علي البازركان بغداد ١٩٥٤

٣ ـ المصادر الرسمية

الملكية الصغيرة في العراق حسن محمدعلي بغداد ١٩٥٣

مجموعة مذاكرات المجلس التاسيسي العراقي وزارة الداخلية « ١٩٢٤

الاصلاح الزراعي واعمار الاراضي وزارة الاعمار « ١٩٥٠

تقدم العراق الاقتصادي البنك الدولي للانشاء والاعمار « ١٩٥٤

معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا مطبعة الحكومة « ١٩٣٠

نشرة الاحصاء الصحي والحياتي وزارة الصحة بغداد ١٩٥٥

التقرير السنوي عن سير المعارف ١٩٥٣ـ١٩٥٤ بغداد ١٩٥٥

الجرائد والمجلات

الاخاء الوطني عبدالاله حافظ ١٩٣٤

« « علي جودة الايوبي ١٩٣١

الانقلاب محمد مهدي الجواهري ١٩٣٦ـ١٩٣٧

الاخلاق (مجلة) عبدالرحمن البناء ١٩٢٦ـ١٩٢٨

الامل	معروف الرصافي	١٩٢٣
الاهالي	كامل الجادرجي	١٩٣٧_١٩٣٥
الاستقلال	عبدالغفور البدري	١٩٤٠_١٩٢٦
الاخاء	عبدالرحمن السيد	٢٦_٩٢٧ البصرة
الارشاد (مجلة)	عبدالجليل آل جميل	١٩٢٧_١٩٢٥
البلاد	رفائيل بطي	١٩٤٠_١٩٢٩
بغـداد	عبدالرحمن البناء	١٩٣٣_١٩٣١
تنوير الافكار	عبدالهادي الاعظمي	١٩١٠
التقـدم	سلمان الشيخ داود	١٩٢٩_١٩٢٨
الحيرة (مجلة)	عبدالمولى الطريحي	١٩٢٧ نجف
الحارس	مكي الجميل	١٩٣٧_١٩٣٦
الحرية (مجلة)	رفائيل بطي وعبدالجليل رزق الله	١٩٢٤ و١٩٢٥
دجلة (مجلة)	داود السعدي	١٩٢٢_١٩٢١
دار السلام	انستاس ماري الكرملي	١٩٢٠_١٩١٨
الرقيب	عبداللطيف ثنيان	١٩٠٩ (١٣٢٨هـ)
المرشـــاد	يوسف السامرائي	١٩١٠ البصرة
الرأي العام	محمد مهدي الجواهري	١٩٤٠_١٩٣٧
الزمـــان	ابراهيم صالح شكر	١٩٢٧
»	توفيق السمعاني	١٩٤٠_١٩٣٧
الزنبقة (مجلة)	عبدالاحد حبوش	١٩٢٢
السياسة	يوسف غنيمة	١٩٢٥
شط لعرب	خلف شوقي الداودي	١٩٢٥_١٩٢٤
صدى العهد	عبدالرزاق الحصان	١٩٣٠
»	عبدالهادي الجلبي	١٩٣١
صدى بابل	داود صليوا	١٩١٤_١٩٠٩
صدى الاسلام	عطاء الخطيب	١٣٣٤_١٣٣١ هـ
الدستور	عبدالله الزهير	١٩١٢
الصحيفة	حسين الرحال	١٩٢٥
الطريق	توفيق السمعاني	١٩٣٦_١٩٣٤
العالم الاسلامي	مجلة رسمية	١٧_١٩١٨استانبول
العرب	جريدة رسمية	١٧_١٩٢٠
العاصمة	حسن الغصيبة	٢٢_١٩٢٣

العراق	رزوق غنام	١٩٢٠-١٩٤٦
العقاب	يونس بحري	١٩٣٨-١٩٣٩
الغري (مجلة)	عبدالرضا شيخ العراقين	٣٩-٩٤٧ النجف
الفلاح	عبداللطيف الفلاحي	١٩٢١-١٩٢٢
الفضيلة	عبدالرزاق الحسني	١٩٢٥-١٩٢٦
لغة العرب (مجلة)	انستاس الكرملي	١٩١١-١٩١٤
»	» »	١٩٢٦-١٩٣٢
لسان العرب	ابراهيم حلمي العمر	١٩٢١-١٩٢٢
البيان (مجلة)	علي رضا الغزالي	١٣٣٧-١٣٣٨ هـ
ليلى (مجلة)	بولينا حسون	١٩٢٣-١٩٢٤
المرشد (مجلة)	محمد الحسيني	٢٥ و٢٨ و١٨٢٩
المفيـــد	ابراهيم حلمي العمر	١٩٢٤-١٩٢٥
المستقبل	ابراهيم صالح شكر	١٩٢٩-١٩٣٠
المعرض	احمدعزةالاعظمي ونورى الاورفهلي	٢٥-١٩٢٦
المؤيد	احمد ماضي وعلي يوسف	١٩١٠ القاهرة
الموصل	مجلة رسمية وصدرت جريدة	١٩٢٠-١٩٢٨
المنـــار	محمد رشيد رضـــا	٩٠٢-١٩١٢ القاهرة
المقتبس (مجلة)	محمد كرد علي	٩١٠-١٩١١ مصر
النجف	يوسف رجيب	٤٤-١٣٤٥ نجف
النور	عبدالرحمن البناء	٢٩-١٩٣٢
النهضة العراقية	حزب النهضة العراقية	١٩٢٧-١٩٣٠
نداء الشعب	حزب الشعب	١٩٢٦-١٩٢٩
» »	ياسين الهاشمي	١٩٣٠
الناشئة	ابراهيم صالح شكر	١٩٢١
الناشئة الجديدة	» » »	١٩٢٢-١٩٢٥
اليقين	محمد الهاشمي	٢٢-١٩٢٥

(1) *ENGLISH BOOKS*

BELL, Lady Florence. Letters of Gertrude Bell. Vol. 2 London 1927.

Miss Gertrude Bell. Review of the Civil Adminstration of Mesopotamia. London 1920.

Civil Adminstration of Mesoptamia. London 1920.

Churchill, Winston. The Second World War. Vol. 3 London, 1950.

Foster, Henry. The Making of Modern Iraq. London 1936.

Haldane, Sir Aylmer. The Insurrection in Mesopotamia. 1920. London, 1922.

George Antonius. The Arab Awakening. London 1938.

Ireland, P. Iraq. A Study in Political Development. New York, 1936.

Longrigg, S. H. Iraq. 1900 - 1950. London, 1953.
Four Centuries of Modern Iraq. London. 1925.

Muir, R. Political Consequences of the Great War. London, 1932.

Toynbee, A. Turkey, London. 1926.

Wilson, Sir. A. T. Mesopotamia. London, 1943.

(2) *OFFICIAL REPORTS.*

Report by H. M. Government in U. K. of G. B. and Northern Ireland to Council of the League of Nations on The Adminstration of Iraq for the year 1928 and Colonial No. 44. H. M. Stationery Office, London, 1929.

League of Nations, Question of Frontier Between Turkey and Iraq C. 400 M. 47. 1925.

The Official Story of the Persia and Iraq Command 1941 - 46. H. M. Stationery Office.

Anglo - Iraq - Treaty. Baghdad. 1929.

Encyclopaedia Britannica. XIIIth edition. Vol. 2.

ملحق رقم (١)

(مقتطفات من معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا العظمى الموقع عليها في ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠)

أ ـ من المقدمة

ولما كانت حكومة جلالة (بريطانيا .....) قد اعلمت الحكومة العراقية بلا قيد ولا شرط في ١٤ ايلول ١٩٢٩ انها مستعدة لعضد ترشيح العراق لدخول عصبة الامم سنة ١٩٣٢ واعلنت لمجلس العصبة في ١٤ كانون الاول ١٩٢٩ ان هذه هي نيتها ولما كانت المسؤوليات الانتدابية التي قبلها صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق ستنتهي من تلقاء نفسها عند ادخال العراق عصبة الامم ولما كان صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك بريطانيا يريان ان الصلات التي ستقوم بينهما بصفة كونهما ملكين مستقلين ينبغي تحديدها بعقد معاهدة تحالف وصداقة . فقد اتفقا على عقد معاهدة جديدة لبلوغ هذه الغاية على قواعد الحرية والمساواة التامتين والاستقلال التام تصبح نافذة المفعول عند دخول العراق عصبة الامم ..

ب ـ من المادة الرابعة

ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب او خطر حرب محدق تنحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والموانى والمطارات ووسائل المواصلات .

ج ـ من المادة الخامسة

يتعهد جلالة ملك العراق بان يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة او في جوارها موقعا واحدا لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانيـــة في غرب نهـــر الفرات ٠

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية ، في ان يقيم قوات في الاراضي العراقية في الاماكن الآنفة الذكر وفقا لاحكام ملحق هـــذه المعاهدة على ان يكون مفهوما ان وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالا ولن يمس على الاطلاق حقوق سيادة العراق ٠

معـــجم الاعـلام

لم نذكر في هذا المعجم (العراق، الاسلام ، الاتراك ، العرب) وغـير ذلك من الكلمات التي ترد كثيرا .

- ح -

- خ -

– ز –

– س –

– ش –

– ص –

– ط –

– ظ –

– ع –

– غ –

– ف –

– ق –

ـ ن ـ

– هـ –

– و –

– ي –

to Britain from the League of Nations. This was felt by all Iraqis to be a great burden and they struggled to get rid of it. The poetry of this period is full of words concerning this situation. We find mandate, advisory, parliament, foreign, freedom, independence, struggle, etc. All these words sum up the situation of Iraq in this period, which meaning we did not find in any previous period of Iraq's political history. We notice in that period that many poets appeared. This means that the mandate and occupation urged their spirit and sentiments to express themselves against the occupation.

The Fifth section dealt with a completely different field where we discussed the problem of social life in Iraq, such as the conditions of the peasantry, the emancipation of women, the poverty in the nation and the influence of all these factors on Iraqi poetry at that time. I described the part taken by every poet of the period and I have made researche into this problem and the amount of development which Iraq achieved under Ottoman time until the Second World War.

I have tried to be a historian and to expose all the influences which have combined in Iraqi poetry throughout the first half of the 20th Century.

Yusif 'Izz - al - Din

justice and progress within their country. They attacked the policy of Abdul Hamid, symbol of oppression, but they were disappointed when the Committee of Union and Progress took power and gave bad treatment to the Arabs. The tune of their happiness turned to sadness. In that period we saw the beginning of the Arab nationalised movement. Committees and parties were established demanding rights for their country and the result was the Arab revolution.

In the second second section we dealt with the influence of the First World War and the change of the current of the nation's thoughts. They started to ask for independence and the British Occupation had a great influence on this current of thought.

Iraqi poetry described the great battles of the World War and mentioned the famous leaders and their battles.

I dealt in the Third section with the struggle between the Iraqi people and the British government. The British rulers wanted to make Iraq answerable to the Government of India, while Iraq wished for complete independence and the gap widened the British officials' cruel treatment of the Iraqis, especially by means of military force. Therefore, Iraqi poetry in this interval took the form of a national competition to spread enthusiasm against foreigners and that led up to the Iraq revolt of 1920, which led to sacrifices of wealth and blood on both sides.

This revolution shocked the Iraqi spirit and changed its ideas and content, even though the revolution did not succed. The main result was the coming of King Faisal I to Iraq and the start of a new parliamentary rule. We found that poetry was full of words urging the people against foreign occupation. The poets did not care to select words and develop style, they merely urged their people to fight against the British occupation.

In the fourth section, it is shown that the Iraqis struggle for independence peacefully by delegations.

A treaty resulted which placed Iraq under Mandate

CONCLUSION.

I dealt in previous sections with the Social and Political Life in Iraq and its influence on Arabic poetry, giving a glimpse of the life and thought in each section as I covered the whole period.

We noted in the first section the confusion in public life pervaded as it was by corruption. Security, justice and education were lacking. Bribery of officials was rife; government influence inside and ouside the major cities was considerable; the women did not take part in the general social life. These circumstances led to a period of decay in the Ottoman Empire. This decay had a great influence on Arabic poetry; in ideas, aim, style, meaning and vocabulary. The poetry served the Ruler and was not concerned with the nation because the rich gave money to poets only if they praised them.

Nationalism was not widespread and the tendency at that time was towards Islam because the Ruler gave his active support to it and this was the only link between the ruler and subject. They called anyone not believing in Islam an infidel. We found this tendency in the wars declared by the government against its enemies, for example the Balkan Wars, the Dardanelles and Tripolitania War.

Hope increased in the hearts of the Iraqis when the Ottoman Constitution was promulgated in 1908, for freedom, equality,

CONTENTS

MODERN IRAQI POETRY

THE INFLUENCE OF THE POLITICAL AND SOCIAL TRENDS

Dr. Yousif Izzidien
(B.A., M.A., PH.D.)
Faculty of Arts University of Baghdad

— 1960 —

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥١	٨	الظبا	الظبى
١٦١	١٣	عــن	مــن
١٦٦	١٣	بهالعدل	العــدل
١٦٧	١٢	بل	بل لم
١٧١	٣	لهامكانتها	لهامكانتهما
١٧٣		حتى	وحتى
١٧٧	١٥	للحاكم	الحاكم
١٩٠	١١	يقبلون	يقيلون
١٩٠	١٣	منقوص	منقوض
٢٠٥	٢٣	والذين	واحتقرالذين
٢٠٧	٦	سبيلها	سبيلهما
٢١٢	١٤	ضوامي	ظوامىء
٢١٦	٤	بنود	مافي بنود
٢١٧	١٧	يشترك	تشترك
٢٢٠	١٦	بهن وباسيادهن	بهم وباسيادهم
٢٤٩	١١	انشي	انشا
٢٥٢	٣	وبين	و
٢٥٢	٢٣	العطار	العطا
٢٥٦	يضاف السطر التالى بعد السطر السادس : (العام مستعدا لكانت هذه المظاهرة ضد الرصافي لانه كان اسبق في نشر شعره)		

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦٢	٦	بينها	بينهما
٢٦٢	١١	صامدون	صامدين
٢٦٤	١٢	بالزهر	بالزهرة
٢٦٤	١٣	قوله	من قوله
٢٦٤	٢١	٨٧	٣٧
٢٧٠	٨	ظهرانينهم	ظهرانيهم
٢٧٢	٢٠	التى	الذى
٢٧٢	٢١	آراؤه	آراؤه فيه
٢٧٥	٦	خبراته	خيراته
٢٧٥	١٨	ضروريات	ضرورات
٢٧٧	١٦	الحان	الالحان
٢٧٩	٥	بل	بله
٢٨٠	٢٢	كثيرة	كثير
٢٨١	٣و٤	الاورا	الاوارا
٢٨١	١١	هو	هي
٢٨٢	١٧	لها .. ابرازها	له ابرازه
٢٨٣	٩	اذ	بينما
٢١٥	١٥	على	عن
٢٨٦	٣	الفقراء	الاغنياء

وعند مراجعة الاعلام تبدل كل صفحة ٦ الى صفحة ٨ ، ويضاف الى معجم الاعلام :

بستانه : حسين ٢٣٤

الدجيلي : باقر ٢٨٦

جدول بالخطأ والصواب

هناك بعض الهنات تركناها لفطنة القاريء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	١	كانت	أكانت
٨	٢	أو	ام
١٥	١٥	الاهليين	الاهلين
١٨	٤	بضرورة	وبضرورة
٢٢	١٦	كان	أكان
٢٢	١٦	أومن	أم من
٢٤	٥	كعمل	بعمل
٢٥	١	نثبت	يثبت
٢٦	٢١	يرون	يروون
٢٧	٤	الى	على
٤١	١٤	لاحقوه	لاحقه
٤٥	١	مم	مع
٤٧	٣	تفاغلتمو	تشاغلتمو
٤٧	١٥	تمييز	تتميز
٥١	١٦	يكون	يكونوا
٥٧	٢٠	ليتشير	ليستثير
٥٧	٢١	صمتهم	حميتهم
٦١	٧	عن	على
٦٢	١٣	على	الى
٦٢	١٦	فعمت	فعم
٦٢	١٧	يوهن	توهن
٦٤	٢	يكتب البيت كمايلي: فاتركوا الايعاد يا ابناء حمراء العجان	
٦٨	١٢	من	لا
٦٨	٢٠	سوى	سود
٧٠	٨	فيه	فيها
٨٤	٢	القتال	الى القتال
٨٩	٣	عن	من
٩١	٥	فيه القبائل	القبائل
٩١	١٦	يستفز	يستنفر
٩٥	٥	على	الى
١٠٠	١٠	يستفز	يستنفر
١٠١	٢٤	برتب	برتبة
١٠٥	٩	التغلب	التقلب
١٠٧	٨	عكست	عكس
١١٠	٢٤	الاولى	الأُلى
١١٠	٢٥	فاستشرى	فاستبشري
١١٣	١٤	واخرى	اخرى
١١٣	١٦	الحراب	الحرب
١١٣	١٨	الذي يريد	يريد
١١٤	٨	صاحبهم	صاحبها
١١٤	١٠	رسم	رسموا
١١٦	١٨	الامس	الأمن
١٣٠	١٧	عزى	عزا
١٣٨	١٢	اوطان	اوطانا
١٤٤	١٨	كلت	كانت
١٤٩	٢	يبذولون	يبذلون
١٤٩	١٠	شعر	شعره
١٥١	٢	شغفنا	شغفا
١٥١	١٤	فلتنج	فلتنتج

MODERN IRAQI POETRY

THE INFLUENCE OF THE
POLITICAL AND SOCIAL TRENDS

Dr. Yousif Izzidien
(B.A., M.A., PH.D.)
Faculty of Arts University of Baghdad

— 1960 —